مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تصدر عن

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وزارة التّعليم العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة السابعة- العدد السابع عشر
جمادى الأولى ١٤٤٤هـ- كانون الأول ٢٠٢٢م

الترقيم الدولي: ISSN 2414–1313

العنوان: العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة

مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢١٧٨ لسنة ٢٠١٦م

للمعلومات والاتصال

٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

البريد الإلكتروني: info@inahj.org

تنويه: إن الأفكار والآراء الواردة في أبحاث هذه المجلة تعبرّ عن وجهة نظر كتّابها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وكل شيء

أحصيناه في إمام مبين

(سورة يس، الآية: ١٢)

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda.

رقم تصنيف LC: BP1.1 M83. V7. N17 2022.

الرقم العالمي للدوريات(ردمد): ١٣١٣- ٢٤١٤.

العنوان: المبين: مجلة فصلية محكمة تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

بيان المسؤولية: مؤسسة علوم نهج البلاغة، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.

بيانات المطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة- مؤسسة علوم نهج البلاغة، ١٤٤٤هـ= ٢٠٢٢م

الوصف المادي: مجلد.

سلسلة النشر: (مؤسسة علوم نهج البلاغة؛)

تبصرة دورية: الوصف مأخوذ من: السنة السابعة، العدد السابع عشر (١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م)

تبصرة دورية: فصلية.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ للهجرة- سيرة- دوريات.

موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ للهجرة- نهج البلاغة- شرح- دوريات.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة- ٤٠ للهجرة- أحاديث- دوريات.

مصطلح موضوعي: البلاغة العربية- دوريات.

مصطلح موضوعي: الإسلام- دوريات.

مصطلح موضوعي: عقائد الشيعة الإمامية- دوريات.

مؤلف إضافي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩- ٤٠٦ للهجرة- نهج البلاغة-شرح- دوريات.

عنوان إضافي: نهج البلاغة. شرح. دوريات.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ISBN 978-9933-582-00-5

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.: الرقم: ب ت 4 / 10669
Date: التاريخ: 2019/11/10

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المبين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أشارة الى كتابكم المرقم ٢١٤٤٣ في ٣١/ ٨/ ٢٠١٩ بشأن اعتماد مجلتهم التي تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة واعتمادها لأغراض الترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات العلمية الاكاديمية العراقية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٧/١١/ ٢٠١٩ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية .

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده بإسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ... مع التقدير.

أ.د. غسان حميد عبدالمجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
١٠/ ١١/ ٢٠١٩

نسخة منه الى:
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي / أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على اصل مذكرتنا المرقم ب ت م٤/ ٧٦٨٠ في ٢٠١٩/١١/٧ / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير .
- قسم المشاريع الريادية / شعبة المشاريع الالكترونية / للتفضل بالعلم واتخاذ مايلزم ... مع التقدير
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التاليف والنشر والمجلات / مع الاوليات .
- الصادرة .

مهند ، أنس
٧ / تشرين الثاني

UDLEDGE SDN. BHD. (1105825-P)
Block 7-23-1, Jalan Jalil Perkasa 14, Aked Esplanad, Bukit Jalil,
57000 Kuala Lumpur.
Tel : +603 8999 4074 | www.udledge.com | info@udledge.com

Date : 10th October 2018
Our Ref. : edge/1018/70252/almubeen

Editor-in-Chief
Al-Mubeen,
Nahjul Balagha Sciences Foundation,
IRAQ.
(Attn.: Prof. Dr. Nabeel Qaddoori Hassan Al-Hassani)

Dear Sir,

LETTER OF ACKNOWLEDGEMENT (CITATION INDEX DATABASE)

I am pleased to inform you that ***Al-Mubeen*** has been selected for coverage in UDLedge products and information services. This publication will be indexed and abstracted in the following products:

- *i*-Journals (www.ijournals.my)
- *i*-Focus (www.ifocus.my)

If possible, please mention on your website and publications that ***Al-Mubeen*** is covered in these UDLedge services and you can download our latest company and product logos at **http://udledge.com/download-logo.html**. In the future, ***Al-Mubeen*** may be included in additional UDLedge products and information services to meet the needs of the scientific and scholarly research community.

For more information regarding UDLedge products and services, please visit our website at **www.udledge.com** or contact me directly at **(+603)-89994074** or **(+6019)-2983745**. Alternatively, you can write and send your queries to **journals@udledge.com**.

Thank you for your attention. I am looking forward to hearing from you.

Sincerely,

SITI NOR' AIN BINTI SAKEH
Publisher Relations Manager

رئيس تحرير المبين

مؤسسة علوم نهج البلاغة

العراق

الدكتور البروفيسور نبيل قدوري حسن الحسني

سيدي العزيز

إفادة بالاستلام (مؤشر فهرسة قاعدة البيانات)

يسعدني اعلامك بأن المبين قد تم اختيارها ضمن منتجات UDLedge وخدمات المعلومات. هذه المجلة سوف يتم فهرستها وتلخيصها في المنتجات الآتية:

* i-Journals (www.ijournals.my)

* i-Focus (www.ifocus.my)

إذا كان ذلك ممكنًا رجاءً اذكر على موقعك الالكتروني واصداراتك بأن المبين تمت تغطيتها ضمن خدمات UDLedge ويمكنك تحميل شعارات منتجات شركتنا عن طريق

http://udledge.com/download-logo.html

في المستقبل ربما سوف يتم تضمين المبين في منتجات UDLedge أخرى وخدمات المعلومات لكي تلبي احتياجات مجتمعات البحث العلمي والأكاديمي.

للمزيد بما يتعلق بمنتجات وخدمات UDLedge رجاءً قم بزيارة موقعنا الإلكتروني:

www. udledge.com

او تواصل معي مباشرةً على ٨٩٩٩٤٠٧٤-(٦٠٣+) أو ٢٩٨٣٧٤٥-(٦٠١٩+) ومن ناحية أخرى يمكنك الكتابة وارسال استعلامات البحث إلى:

journals@udledge.com

شكرا لاهتمامك انا أتطلع للاستماع إليك

SITI NUR' AIN BINTI SAKEH

مدير علاقات النشر

التاريخ: 2022/09/28

الرقم: L22/0974 ARCIF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة المبين المحترم
العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغ .كربلاء، العراق
تحية طيبة وبعد،،،

يسر **معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (ارسيف – ARCIF)**، أحد مبادرات قاعدة بيانات "**معرفة**" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد **أطلق التقرير السنوي السابع للمجلات للعام 2022.**

يخضع معامل التأثير "ارسيف **Arcif**" **لإشراف** "**مجلس الإشراف والتنسيق**" **الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب آسيا (الإسكوا)، مكتبة الاسكندرية، قاعدة بيانات معرفة). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.**

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "**ارسيف Arcif**" قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن **(5100)** عنوان مجلة عربية علمية أو بحثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من **(1400)** هيئة علمية أو بحثية في **(20)** دولة عربية (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها **(1000)** مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "**ارسيف Arcif**" في تقرير **عام 2022.**

ويسرنا تهنئتكم وإعلامكم بأن **مجلة المبين** الصادرة عن **العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغ .كربلاء، العراق، قد نجحت في تحقيق معايير اعتماد معامل** "**ارسيف Arcif**" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها **(32) معياراً**، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي:

/http://e-marefa.net/arcif/criteria

وكان معامل "**ارسيف Arcif** " لمجلتكم لسنة 2022 **(لم نرصد أية استشهادات).**

ونأمل حصول مجلتكم على معامل تأثير متقدم في تقرير عام 2023. وبإمكانكم الإعلان عن نجاحكم في الحصول على معايير اعتماد معامل "**ارسيف Arcif**" العالمية سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل **أرسيف Arcif** الخاص بمجلتكم.

ختاماً، نرجو في حال رغبتكم الحصول على شهادة رسمية إلكترونية خاصة بنجاحكم في معامل " **ارسيف** "، التواصل معنا مشكورين.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي الخزندار
رئيس مبادرة معامل التأثير " ارسيف Arcif"

رَئِيسُ التَّحْرِيرِ

أ.د. عَبَّاس عَلِي حُسَيْن الفَحَّام

جَامِعَةُ الكُوفَة - كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ لِلبَنَات

مُدِيرُ التَّحْرِيرِ

أ.د. حَسَن حَمِيد فَيَّاض

جَامِعَةُ الكُوفَةِ - كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ الأَسَاسِيَّةُ

هيأة التحرير

أ . د . صلاح مهدي الفرطوسي

جامعة روتردام الإسلامية- هولندا

أ . د . عبد علي سفيح الطائي

مستشار وزارة التربية- فرنسا

أ . د . عبد الحسين عبد الرضا العمري

جامعة ذي قار- كلية الآداب

أ . د . جواد كاظم النصر الله

جامعة البصرة- كلية الآداب

أ . د . محمد حسنين النقوي

جامعة بهاء الدين- باكستان

أ . د . حسين علي الشرهاني

جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ . د . مصطفى كاظم شغيدل

جامعة بغداد- كلية الآداب

أ . م . د . نعمة دهش فرحان الطائي

جامعة بغداد- كلية التربية ابن رشد

أ . م . د . أحمد حسين عبد السادة

جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الإنسانية

م . د . حيدر هادي خلخال الشيباني

مديرية التربية- النجف الأشرف

مراجعة النصوص العربية

أ.م. د. كريم حمزة حميدي　　م.م. علي عباس الربيعي

الإدارة والمالية

م.م. علي عباس الربيعي　　أحمد عدنان المعمار

زمان جعفر كاظم

ترجمة

حسنين علي عبد الأمير الطائي

الإخراج والتصميم

أحمد عباس مهدي

قَصيدَةٌ تُؤَرِّخُ صدورَ مَجَلَّةِ المُبين سَنَةَ ((١٤٣٧ هـ))

مِنْ رَوضِ سِبْطِ المُصْطَفَى الأَمِينِ ... وَفَيضِ جُودِ مَنْحَرِ الحُسَينِ

وَمِنْ سَنَا نَهْجِ بَلاغَةٍ سَما ... إلى السَّما بِالأَنْزَعِ البَطِينِ

مَجَلَّةُ المُبِينِ حَقًّا أَشْرَقَتْ ... عَلى مَدَى مَعَارِفِ اليَقِينِ

وَعَرَّجَتْ عَلى رُبَى أَهْلِ التُّقَى ... بِغَيثِهَا ذِي الجَوهَرِ الثَّمِينِ

فَأَزْهَرَتْ بِحَرْفِهَا وَأَبْهَرَتْ ... بِحُسْنِهَا الفَتَّانِ كُلَّ عَينِ

وَكَيْفَ لا وَهْيَ عَلَى بُرَاقِها ... تَطِيرُ فَوقَ كَنْزِهَا الدَّفِينِ

فَقَدْ نَمَتْ وأَيْنَعَتْ وَأَثْمَرَتْ ... بِنَهْجِ عَدْلٍ وَهُدَىً وَدِينِ

مَجَلَّةٌ تَزْهُو بِرَوْضِ حَرْفِها ... وَسَبْكِها الجَمِيْلِ وَالرَّصِينِ

لِذا نَرَاها بالسَّنا تَوَشَّحَتْ ... وَاعْتَصَمَتْ بِحَبْلِها المَتِينِ

وَتُوِّجَتْ فَصَاحَةً مِنْ حَيْدَرٍ ... وَأُشْرِبَتْ مِنْ بَارِدٍ مَعِينِ

وَمِنْ رِيَاضِ السِّبْطِ سِبْطِ المُصْطَفَى ... وَمَوْجِ نَزْفِ الْقَلبِ وَالوَتِينِ

إلى الهُدَى وَالحَقِّ داعِيها دَعَا ... يَطْوِي بِنَشْرٍ رَقْدَةَ السِّنِينِ

زِدْ آخِرَ الدَّاعِي وَأَرِّخْ: ((صَادِحاً ... قَدْ أَزْهَرَتْ مَجَلَّةُ المُبِينِ))

الشَّاعر: علي الصَّفَّار

الافتتاحية:

حضارة الكلمة

كلمة مؤسسة علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والصلاة والسلام على خير النعم وأتمّها محمد وآله الأخيار الأطهار.

أمّا بعد:

فإنّ لكلِّ أمة حضارتها التي تفتخر بها على غيرها من الأمم، ولكلِّ حضارة رجالها الذين بنوها بالفكر والعمل والجد والاجتهاد، ولكلِّ حضارة شواهدها الشامخة وعلاماتها القائمة، وهي تحاكي الأجيال على كرور الأيام أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكن ليس كلُّ من رأى حضارة أمةٍ تَفَكّر في حالها، واعتبر بأخبارها وأُفول نجمها، ولم يبق منها سوى مواضع الأطلال، تصهرها أشعة شمس النهار، وتغزوها الأمطار، وتندب حالها الأطيار التي اتّخذتها أوكارًا لأعشاشها، ومأوى لفراخها، وكأنّ قدرها قد حتّم عليها أن لا يلحظها سوى فراخ هزيلة، وزواحف دخيلة، تجوب شقوق جدران هياكل الحضارة، وهي تَؤُزُّ بأصواتها لتدعو الإنسان أنّ هاهنا كانت أمة.

ولكننا هنا في حضارة ليست كغيرها من الحضارات، فشموخها قائم في الأذهان وعلاماتها حاضرة في القلوب، وهياكلها تشدّ الأرواح لتهفو إليها أسيرة لأمرها، ومنقادة لنهيها تغفو على المعنى هنا، وترتشف الدَّلالة هناك، وتنتشي العِبْرة هنالك، فضلًا عن حيرتها في نسق التعبير وجمالية المغزى وقوام الجملة، إننا في حضارة الكلمة، كلمة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام)، تلك الحضارة التي عجزت عن محوها الأنداد من الأعراب والأعاجم، فتكسَّرت على جدران حقائقها المعاولُ، وتقهقرت بساحات معارفها الفطاحلُ، ويئِست عن بلوغ مغزاها الأعاظم.

لأنها حضارة الكلمة.. كلمة أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) الذي لم يزل صدى دعوته مرددًا «أن هاهنا علمًا جمًا لو أَصبت له من حملة».

ومن هنا: اتّخذت مؤسسة علوم نهج البلاغة منهجها في النهوض بهذا التراث المعرفي الذي اكتنزه كتاب نهج البلاغة، فقامت بتأسيس مجلة علمية فصلية مُحَكَّمَة مُعْتَمَدة لأغراض الترقية العلمية في المجال الأكاديمي، تهدف إلى استنهاض الأقلام العلمية والفكرية للارتشاف من معين علوم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكتاب نهج البلاغة الذي يعد بوابة يلج منها أهل الفكر والبحث إلى حضارة الكلمة، كلمة الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقرآنه الناطق علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لذا:

تدعو أُسرة (مجلة المبين) المفكرين والباحثين في الجامعات والحوزات العلمية إلى الكتابة فيها والإسهام في رفدها بالأبحاث العلمية والدراسات المعمّقة؛ ليدلوا بدلائهم في رياض معين حضارة الكلمة الفياضة فتنتشي الأرواح، وتقر العيون، وتأنس النفوس، وهي تجوب بين أروقة علومها العديدة، وحقول معارفها الجمة.

ولا سيما أنّ (المبين) تُعدّ أوّل مجلة علميةٍ محكمةٍ في العالمِ الإسلامي مختصةٍ بعلوم كتاب نهجِ البلاغة، وسيرة الإمام علي (عليه السلام) وفكره.

سائلين الله تعالى التوفيق والتسديد لإدامة هذا الصرح المعرفي، ونسأله بلطفه وسابق رحمته، وخير نعمه وأتمها محمد وآله أن يديم علينا فضله وفضل رسوله الكريم وهو القائل وقوله حق ووعده صدق:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ الإسراء -٥٩-.

اللهم إنا إليك راغبون ولفضلك وفضل رسولك سائلون، والحمد لله رب العالمين...

السيد نبيل قاوري حسن الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

سياسة النشر في مجلة المبين

١. مجلة (المبين) مجلة فصلية محكمة، تصدر عن مؤسسة علوم نهج البلاغة للعتبة الحسينية المقدسة وتستقبل البحوث والدراسات للمؤلفين من داخل العراق وخارجه التي تعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره في مجالات المعرفة كافة.

٢. إنّ الإستشهاد بمجلة المبين في مطالب البحث يعد من أساسيات تنشيط الحركة العلمية والمعرفية في مختلف المحافل الفكرية وذلك بوصفها مرجعا علمية أصيلا يعزز من مكانتها العلمية بين المجلات المحكمة.

٣. يكون البحث المقدم للنشر ملتزم بمنهجية وأخلاقيات البحث والنشر العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٤. أن لا يكون البحث قد نشر سابقًا أو حاصل على قبول للنشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى ويقوم الباحث بتوقيع تعهد خاص بذلك.

٥. لا تقوم المجلة بنشر البحوث المترجمة إلا بتقديم ما يثبت موافقة المؤلف الأصلي وجهة النشر على ترجمة البحث ونشره.

٦. يتحمل مؤلف البحث المسؤولية الكاملة عن محتويات بحثه المرسل للنشر، وتعبر البحوث عن آراء مؤلفيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

٧. يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.

٨. يبلغ المؤلف باستلام بحثه من لدن المجلة خلال مدة لا تتجاوز العشرة أيام اعتباراً من تاريخ الاستلام.

٩. يبلغ المؤلف بالموافقة أو عدم الموافقة على نشر بحثه في المجلة في مدة لا تتجاوز الشهرين اعتبارًا من تاريخ استلام البحث من قبل المجلة.

١٠. لا تعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلفيها.

١١. يلتزم المؤلف بإجراء التعديلات اللازمة على بحثه وعلى فق تقارير هيأة التحرير أو المقيمين وإعادته الى المجلة في مدة أسبوع من تاريخ استلامه للتعديلات.

١٢. جميع البحوث المقدمة للنشر تخضع لعملية التقييم العلمي من قبل ذوي الاختصاص.

١٣. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى فحص الاستلال الالكتروني.

١٤. تنقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني للبحوث الى المجلة وعلى وفق صيغة تعهد يقوم المؤلف بتوقيعها ولا يحق لأية جهة أخرى إعادة نشر البحث أو ترجمته وإعادة نشره إلا بموافقة خطية من المؤلف ورئيس هيأة التحرير لمجلة المبين.

١٥. لا يجوز للمؤلف سحب بحثه بعد صدور قرار قبول النشر، ويجوز له سحب البحث قبل صدور قرار قبول النشر وبموافقة السيد رئيس هيأة التحرير حصرًا.

١٦. يمنح المؤلف ثلاث مستلات مجانية مع نسخة من العدد الذي نُشر فيه بحثه.

١٧. يتوجب على المؤلف الإفصاح عن الدعم المالي أو أي من أنواع الدعم الأخرى المقدمة له خلال إجراء البحث.

١٨. يتوجب على المؤلف إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه لوجود خطأ كبير في البحث أو عدم دقة بالمعلومات وأن يساهم في تصحيح الخطأ.

دليل المؤلفين

١. تستقبل المجلة البحوث والدراسات التي تكون ضمن محاورها المبينة في سياسة النشر.

٢. أن يكون البحث المقدم للنشر أصيلا ولم يسبق نشره في مجلة أو أي وسيلة نشر أخرى.

٣. يعطي المؤلف حقوق حصرية للمجلة تتضمن النشر والتوزيع الورقي والالكتروني والخزن وإعادة الاستخدام للبحث.

٤. لا تزيد عدد صفحات البحث المقدم للنشر عن عشرين صفحة.

٥. ترسل البحوث إلى المجلة عبر بريدها الالكتروني:

Almubeen.mag@gmail. و inahj.org@gmail.com

com

٦. يكتب البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ (word) أو (LaTeX) وبحجم صفحة (A4) وبهيأة عمودين منفصلين ويكتب متن البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم ١٤.

٧. يقدم ملخص للبحث باللغة الإنكليزية وفي صفحة مستقلة وان لا يتجاوز (٣٠٠) كلمة.

٨. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

- عنوان البحث.
- اسم المؤلف / المؤلفين وجهات الانتساب.
- البريد الالكتروني للمؤلف / المؤلفين.
- الملخص.

- الكلمات المفتاحية

٩. يكتب عنوان البحث متمركزًا في وسط الصفحة وبنوع خط: Simplified Arabic وحجم Bold 16.

١٠. يكتب اسم المؤلف / المؤلفين متمركزاً في وسط الصفحة وتحت العنوان وبنوع خط Simplified Arabic وبحجم Bold 14.

١١. تكتب جهات الانتساب للمؤلفين بنوع خط Simplified Arabic وبحجم Bold 12.

١٢. يكتب ملخص البحث بنوع خط Simplified Arabic وبحجم: Bold 12, Italic.

١٣. تكتب الكلمات المفتاحية التي لا يتجاوز عددها عن خمسة كلمات بنوع خط Simplified Arabic وبحجم Italic ,Justify 12.

١٤. جهات الإنتساب تثبت كالآتي (القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد) وبدون مختصرات.

١٥. عند كتابة ملخص البحث، تجنب المختصرات والاستشهادات.

١٦. عدم ذكر اسم المؤلف/ المؤلفين في متن البحث على الاطلاق.

١٧. تراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق والاشارة بذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة، مع ضرورة أن تكون مرقمة ترقيمًا متسلسلا وتوضع في نهاية البحث.

١٨. يلتزم المؤلف بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، كما يجب مراعاة وضع

صور المخطوطات (للنصوص المحققة) في مكانها المناسب في متن البحث.

١٩. تثبيت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة:

Harvard Reference style.

٢٠. جميع الدراسات التي تم الاستشهاد بها في متن البحث أو الجداول أو الصور يجب أن تثبت وبشكل دقيق في قائمة المصادر وبالعكس.

٢١. يلتزم المؤلف/ المؤلفون إلى بيان فيما إذا كان البحث المقدم للنشر قد تم في ظل وجود أية علاقات شخصية أو مهنية أو مالية يمكن تفسيرها على أنها تضارب في المصالح.

دليل المقيمين

إن المهمة الرئيسية للمقيم العلمي للبحوث المرسلة للنشر، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة وتقييمه وفق رؤى ومنظور علمي أكاديمي لا يخضع لأي آراء شخصية، ومن ثم يقوم بتثبيت ملاحظاته البنّاءة والصادقة حول البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقييم، يرجى من المقيم التأكد فيما إذا كان البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، فإن كان البحث ضمن تخصصه العلمي، فهل يمتلك المقيم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، إذ إن عملية التقييم يجب أن لا تتجاوز العشرة أيام.

بعد موافقة المقيم على إجراء عملية التقييم وإتمامها خلال الفترة المحددة، يرجى إجراء عملية التقييم وفق المحددات الآتية:

١. هل أن البحث أصيلاً ومهمًا لدرجة يجب نشره في المجلة؟.

٢. فيما إذا كان البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها.

٣. هل أن فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة؟ إذا كانت نعم، يرجى الإشارة إلى تلك الدراسات .

٤. مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه؟.

٥. بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته.

٦. هل تصف المقدمة في البحث ما يريد المؤلف الوصول إليه وتوضيحه بشكل دقيق، وهل وضح فيها المؤلف ما هي المشكلة التي قام بدراستها.

٧. مناقشة المؤلف للنتائج التي توصل إليها خلال بحثه بشكل علمي ومقنع.

٨. يجب ان تجرى عملية التقييم بشكل سري وعدم اطلاع المؤلف على أي جانب فيها.

٩. اذا أراد المقيم مناقشة البحث مع مقيم آخر فيجب ابلاغ رئيس التحرير بذلك

١٠. يجب أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقيم والمؤلف فيما يتعلق ببحثه المرسل للنشر، ويجب أن ترسل ملاحظات المقيم إلى المؤلف من خلال مدير التحرير في المجلة.

١١. إذا رأى المقيم بأن البحث مستلاً من دراسات سابقة، توجب على المقيم بيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.

١٢. إن ملاحظات المقيم العلمية وتوصياته سيعتمد عليها وبشكل رئيسي في قرار قبول البحث للنشر من عدمه، كما يرجى من المقيم الإشارة وبشكل دقيق إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديل بسيط ممكن أن تقوم بها هيأة التحرير وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهري يجب أن يقوم بها المؤلف نفسه.

نموذج تعهد الملكية الفكرية ونقل حقوق الطبع والتوزيع في مجلة المبين

أنا / نحن الموقع / الموقعون أدناه نقر بأن البحث الموسوم

والمقدم للنشر في مجلة المبين هو نتاج جهدي/ جهدنا الخالص وجميع الآراء والاستنتاجات التي تضمنها البحث هي نتاج عملي/ عملنا خلال فترة إنجازه باستثناء ما تمت الإشارة إليه في متن البحث، حيث إن دراسات الآخرين وأفكارهم وآرائهم التي استعملت في هذا البحث قد تمت الإشارة إليها في متن البحث ووضعت بدقة ضمن قائمة المصادر، كما أتعهد/ نتعهد بالفهم والتطبيق الكامل لقواعد البحث والنشر العلمي المعتمدة في مجلة المبين وإن العمل الذي أدى الى إنتاج هذا البحث قد تم وفق أخلاقيات البحث العلمي المعروفة عالمياً، فضلاً عن ذلك، فأنا/ نحن أتعهد/ نتعهد بأن هذا البحث لم يسبق وأن نشر أو قُدم للنشر في مجلة أو أية وسيلة نشر أخرى وأمتلك/ نمتلك الحقوق الحصرية الكاملة لنشر البحث لغاية تاريخ توقيع هذا العقد، وبذلك أوافق/ نوافق على نقل حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقي والالكتروني لهذا البحث إلى مجلة المبين أو من تخوله هذه المجلة.

ت	اسم المؤلف / المؤلفون	البريد الالكتروني	التوقيع والتاريخ

ملاحظة : يملئ هذا الحقل في حال كون المؤلف مخول من بقية المؤلفين لتوقيع هذا التعهد نيابة عنهم

اني ..... مخول/ مخولة من جميع المؤلفين المشتركين معي في هذا البحث للتوقيع على هذا التعهد نيابة عنهم وأتعهد بصحة كافة معلوماتي الشخصية التي وردت في هذا التعهد ولأجله وقعت.

التوقيع: التاريخ:

البريد الالكتروني: رقم الهاتف:

المحتويات

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
٢٨	ملف العدد	من أبحاث الإمامة في نهج البلاغة
٢٩	نفي التجسيم وأثره في صيانة التوحيد في ضوء حديث الإمام علي (عليه السلام) دراسة وصفية	م. م. إياد رمضان محمد كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية
٧٥	الإمامة في نهج البلاغة سُبُلها وأحقيَّة الإمام علي (عليه السلام) فيها	م. رزاق مهدي حمادي السعدي جامعة بغداد - كلية التربية - قسم علوم القرآن
١٢٣	إقصاء الإمام علي (عليه السلام) عن فضائله في صحيحي البخاري ومسلم رواية مبايعة الإمام علي (عليه السلام) لأبي بكر المرحلة المدنية (أنموذجاً)	أ.م. د. حسين كريم حميدي الباحث علي مزهر إبراهيم جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم التاريخ

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
١٤٣	إسهام الإمام علي (عليه السلام) في تطوير الفكر السياسي الإسلامي -دراسة في نهج البلاغة-	أ. م. د. قيصر عبد الكريم جاسم حمود الزبيدي كلية العلوم السياسية - جامعة ميسان
٢١٧	البنية التركيبية البلاغية وتوجيهها للمعنى خطبة البيان مثالًا	م. خالد عبد النبي عيدان الأسدي جامعة كربلاء كلية العلوم الإسلامية
٢٦٣	الصورة الاستعارية في خطبة الإمام علي (عليه السلام) في صفات المتقين	أ.م. د. أحمد عبيس عبيد

ملف العدد

من أبحاث الإمامة في نهج البلاغة

* نفي التجسيم وأثره في صيانة التوحيد في ضوء
حديث الإمام علي (عليه السلام) دراسة وصفية

* الإمامة في نهج البلاغة سُبُلها وأحقيَّة الإمام علي (عليه السلام) فيها

* إقصاء الإمام علي (عليه السلام)عن فضائله
في صحيحي البخاري ومسلم رواية مبايعة الإمام علي (عليه السلام) لأبي بكر
المرحلة المدنية (أنموذجاً)

* إسهام الإمام علي (عليه السلام) في تطوير الفكر السياسي الإسلامي
-دراسة في نهج البلاغة-

نفي التجسيم وأثره في صيانة التوحيد في ضوء حديث الإمام علي (عليه السلام) دراسة وصفية

م. م. إياد رمضان محمد

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

قسم الفكر الإسلامي والعقيدة

The Negation of Anthropomorphism and Impact on Maintaining Monotheism in the Light of Imam Ali (pb)

Ayad Ramadan Muhammed

Imam kazim (pb) university college

ملخص البحث

إنَّ القول بتجسيم الإله في المجتمع الإسلامي كان موجوداً حتى قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو من عقائد الجاهلية الضالة والمنحرفة والموروثة من بعض فرق اليهود، وبعد ظهورها على لسان بعض الصحابة بشكل أحاديث نبوية تصدَّى لها الإمام علي (عليه السلام)، فقد بيَّن في خطبه ورسائله وكلماته الحكيمة فيما يتعلق بالتجسيم وغيره ما لم ينقل عن أحد من الصحابة فيما يتعلق بصفاته وأسمائه وأفعاله تعالى.

وتكمن أهمية هذا البحث في كون التجسيم يتنافى مع معرفة الله تعالى وتوحيده، فلا معرفة حقيقية وتوحيد سليم مع القول بالتشبيه أو التجسيم، فقد يذهب الإنسان إلى هذا الاعتقاد فينحرف عن الصراط، فيكون بعيداً عنه.

الكلمات المفتاحية: التجسيم، التوحيد، الإمام علي

Abstract

To say that Anthropomorphism was found in the Islamic society even before prophet mission. Anthropomorphism was one of pre – Islamic period doctrine, inherited from some Jews after its appearance by some of the companions, Imam Ali responded to it. He demonstrate in his speeches, letters and wise words – as none of companions do- in relation to attributes, names and deeds of Allah.

Lies the importance of research to inform that the anthropomorphism is incompatible with the knowledge of Allah and mono theism.

Keywords:

Anthropomorphism, Monotheism, Imam Ali.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيِّد المرسلين وخاتم النبيين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين..

وبعد: فإنَّ القول بتجسيم الإله في المجتمع الإسلامي كان موجوداً حتى قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو من عقائد الجاهلية الضالة والمنحرفة والموروثة من بعض فرق اليهود، وبعد ظهورها على لسان بعض الصحابة بشكل أحاديث نبوية تصدَّى لها الإمام علي (عليه السلام)، فقد بيَّن في خطبه ورسائله وكلماته الحكيمة فيما يتعلق بالتجسيم وغيره ما لم ينقل عن أحد من الصحابة فيما يتعلق بصفاته وأسمائه وأفعاله تعالى.

وتكمن أهمية هذا البحث في كون التجسيم يتنافى مع معرفة الله تعالى وتوحيده، فلا معرفة حقيقية وتوحيد سليم مع القول بالتشبيه أو التجسيم، فقد يذهب الإنسان إلى هذا الاعتقاد فينحرف عن الصراط، فيكون بعيداً عنه.

وقد جاء البحث بعنوان: (نفي التجسيم وأثره في صيانة التوحيد في ضوء حديث الإمام علي «عليه السلام» دراسة وصفية)، وانتظم على النحو الآتي: ففي المبحث الأول تناولت مفهوم التجسيم ولوازمه في اللغة والاصطلاح وظهوره عند الفرق ضمن مطلبين. وفي المبحث الثاني كان محور الدراسة هو التوحيد ونفي التجسيم في كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عبر مطلبين أيضاً، الأول تناولت فيه السبب في اختيار نفي التجسيم في كلام الإمام علي، والآخر تناولت فيه أحاديث التوحيد الحق ونفي التجسيم ولوازمه في كلام الإمام (عليه السلام). وخرجت الدراسة

بنتائج عدة مثلت خاتمة للبحث.

وفي ختام البحث أعترف للقارئ الفاضل أن البحث في مثل هذه المسائل لا يخلو من الصعوبة، إذ يتطلب قدراً كبيراً من الجهد لفهم الأفكار والآراء الخاصة بهذه المسألة، ومن ثم فإن أصبت فذلك من توفيق الله تعالى، وإن وقع سهو أو خطأ أو نسيان فمني. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، اللهم أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين، وصلى الله على خير خلقه محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين.

المبحث الأول

مفهوم التجسيم ولوازمه

المطلب الأول: التجسيم في اللغة والاصطلاح

التجسيم عند أهل اللغة: أصلها من جِسم، و (الجيم والسين والميم يدل على تجمع الشيءِ، فالجسم كلُّ شَخص مُدرَك) [1]، (والجسم هو الجسد، وهو كل ما له طول وعرض وعمق، والجسم كل شخص يدرك من الإنسان والحيوان والنبات) [2].

والجسم في الاصطلاح: عرفه بعض الأعلام:

(هو جوهر يمكن أن يفرض فيه أبعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قائمة)[3]

و(هو المركب المؤلف من الجوهر، قابل للأبعاد الثلاثة) [4].

و(الجسم في بادئ هو هذا الجوهر الممتد القابل للأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق، وهو ذو شكل ووضع، وله مكان إذا شغله منع غيره من التداخل فيه معه. ويطلق الجسم على الجسد وهو مقابل الروح) [5].

فيبدو من تعريفات أهل اللغة والاصطلاح أن الجسم يمتاز بالأمور الآتية:

١. كل ما له طول وعرض وعمق ولو بالفرض.

٢. كل جسم له مكان يشغله ويملأه.

٣. كل جسم له جهة يحل فيها.

٤. الجسم يكون مركب وقابل للانقسام.

٥. كل ما يشار إليه فهو جسم.

٦. ويمتاز أيضا بأن له وزناً وثقلاً وامتدادا.

٧. الجسم ما يقابل الروح.

٨. الجسم يلازم التركيب، والمركب يفتقر إلى أجزائه، والافتقار صفة للإمكان، والله هو الغني المتعالي. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فاطر: ١٥

أمّا التجسيم المبحوث عنه هنا، فهو وصف الله تعالى بكونه جسما، أو تشبيه الله تعالى بمخلوقاته، فمن اعتقد بذلك وقال به فهم من المجسمة ويسمى بالمشبّه أيضاً، وإن حاول أن يضيف قيودا لوصفه ليتجنب به عن لوازم ومحاذير قوله بالجسمية كما سيتضح فهذا لا ينفع، تعالى الله عن التجسيم والتشبيه والتمثيل.

نفي الجسمانيات: للجسم مجموعة من اللوازم تسمى بالجسمانيات: وهي صفات تسلب عن الله تعالى بعد إثبات كونه واجب الوجود[٦] أو بعد نفي كونه جسما، لكونها من لوازم كون الشيء جسماً[٧]، وسنبين المراد منها ليتضح المطلوب وهي الأمور الآتية:

الحد: «الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر.. وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه، يقال حددت الدار ميزتها عن مجاوراتها بذكر نهاياتها»[٨].

والمكان عند المتكلّمين: هو «الفراغ المتوهم يشغله الجسم وتنفذ

فيه أبعاده»[٩].

والحيز: هو عند المتكلمين «الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء ممتد كالجسم، أو غير ممتد كالجوهر الفرد»[١٠].

الاتحاد: وهو أن الذاتين أو أكثر تصبح ذاتا واحدة، ولا يكون الاتحاد إلّا من الاثنين فأكثر[١١]، والمفهوم الحقيقي المتبادر للاتحاد عند الاطلاق هو أن يصير الشيئان كزيد وعمر شيئاً آخر ومن غير أن يزول عنهما شيء أو ينظم إليهما شيء آخر[١٢]، وقد رفض القرآن الكريم فكرة الاتحاد بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

والجهة: «هي مقصد المتحرك ومتعلق الإشارة الحسية ويعبر عنها بـ هناك وهنالك وفوق وتحت وخلف وأمام وغير ذلك»[١٣].

الرؤية: وتعرف «بالمشاهدة بالبصر حيث كان، أي في الدنيا والآخرة»[١٤]

والتركيب: وهو كالترتيب «لكن ليس لبعض أجزائه نِسبة إلى بعض تقدّماً وتأخراً»[١٥]

المطلب الثاني: ظهور عقيدة التجسيم عند الفرق والمذاهب وأسباب الاختلاف

ظهور التجسيم: عند الحديث عن التجسيم لا بد من الإشارة إلى بداية ظهوره، فيبدو لمن اطلع على كتب الفرق والمقالات والسير.. أن القول بالتجسيم والتشبيه كان موجوداً حتى قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما ينقله الشريف الرضي في نهج البلاغة عن الإمام علي (عليه السلام) وهو يشير إلى العقائد الباطلة التي كانت منتشرة في الأرض وتدين بها العرب عند مبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّه للهِ بِخَلْقِهِ،

أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ» [١٦]، فالقول بالجسمية من عقائد الجاهلية الضالة والمنحرفة.

وأصل هذه العقيدة يرجع إلى التوراة كما يقول الشهرستاني: «فقد كان التشبيه صرفاً خالصاً في اليهود، لا في كلهم، بل في القرائين [١٧] منهم، إذ وجدوا في التوراة ألفاظا كثيرة تدل على ذلك» [١٨]، فالتجسيم يرجع إلى اليهود، وبعد دخول بعض اليهود إلى الإسلام أمثال كعب الأحبار [١٩]، ظهرت على لسان بعض الصحابة أحاديث نبوية تشير إلى التجسيم -والتي عرفت بعد ذلك بالصفات الخبرية- ومن ثمَّ نقلها التابعون عنهم إلى أن تعصب لها بعض الأشخاص حتى عدوها من عقائدهم التي يدافعون عنها، ولاختلاف آرائهم في تفسير وبيان المراد من هذه الصفات الواردة في الكتاب الكريم وكونها من المتشابهات أم من المحكمات، نشأت مجموعة من الفرق الكلامية.

والآيات المحكمات في القرآن الكريم هي آيات واضحة الدلالة ومحددة المعاني، بخلاف الآيات المتشابهة، فهي إما غير واضحة المراد أو غير واضحة الدلالة، والقرآن وصف المحكمات بأم الكتاب، لكونها الأصل، فلابد من «اتباع المؤمن للنصوص المحكمة في كتابه، وبناء عقيدته في الله بموجبها، ووضع النصوص المتشابهة من ورائها من حيث فهمها والوقوف على المعنى المراد منها» [٢٠].

يقول ابن خلدون في هذا المقام: «..إلَّا أنّه عَرَضَ بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد أكثر مثارها من الآي المتشابهة، فدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل وزيادة

إلى النقل.. وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل، وهذا معنى قول الكثير منهم: إقراؤها كما جاءت أي آمنوا بأنها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والإذعان لها. وشذَّ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه، ففريق أشبهُوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت بذلك، فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق.. ثم يفرُّون من شناعة ذلك بقولهم: جسمٌ لا كالأجسام. وفريق منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والنزول.. وآل قولهم إلى التجسيم فنزعوا مثل الأولين إلى قولهم: صوتٌ لا كالأصوات، جهة لا كالجهات، نزول لا كالنزول..»[٢١].

وينبغي أن يعلم أن الآيات المتشابهات والصفات الخبرية ليست هي السبب التام لتعدد الآراء وظهور الفرق، وإنما السبب والعلة التامة في ذلك ابتعاد الأمة الإسلامية عن أهل البيت (عليهم السلام)، فلو عادوا إليهم في بيان المراد من الآيات المتشابهات والصفات الخبرية لما كان هناك اختلاف وحيرة وتفرق.

ولمعرفة كيفية حصول هذه التحولات التجسيمية من مجرد نصوص وأحاديث واردة في كتب أهل الحديث إلى عقيدة راسخة في عقولهم والأسباب من ورائها ننقل لكم ما أشار إليه الشهرستاني في الملل والنحل بقوله: «اعلم أن جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفاتٍ أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة

والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً. وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤولون ذلك إلّا أنهم يقولون: هذه الصفات قد وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية، ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون، سُمّي السلف صفاتية والمعتزلةُ معطلة. فبالغ السلف في إثبات الصفات الى حد التشبيه بصفات المحدثات، واقتصر بعضهم على صفات دلَّت الأفعال عليها، وما ورد به الخبر؛ فافترقوا فيه إلى فرقتين: فمنهم من أوّله على وجه يحتمل اللفظ ذلك، ومنهم من توقف في التأويل، وقال: عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فلا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء منها، وقطعنا بذلك، إلّا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه، مثل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] إلى غير ذلك. ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها، بل التكليف ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له، وليس كمثله شيء، وذلك قد أثبتناه يقيناً. ثم إن جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا: لا بد من إجرائها على ظاهرها، والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرض للتأويل ولا توقف في الظاهر، فوقعوا في التشبيه الصرف، وذلك على خلاف ما اعتقده السلف» (٢٢).

والشهرستاني بقوله المتقدم يشير إلى أهل الحديث؛ إذ أثبتوا لله تعالى ما جاء في ظواهر الكتاب الكريم والسنة النبوية من الصفات الخبرية من اليد والساق والعين والوجه والكرسي

والصعود والنزول والجنب...على ظهورها ومعناها الحرفي المتبادر للذهن منها، وقد حاول بعضهم التخلص من هذا بإضافة قول: (بلا كيف) إلى الصفات المتقدمة، فيقول: لله تعالى يد بلا كيف وساق بلا كيف...وهكذا في باقي الصفات.

أسباب الاختلاف: للاختلاف وعدم الاتفاق أولاً في تفسير المراد من بعض الصفات الخبرية كالوجه واليد وغيرها الواردة في كلام الله تعالى؛ ولتوقف تفسير هذه الصفات الخبرية على فهم المراد من موضوع المحكم والمتشابه، وكون هذه الصفات التي وردت في القرآن الكريم من الآيات المتشابه أم من الآيات المحكمة ثانياً، ولكون عقيدة التجسيم والتشبيه من العقائد اليهودية الموجودة في توراتهم ثالثاً، نتيجة لذلك كله، ينبغي القول إنه لا توجد فرقة أو جماعة تدعي لنفسها وتقول إنها تؤمن بالتجسيم الباطل وبالمعنى الذي تقدم إلّا نادراً وعند أشخاص قد ماتوا وفرق قد انقرضت[٢٣].

وحيث إن القول بالتجسيم يعد تهمة خطرة وعقيدة باطلة عقلاً ونقلاً حاول كل ذو عقل سليم التجنب عن الاتصاف بها؛ لأن من لوازمها القول بالجسمانيات بالتركيب الملازمة للاحتياج الملازم للافتقار، وهذا لا يجتمع مع كونه واجب الوجود والغني المطلق.

ولوجود هذه الاختلافات أطلق بعضهم على بعض الكثير من الافتراءات والأكاذيب والشبهات، كما في اتهام هشام بن الحكم وهشام بن سالم بالقول بالتجسيم والتشبيه[٢٤]، ولهذا نجد مثلاً الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) [٢٥] يرد مثل هذه الاتهامات بالتشبيه والتجسيم على بعض أصحابنا في مقدمة كتابه (التوحيد) قائلاً: «إن الذي دعاني

الى تأليف كتابي هذا أني وجدت قوماً من المخالفين لنا ينسبون عصابتنا إلى القول بالتشبيه والجبر؛ لما وجدوا في كتبهم من الأخبار التي جهلوا تفسيرها ولم يعرفوا معانيها ووضعوها في غير موضعها ولم يقابلوا بألفاظها ألفاظ القرآن، فقبحوا بذلك عند الجهال صورة مذهبنا، ولبّسوا عليهم طريقتنا، وصدوا الناس عن دين الله وحملوهم على جحود حجج الله، فتقربت إلى الله تعالى ذكره بتصنيف هذا الكتاب في التوحيد ونفي التشبيه والجبر»[٢٦].

وفي قبال هذا ونتيجة الكلام بعبارات توحي للمتلقي بالتجسيم تارة أو التصريح به أحياناً، ونتيجة إيمانهم بما جاء بظواهر الكتاب الكريم والسنة النبوية وحملهم تلك النصوص على ظهورها الحرفي ومعناها الإفرادي المتبادر منها وعدم تأويل الصفات الخبرية عندهم بما ينسجم مع محكمات الكتاب عدوا من المجسمة، وهؤلاء يعرفون عند أهل الملل والنحل بالمشبّه أو المجسّمة أو الحشوية فقد ذكرهم الشهرستاني بقوله:

«وأمّا مشبهة الحشوية..فإنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة حد الإخلاص.. وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوِّز الرؤية في دار الدنيا وأن يزوره ويزورهم، وحكى عن داود الجواربي أنه قال: أعفوني عن الفرج واللحية وأسالوني ما وراء ذلك. وقال عن معبوده جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من اليد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين وهو مع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات، وهو لا يشبه

شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء. وحكي عنه أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره، مصمت ما سوى ذلك، وأن له وفرة سوداء وله شعر قطط. وأما ما ورد في التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والاتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها؛ أعني ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام. وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي عليه الصلاة والسلام وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإن التشبيه فيهم طباع..»[٢٧].

وقد أحصى أحد الباحثين الذين يقولون بأن الصفات الإلهية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية والتي تُوحي بظاهرها بالتجسيم أو التشبيه بعدد قليل جداً وقال: وإذا ما أردنا احتسابهم فلن يبلغوا الثلاثين[٢٨].

المطلب الثالث: آراء الفرق في مسألة التجسيم والصفات الخبرية

ذهب بعض المتكلمين إلى تقسيم الصفات الإلهية إلى قسمين صفات ذاتية كالعلم والقدرة والحياة...، وصفات خبرية ثبت وجودها للحق تعالى عن طريق وجود بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من قبيل الوجه واليد والساق والقدم وغيرها والتي تعرف بالصفات الخبرية[٢٩]، والتي تشير بظاهرها إلى القول بالتجسيم والتشبيه المذموم بأنهم يهود هذه الأمة بحسب بعض الروايات.

وما يهمنا هنا الأقوال التي تفسر المراد من هذه الصفات، وهي كالآتي:

القول الأول: (إثبات التجسيم مع التكييف والتشبيه)، وهو قول الظاهرية والكرامية أتباع «محمد بن كرَّام»، فقد دعا إلى تجسيم معبوده

وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته..»[٣٠]، وقد أطلق عليهم اسم المشبهة والحشوية؛ حيث ادَّعوا أن الله تعالى جسمًا وعينًا ويدا مثل الإنسان، فهم شبّهوا الخالق بالمخلوقين، بحسب ما جاء بظواهر الكتاب الكريم حيث حملوها على ظهورها الحرفي ومعناها الإفرادي المتبادر منها، وقد ذكر هذا الشهرستاني بقوله: «أمّا مشبهة الحشوية فإنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المخلصين من المسلمين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد.. وأن معبوده جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من يد ورأس ولسان وعينين وأُذنين..»[٣١]. وهذا القول الذي أفرط في التشبيه يعد باطلاً عقلاً ونقلاً[٣٢].

القول الثاني: (إثبات التجسيم بلا تكييف وبلا تشبيه)، وهو قول لأحمد بن حنبل ولأبي الحسن الأشعري ذكره في الإبانة: «أن لله سبحانه وجهاً بلا كيف، كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينا بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]»[٣٣]، إذ حملوا ألفاظ الصفات الخبرية على ظاهر معانيها الحرفية مع الجهل في كيفياتها، وهم بهذا أثبتوا التجسيم لله تعالى مثل القول السابق وبحسب ظهورها الحرفي والمعنى الإفرادي المتبادر منها إلّا أنهم زادوا قيد (بلا كيف وبلا تشبيه) لقولهم لأجل الابتعاد عن تهمة التشبيه والتجسيم.

وبعبارة أخرى: أن لله تعالى صفات لكن ليست كالصفات الموجودة في الإنسان، فالله تعالى له عين ويد وساق ... لكن ليست

كأعيننا وأيدينا، وهم بهذا حاولوا الجمع بين نصوص ظواهر القرآن والسنة وبين مقتضى التنزيه، ولكنهم لم يوفقوا في ذلك؛ يقول عرفان عبد الحميد: «مع سلامة هذه العقيدة وارتباطها باسم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فإنها لم تستمر طويلاً؛ لأنها تتضمن الإحالة إلى مجهولات لا تفهم مؤداها ولا غاياتها» (٣٤)؛ حيث يظهر عقيدة التوحيد بصورة مبهمة وغامضة، ولعدم وجود أدلة قرآنية أو نبوية على هذا القول سوى الهروب من الاتهام بالتجسيم والتشبيه الباطل وبهذا يقول الشاعر:

وقد شبّهوهُ بخلقهِ وتخوَّفُوا
شَنع الورى فتستروا بالبلكفة

القول الثالث: (التأويل) وهو تفسير وتأويل الصفات الخبرية الواردة في الآيات على خلاف ظاهرها المفضي إلى التجسيم لكون ظاهرها لا يتوافق مع العقل، وهو قول للمعتزلة، فهذا عبد الجبار القاضي المعتزلي يؤيد هذا الكلام حيث يؤول ويفسر الاستواء بالاستيلاء والغلبة، وذلك مشهور في اللغة، والعين تؤول بالعلم عنده، والوجه تؤول بالذات، والبدن واليد تؤول بالقوة أو بالنعمة، والجنب تؤول بالطاعة، واليمين تؤول بالقوة، والساق تفسر بالشدة (٣٥).

القول الرابع: (إثبات التجسيم مع التفويض) يذهب أصحابه إلى إطلاق الصفات الخبرية الواردة في القرآن الكريم والسنة على الله تعالى دون بيان أيّ مراد حقيقي لها، بل تفويض المراد منها إليه تعالى يقول الشهرستاني: «إن جماعة من السلف يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤولون ذلك إلّا أنهم يقولون هذه الصفات قد وردت من الشرع.. وإنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه، مثل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ

﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ٥ ومثل قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص٧٥، ومثل قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ الفجر: ٢٢.. ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له وليس كمثله شيء»[٣٦]، وذهب إلى هذا القول أحمد بن حنبل ومالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وآخرون[٣٧].

ويبدو أن السبب وراء هذا القول هو إيمان هؤلاء بكون هذه الآيات التي وردت في الصفات الخبرية من المتشابهات المنهي عن تأويلها باعتقادهم، وهذا توهم واضح منهم فهي ليست من ذلك.

وهذا القول لبعض الأشاعرة الذين «.. لم يتعرضوا للتأويل، ولا تهدفوا للتشبيه منهم: مالك بن أنس؛ إذ قال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ومثل أحمد بن حنبل وسفيان الثوري..»[٣٨].

القول الخامس: (إمكانية التوفيق في معرفة الصفات)، ويؤمن أصحاب هذا القول بإمكانية العقل بالتوفيق، بين عجز الإنسان الذاتي والمحدود عن معرفة حقيقة الصفات وكنه ذاته المقدسة بشكل تام من جانب، وبين معرفة ذات الواجب وصفاته بشكل من الأشكال من جانب آخر.

فالعقل بعد أن استدل على وجوده، وبعد أن استدل على عدم إمكان اتصافه بصفات المخلوقين، هنا يأتي دور التوفيق بين هذين طريق معرفة الصفات بالتدبر فيها من خلال مدلولاته التصديقية خلافاً للمعطلة وعدم التمسك بالمدلول التصوري لها خلافاً للمشبهة. وفي هذا المقام يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته»[٣٩].

والإمام (عليه السلام) يبين مقدار المعرفة المطلوبة بين حد من ينكر ويجهل الصفات وبين حد من يبالغ في معرفة كنه ذاته، فبيّن مقدار المعرفة المثلى بأن تكون وسط بين الأفراط بالتشبيه وبين التفريط بالتعطيل «والعقول وإن كانت غير مأذونة في تحديد الصفات الإلهية لكنها غير محجوبة عن التعرف حسب ما يمكن»[٤٠].

وعن أبي جعفر (عليه السلام): في جوابه للسائل الذي سأله هل يجوز أن يقال لله تعالى إنّه شيء؟ فقال (عليه السلام): «نعم، يخرجه من الحدّين: حد التعطيل، وحد التشبيه»[٤١]، وفي حديث آخر عن الرضا (عليه السلام): «..أعرِّفه بما عرف به نفسه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه يعرف بالآيات ويثبت بالعلامات»[٤٢].

والتعطيل كما عند المجلسي: «هو عدم إثبات الوجود والصفات الكمالية والفعلية والإضافية له تعالى، وحد التشبيه الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات»[٤٣].

ومن كلام له (عليه السلام) يدخل في باب بيان صفاته وكيفية معرفته وقد سأله رجلاً:

«..فقال يا أمير المؤمنين: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال (عليه السلام): **أَفَأَعْبُدُ مَا لا أَرَى؟** قال: وكيف تراه؟ قال: **لاَ تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْايمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلاَمِس، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِن، مُتَكَلِّمٌ بِلاَ رَوِيَّة، مُرِيدٌ بِلاَ هِمَّة، صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَة، لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لاَ يُوصَفُ**

بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ» (٤٤).

ويقول الإمام (عليه السلام) في هذا المقام وهو يصف الله تعالى: «فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لاَ تَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلاَ يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ..» (٤٥).

ومن خطبة له (عليه السلام) يتحدث بها عن صفات الجلال يقول فيها: «..لاَ تَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ عَلى صِفَةٍ، وَلاَ تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلاَ تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ، وَلاَ تُحِيطُ بِهِ الأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.» (٤٦).

المطلب الرابع: التوحيد السليم يتنافى مع القول بالتجسيم

اتفقت كلمة الإلهيين على وجود إله لهذا الكون وذكروا العشرات بل المئات من الأدلة الفلسفية والكلامية والعلمية على هذا الأمر حتى قيل: وفي كل شي له آية تدل على أنه واحد. واتفقت كلمة المسلمين أيضاً على توحيده تعالى بالأدلة القرآنية، فالتوحيد والإيمان بوجود الله أمر فطري (٤٧) جبل عليه الإنسان. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] والأحاديث كثيرة في تفسير الفطرة بالتوحيد، فعن زرارة، قال: «سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾؟ قال: فطرهم جميعاً على التوحيد» (٤٨).

ولكن الكلام هل التوحيد هذا بقي ثابتاً ولم يزعزعه الآخرون نتيجة سوء الفهم للمراد من التوحيد بعد ابتعادهم عن العيون الصافية وابتعادهم عن باب مدينة علم النبي الأمر الذي أدى إلى تحريف في التوحيد والوقوع في أوهام التجسيم والحد والمكان. الأمر الذي يخالف

ما صرح به سيد الموحدين وإمام المتقين في كلامه الوارد في الكتب الروائية مثل نهج البلاغة وغيره. وهذا ما سيتضح في المبحث القادم.

وينبغي أن يعلم أن القول بالتشبيه والتجسيم يعد في مدرسة أهل البيت منافياً لمعرفة الله تعالى وتوحيده، فلا معرفة حقيقية وتوحيد سليم مع القول بالتشبيه أو التجسيم، وما يدل على قولنا ما ورد في توحيد الصدوق: «قيل للإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام): يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد (عليه السلام) المنبر فقعد ملياً لا يتكلم، ثم قال: «**أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفه الله توحيده.. فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا اياه وحّد مَن اكتنههُ، ولا حقيقته أصاب مَن مثّله، ولا به صدّق مَن نهّاه..**»[٤٩].

فلهذا تعد مسألة نفي التجسيم ولوازمه من الحد والحيز والمكان والتحيّز من المسائل التي تصنف ضمن مسائل أصول الدين والتي يتوقف عليه باقي الأمور، ومن ثم فلا قيمة لمسائل العبادات وغيرها ما لم تتم معرفة الإله عن طريق أسمائه وصفاته، فهي الأصل التي تتوقف عليه المعارف الدينية فإن صحت صح ما سواها، وحينئذ إن لم تصح هذه المعارف فلا يستبعد دخول الإنسان في محاذير لا ترضي الله تعالى كدخوله في الشرك من حيث لا يعلم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٨].

وبعد كل هذا. يطرح سؤال إن كان الإمام علي (عليه السلام) وهو باب مدينة علم النبي وتلميذه والخليفة الرابع عند عموم المسلمين والذي بيّن في خطبه ورسائله

وكلماته الحكيمة ما لم يأتي به أحد في ما يتعلق بصفاته وأسماءه وأفعاله تعالى، فلماذا لا يستنار بكلامه وجعله القول الفصل لحل الخلاف وتوحيد الكلمة في أسمائه وصفاته من قبل علماء المسلمين من أشاعرة وسلفية وغيرهما حيث تراهم يعتمدون على السلف من صحابة وتابعين وعلى أهل الحديث دون الإمام (عليه السلام).

المبحث الثاني

التوحيد ونفي التجسيم في كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

المطلب الأول: لماذا البحث عن نفي التجسيم في كلام الإمام (عليه السلام)؟

هنا لابد من الإشارة إلى مسألة مهمة وهي رجوع أغلب المذاهب والفرق الإسلامية - فيما يتعلق بأسمائه تعالى وصفاته وأفعاله وكل ما يستدل به على التوحيد - إلى كلام الإمام علي (عليه السلام) بوصفه خير سلف، فعلماء الكلام جميعاً عيال على خطب الإمام علي (عليه السلام) وكلماتهم مأخوذة من عين صافية منه[٥٠] إلّا أنّ الكثير منهم مع ذلك لم يَعِ كلام الإمام (عليه السلام) وعياً تامًّا، فخلط بين كلامه وكلام غيره، فنتج الخلاف وتعددت الآراء فيما يتعلق بأسمائه تعالى وصفاته وأفعاله.

ويكفينا كتاب «نهج البلاغة» جمع الشريف الرضي لإثبات ذلك، ولا سيما في أبحاث التوحيد والعدل، فهذا السيد المرتضى يقول: «اعلم أنّ أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وخطبه، فإنها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية ورائه، ومن تأمل المأثور من ذلك في كلامه، علِم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعدُ في تصنيفه وجمعه

إنّما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأُصول..»[٥١].

وأمّا شيخ المعتزلة القاضي عبد الجبار فيقول: فأما أمير المؤمنين (عليه السلام)، فخطبه في بيان نفي التشبيه وفي إثبات العدل أكثر من تحصى..»[٥٢].

وله نص آخر يقول فيه: «وأنت إذا نظرت في خطب أمير المؤمنين وجدتها مشحونة بنفي الرؤية عن الله تعالى..»[٥٣].

وابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ) بعد شرحة لقول الإمام علي (عليه السلام) حين سئل (عليه السلام) عن التوحيد والعدل فقال: «**التَّوْحِيدُ أَنْ لا تَتَوَهَّمَهُ، وَالْعَدْلُ أَلاَّ تَتَّهِمَهُ**» قد صرح بشكل واضح برجوع المعتزلة إلى كلامه (عليه السلام) قائلاً: «..وجملة الأمر أنّ مذهب أصحابنا في العدل والتوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين، وهذا الموضع من المواضع التي قد صَرح فيها بمذهب أصحابنا بعينه، وفي فرش كلامه من هذا النمط ما لا يحصى»[٥٤].

وكذلك صرح الرازي (ت ٦٠٤هـ) في مسألة الجهر والإخفات في البسملة قوله: «إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى، والدليل على ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): **اللهم أدر الحق مع علي حيث دار**»[٥٥].

ولهذا صح القول: (إنَّ المؤسس الأول لعلم الكلام هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنّه أول من تكلم بين الصحابة حول أسمائه سبحانه وصفاته وأفعاله بوجه بديع وخطبه وكلماته أفضل شاهد على ذلك)[٥٦] ولهذا سيتضح أنَّ خطب الإمام أمير المؤمنين (عليهم السلام) والتي كان يرتجلها ارتجالاً صريحة

في إثبات الحق تعالى وتوحيده من جانب وتدل على أنه تعالى ليس بجسم ولا يشبهه شيء ولا تدرك العقول ولا الأوهام كيفيته ولا كنهه، ومن خالفهم في ذلك وابتعد عن كلامهم فعقيدته فيها نظر.

المطلب الثاني: أحاديث التوحيد الحق في كلام الإمام (عليه السلام)

عُرف علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأولاده بالتوحيد وعنهم أخذ علماء الشيعة الاثنا عشرية حتى قيل: «التوحيد والعدل علويان والتشبيه والجبر أمويان»، لأثرهم الواضح في صيانة التوحيد والعدل عن كل شائبة ونفي التشبيه والتجسيم وكل ما يتعلق بهما من لوازم.

ونحن ذاكرون في هذا البحث ما أثر عنهم (عليهم السلام) من أحاديث وخطب وكلمات صريحة تنفي التجسيم والتشبيه منها:

فقد ثبت لكل فطن غير متعال عن الحق تنزيه الحق تعالى عن التجسيم والحد، فالإمام علي (عليه السلام) يرد على من قال بالتجسيم والتشبيه في الخطبة التي تعرف بخطبة الأشباح ومن على منبر الكوفة حيث أتاه رجلاً فقال له: يا أمير المؤمنين! صف لنا ربّنا مثلما نراه عياناً.. فصعد المنبر ثمّ قال: «..فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلاَحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لاَنِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ

عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى، بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ. فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلْتَ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ»[٥٧].

وقوله (عليه السلام) هذا يدل على أنّ المشبِّهة لا يعرفون الله ولم تتيقن قلوبهم لتنزيهه تعالى عن التشبيه والمثل؛ لأنهم جعلوا الله كخلقه، والقرآن مصدق ويشهد للإمام بذلك وهو ما نبه إليه الإمام بقوله: وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي الآية تنفير عن اتباع عقيدة التشبيه وكونهم في ضلال كبير[٥٨].

وفي موضع آخر من نهج البلاغة ينزه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ساحة الله عن الحد وهو من لوازم الجسم الذي يؤدي إلى تعدد الإله ومن ثم يؤدي إلى الإخلال بالتوحيد كما بينا سابقاً بقوله: «..فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ..»[٥٩]، فيلاحظ أنَّ من يزعم إدراك كنه ذاته وإحاطته بها بالإشارة إليه بأحد الحواس من جهة ما فقد يوجب له الحد أو الحدود، فإذن يكون معدوداً لكون الإشارة الحسية جعلته مبدءا للكثرة التي تعد بها[٦٠].

وذكر أمير المؤمنين في خطبة أخرى يشير إلى عدم قدرة الإنسان بأن يجعل الله ضمن كيف معقول ومقبول وبعيد عن التشبيه وعدم تكييفه بكيف في فكر وعقل الإنسان في قوله: «وَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا

مُكَيَّفاً، وَلاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً...»[٦١].

كما يذكر الإمام (عليه السلام) الملائكة المعروفين بقربهم من الله تعالى وطاعتهم اياه وتنزههم لله عن التجسيم: «..لاَ يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بالتَّصْوِيرِ، وَلاَ يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ المَصْنُوعِينَ، وَلاَ يَحُدُّونَهُ بِالأماكِنِ، وَلاَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ»[٦٢]، والمراد من قوله يعني: «من أشار إلى معبوده بنظير وتوهمه بتصوير فقد جعل له من المكان غاية ومن المحل نهاية ومن حده بالمحال والجهات فقد جعله من المعدودات ومن قال إنه حال في شيء فقد جعله من الأعراض الحادثات ومن تصوره مستقراً على العرش فقد أخلى منه الأرضين والسماوات، وفي ذلك رد على المجسمة والحلولية»[٦٣].

وقال في خطبة له قد جمعت فيها من أصول العلوم والمعرفة في المقام ما لا تجمعه خطبة أخرى حيث يخبر عن عدم استطاعة أي شخص عن وصفه بكيفٍ معيَّن وهي: «مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، وَلاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلاَ إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلاَ صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوف بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِم فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ... وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لاَ ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لاَ قَرِينَ لَهُ.... ولاَ يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ ؟! إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، وَلاَمْتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ، وَلاَلْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ. وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ، وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الاْمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ... لاَ تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ،

وَلاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلاَ تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، وَلاَ تَلْمِسُهُ الأَيْدِي فَتَمَسَّهُ. وَلاَ يَتَغَيَّرُ بِحَال، وَلاَ يَتَبَدَّلُ فِي الأَحْوَالِ، وَلاَ تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلاَمُ، وَلاَ يُوصَفُ بِشَيء مِنَ الأَجْزَاءِ، وَلاَ بِالْجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ، وَلاَ بِعَرَض مِنَ الأَعْرَاضِ، وَلاَ بِالْغَيْرِيَّةِ وَالأَبْعَاضِ.. لَيْسَ فِي الأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، وَلاَ عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لاَ بِلِسَان وَلَهَوَات، وَيَسْمَعُ لاَ بِخُرُوق وَأَدَوَات، يَقُولُ وَلاَ يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلاَ يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلاَ يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّة، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّة. يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ: (كُنْ فَيَكُونُ)، لاَ بِصَوْت يَقْرَعُ، وَلاَ بِنِدَاء يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلاَمُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلهاً ثَانِياً»(٦٤).

وله في نفي الجسم ولوازم التجسيم أقوال منها قوله (عليه السلام):

«لاَ يُشْمَلُ بِحَدّ، وَلاَ يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الأَدوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الآلاَتُ إِلَى نَظَائِرِهَا... وَلاَ يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلاَ نِهَايَةٌ، وَلاَ انقِطَاعٌ وَلاَ غَايَةٌ، وَلاَ أَنَّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ، فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ»(٦٥).

وقوله: «..هُوَ الأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلا أَجَل، خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ، حَدَّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا، لاَ تُقَدِّرُهُ الأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلاَ بِالْجَوَارِحِ وَالأَدَوَاتِ»(٦٦).

وذكر في محل آخر قوله (عليه السلام): «لاَ يُدْرَكُ بِوَهْم، وَلاَ يُقَدَّرُ بِفَهْم.. وَلاَ يُحَدُّ بِأَيْن... وَلاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلاَ يُقَاسُ بِالنَّاسِ..»(٦٧)

وقال أيضاً: «فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعدُ الهمم، ولا يناله غوص الفطن وتعالى الذي ليس له وقتٌ

معدود ولا أجل ممدود ولا نعتُ محدود» (٦٨).

وفي كتاب التوحيد للصدوق ينقل خطبة طويلة للإمام (عليه السلام) يشير فيها إلى من يدَّعي بأن الله له حد محدود فقد يقود ذلك الإنسان إلى الجهل بالله فيقول: «**فمن زعم أن إله الخلق محدود فقد جهل الخالق المعبود..**» (٦٩).

وفي محاورة بين الإمام أبي الحسن (عليه السلام) مع أحد الزنادقة وفيها يسأل هذا الزنديق أسئلة كثيرة، إلى أن يصل إلى قوله: «فحِدّه لي؟ قال الإمام: لا حد له. قال: ولِمَ؟ قال: لأن كل محدود متناه إلى حد فإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان فهو غير محدود ولا متزايد ولا متناقص ولا متجزٍّ ولا متوهم..» (٧٠).

وفي رواية الشيخ الصدوق في التوحيد: «خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوماً خطبة بعد العصر، فعجب الناس من حسن صفته وما ذكر من تعظيم الله جل جلاله، قال أبو إسحاق: فقلت للحارث: أوما حفظتها؟ قال: كتبتها، فأملاها علينا من كتابه. وممَّا جاء فيها: ...الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسد، والمرتدي بالجلال بلا تمثل.. والمتعالي عن الخلق بلا تباعد منهم القريب منهم بلا ملامسة، ليس له حد ينتهي إلى حده ولا له مثل فيعرف بمثله...» (٧١).

وأيضاً ما نقله الكليني في (الكافي) عن محمد الهمذاني قال كتبتُ إليه (عليه السلام) أنّ من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد.. فكتب (عليه السلام) بخطهِ: «سبحان من لا يُحدّ ولا يُوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم..» (٧٢).

وفي ما يتعلق في نفي المكان عن

الله عز وجل والذي هو من لوازم التجسيم يقول أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (عليه السلام): «سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا يُحدّ ولا يحسّ ولا يجسّ ولا يمسّ ولا يحيط به شيء»، لا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد..» (٧٣).

يتبين ممَّا تقدم أنَّ القول بالتشبيه والتجسيم والحد قول باطل وفاسد؛ لكونه لا يتفق مع البراهين سواء كانت عقلية أم نقلية فهو قول غير معقول بنفسه أولاً، ولتعارضه مع ما جاء من كلمات لأمير المؤمنين في نفي التشبيه والحد والتجسيم ثانياً، فضلاً عن تعارضه لأدلة التوحيد ثالثاً. كما أنّ القول بالتعطيل أفسد؛ لكون الإمام (عليه السلام) في كثير من كلامه يصف الله بأوصاف تناسب تنزيهه وعلى نحو يليق بالإنسان الكامل فلِماذا التعطيل؟ قال (عليه السلام): «.. ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلاَمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ..» (٧٤).

وللإمام خطب كثيرة ينفي فيها الأعضاء والجوارح والحواس والآلات والأدوات وبشكل مختلف في كل خطبة.

ومن كلام له (عليه السلام) يدخل في باب بيان صفاته «..وقد سأله ذِعلبٌ اليماني فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال (عليه السلام): أَفَأَعْبُدُ مَا لا أَرَى؟ قال: وكيف تراه؟ قال: لاَ تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْأيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلاَمِس، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِن، مُتَكَلِّمٌ بِلاَ رَوِيَّة، مُرِيدٌ بِلاَ هِمَّة، صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَة، لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ،

رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ» (٧٥).

وَمَنْ قَالَ: أَيْنَ، فَقَدْ حَيَّزَهُ. عَالِمٌ إِذْ لاَ مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لاَ مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لاَ مَقْدُورٌ» (٧٦).

وله خطبة (عليه السلام) في بيان صفات الله جل جلاله، «..الْحَمْدُ لله الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِه، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ. لاَ تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ. الأَحَدُ لاَ بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالْخَالِقُ لاَ بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعُ لاَ بِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرُ لاَ بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدُ لاَ بِمُمَاسَّةٍ، وَالْبَائِنُ لاَ بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرُ لاَ بِرُؤْيَةٍ، وَالْبَاطِنُ لاَ بِلَطَافَةٍ. بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ. مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: كَيْفَ، فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: أَيْنَ، فَقَدْ حَيَّزَهُ. عَالِمٌ إِذْ لاَ مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لاَ مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لاَ مَقْدُورٌ» (٧٦).

وفي خطبة أخرى ينفي عن الله مجموعة من الصفات السلبية والتي تعود إلى نفي الجسم عنه تعالى؛ إذ يقول: «الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلا أَجَلٌ مَمْدُودٌ...أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ» (٧٧).

وله أيضاً قوله: «..كَائِنٌ لاَ عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شيء لا بِمُزَايَلَةٍ فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ

وَلاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ» (٧٨).

وله خطبة (عليه السلام) يقول عنها الشريف الرضي أنها تحوي جملة من صفات الربوبية والعلم الإلهي وهي: «الْحَمْدُ لله الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلاَمُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ؛ فَلاَ عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلاَ قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ، سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلاَ اسْتِعْلاَؤُهُ بِاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلاَ قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي المَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، ولَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً!» (٧٩).

وفي ما يتعلق في نفي الحلول يقول عليه السلام: «..لَمْ يَحْلُلْ فِي الأَشْيَاءِ فَيُقَالَ: هُوَ فيها كَائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ..» (٨٠).

وفي ما يتعلق في نفي الانتقال من مكان لآخر يقول (عليه السلام): «....الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَالرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الحَالُ، وَلاَ كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الانتِقَالُ» (٨١).

وفي خطبة أخرى يبين عجز الأوصاف في أن تصفه، يقول (عليه السلام): «الْحَمْدُ لله الَّذِي انْحَسَرَتِ الأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ! هَوَ اللهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلا..» (٨٢).

أمَّا في كلامه هذا: «لاَ يُقَالُ لَهُ:

مَتَى؟ وَلاَ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى، الظَّاهِرُ لاَ يُقَالُ: مِمَّ؟ وَالْبَاطِنُ لاَ يُقَالُ: فِيمَ؟، لاَ شَبَحٌ فَيُتَقَصَّى، وَلاَ مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ..» [٨٣] فهنا يبين عدم إمكان استعمال أدوات الاستفهام بخصوصه لنستدل على صفاته وما ذلك إلّا لكونه قد «.. ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلاَمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ...» [٨٤] «.. وَلاَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، وَلاَ يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلاَ يُوصَفُ بِالأَزْوَاجِ، وَلاَ يُعَالَجُ بِعِلاَجٍ، وَلاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلاَ يُقَاسُ بِالنَّاسِ..» [٨٥].

ومن جميل كلامه وبلاغته التي جمع فيها الدلائل على حسن العقيدة وبيان صفته تعالى قوله (عليه السلام): «الْحَمْدُ لله الَّذِي لاَ تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلاَ تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلاَ تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ، الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ، وَاحِدٌ لاَ بِعَدَدٍ، وَدَائِمٌ لاَ بِأَمَدٍ، وَقَائِمٌ لاَ بِعَمَدٍ، تَتَلَقَّاهُ الأَذْهَانُ لاَ بِمُشَاعَرَةٍ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لاَ بِمُحَاضَرَةٍ، لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا، لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، وَلاَ بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً بَلْ كَبُرَ شَأْناً، وَعَظُمَ سُلْطَاناً» [٨٦].

وفي الختام لابد من الإشارة إلى أنَّ كلامهم (عليهم السلام) نور لا يعيه إلّا من فتح الله قلبه وعقله لمحبيهم (عليهم السلام)، ومصداق

لهذا الحديث المتقدم قول الإمام علي (عليه السلام)؛ إذ يقول: «إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لاَ يَحْتَمِلُهُ إِلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَلاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ» (٨٧).

ولو قرأنا كلامه وكلام الأئمة الآخرين (عليهم السلام) لوجدنا الكثير من هذه الألفاظ التي تدل على التوحيد ونفي التجسيم والتشبيه.. وقد أجاد وأبدع كل من قطب الدين الكيذري (من أعلام القرن السادس) في كتابه المسمى حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، وابن ميثم البحراني في شرحه لنهج البلاغة، في بيان الكثير من هذه الأمور (٨٨).

فلو اجتمع الإنس والجن على بيان التوحيد السليم لفظًا وقلبًا وعملاً بمثل توحيده وتوحيد أولاده (عليهم السلام) لما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا، فهم من علّم الناس كيفية الإيمان والاعتقاد بتوحيد الله الخالص من كل شائبة.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين..

وبعد: فها أنا ذا أُحطُّ رحلي بعد جولة علمية مباركة عشتها مع دراسة موضوع (نفي التجسيم وأثره في صيانة التوحيد في ضوء حديث الإمام علي (عليه السلام) دراسة وصفية)، فتمخض لي مجموعة من النتائج الآتية:

١) للوصول إلى توحيد سليم خال من التجسيم لابد من أن تكون أوصاف الله تعالى بعيدة عن حد التعطيل وحد التشبيه.

٢) ارتباط مفهوم التجسيم بموضوع الصفات الخبرية -وبالخصوص في ما يتعلق بالآيات

المحكمات والآيات المتشابهة - لكونها أخذت بعداً فكريًّا في الساحة العلمية بحيث لا يمكن دراستها بشكل مستقل إلّا بعد بيان المراد منهما لارتباط تلك المفاهيم بالتجسيم.

٣) القول بالتجسيم من المسائل التي كانت موجودة حتى قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو معروف في الأديان البدائية أكثر من غيرها.

٤) إن القول بالتجسيم من التهم الخطرة والعقائد الباطلة بحسب العقل والنقل، لذا حاول كل ذي عقل سليم تجنب الاتصاف بها من جانب، ورمي الآخرين بها من جانب آخر.

٥) البحث في مسألة الصفات الإلهية أنتج أقوالا متعددة في المسألة أدى إلى بروز فرق مثل المشبهة والمعطلة والمؤولة.

٦) إنّ كل ما يستدل به على التوحيد السليم يرجع إلى كلام الإمام علي (عليه السلام)، فكلمات علماء الكلام جميعاً مأخوذة من أحاديثه البليغة إلّا أن كلامه (عليه السلام) نور لا يعيه إلّا من فتح الله قلبه وعقله لحديثهم (عليهم السلام).

٧) لو اجتمع الإنس والجن على بيان التوحيد السليم لفظا وقلبا وعملاً بمثل توحيده وتوحيد أولاده (عليهم السلام) لما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا.

٨) إنّ خطب الإمام أمير المؤمنين (عليهم السلام) والتي كان يقولها ارتجالاً صريحة في إثبات الحق تعالى وتوحيده من جانب، وتدل على أنه تعالى ليس بجسم ولا يشبهه شيء ولا تدركه العقول ولا تبلغه الأوهام، ومن خالفهم في ذلك وابتعد عن كلامهم فعقيدته فيها نظر.

وبعد هذا الجهد المتواضع أتمنى أن أكون قد وفقتُ في دراستي لهذا

الموضوع الشائق والممتع، موضحاً الأقوال في المسألة ببيانٍ لا ملل فيه ولا تقصير معتمدا على حديث الإمام علي (عليه السلام) في إثبات الحق في المسألة، ووفقني الله وإياكم لما فيه صالحنا جميعاً.

وفي الختام أدعو الله أن تكون دراستي خالصة لوجهه الكريم، فإن أصبتُ فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، والحمد لله رب العالمين.

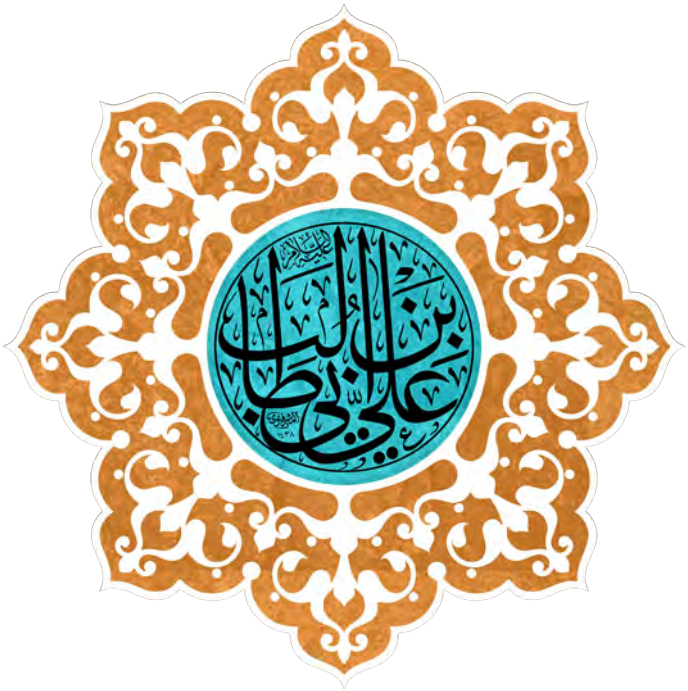

الهوامش:

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق أنس محمد الشامي (دار الحديث، القاهرة، ب ط، ٢٠٠٨ م) ص١٦٧.

(٢) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (دار الدعوة، استانبول، ط/ ٢، ١٩٨٩م) ج١ ص١٢٢

(٣) التهانوي، محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، إشراف د: رفيق العجم، تحقيق: د علي دحروج (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٩٩٦ م) ص٥٦١.

(٤) الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت٨١٦هـ): التعريفات (دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط/ ١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) ص٦١.

(٥) صليبيا، جميل: المعجم الفلسفي للألفاظ العربية (دار الكتاب، لبنان، د ط، ١٩٨٢م) ج١ ص٤٠٢.

(٦) الحلي، يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ - ١٣٢٥م): كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (مؤسسة النشر الإسلامي، ط/ ١٣، قم المقدسة، ١٤٣٢هـ) ص٤٠٤ وما بعدها.

(٧) شمس الدين، محمد جعفر: دراسات في العقيدة الإسلامية (دار الهادي، بيروت، ط/ ٥، ٢٠٠٦م) ص١٤٦ ١٤٧ (بتصرف)

(٨) ابن المناوي، عبد الرؤوف (٩٥٢هـ ١٠٣١هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح (عالم الكتب، القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٠م) ص١٣٦.

(٩) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات ص٦٧.

(١٠) المصدر السابق، ص٧٧.

(١١) المصدر السابق، ص٨.

(١٢) التهانوي، محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ص٩١ (بتصرف).

(١٣) العاملي، حسن مكي: بداية المعرفة (دار الزهراء، ايران قم، ط/ ١، ١٤٢٩هـ) ص١٨٣

(١٤) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات ص٩٣

(١٥) المصدر السابق، ص٤٥.

(١٦) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي، ضبط نصه الدكتور صبحي الصالح (دار الحديث، قم المقدسة، ط/ ٣، ١٤٢٦ هـ) ص٢٧

(١٧) القراؤون: وهم من الفرق اليهودية، ولا يقدسون إلّا العهد القديم ومن ثم لا يعترفون بالتلمود، ويقولون بالاجتهاد فللخلف تصحيح خطأ السلف. ينظر: شلبي، أحمد: موسوعة مقارنة الأديان (اليهودية) (بدون بطاقة) ج١ ص١٦٦.

(١٨) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق عادل أحمد إبراهيم، (مكتبة فياض، مصر - المنصورة، ط/ ١، ٢٠١٣م) ص١٠٨

(١٩) كعب الأحبار: «هو كعب بن ماتع الحميري، تابعي وكان من كبار علماء اليهود في اليمن، أسلم في زمن أبي بكر وجاء المدينة في أيام عمر، أخذ عنه الصحابة الكثير من أخبار الأمم الغابرة، توفي في الشام (ت ٣٢هـ) عن مئة وأربع سنين». ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام (دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ١٥، ٢٠٠٢ م) ج ٥ ص٢٢٨

(٢٠) البوطي، محمد سعيد: كبرى اليقينيات الكونية (دار الفكر، دمشق، ب ط، ١٩٩٧م) ص١٣٨

(٢١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ١، د س) ص٣٧٦ ٣٧٧

(٢٢) الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٠٧- ١٠٨

(٢٣) كمقاتل بن سليمان المجسم (ت١٥٠هـ)، والكراميّة أصحاب محمد بن كرّام وإمامهم (ت٢٥٥هـ) ينظر: السبحاني، جعفر: معجم طبقات المتكلمين (مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم المقدسة، ط/ ١، ١٤٢٤هـ) ج١ ص١٢٩ - ١٣٠؛ البغدادي، عبد القاهر: الفَرقُ بين الفِرق (دار الكتب

العلمية، ط/ ٣، بيروت / لبنان، ٢٠٠٥ / ١٤٢٦هـ) ص١٦١

(٢٤) الشهرستاني: الملل والنحل ص٢٢٤ ٢٢٦

(٢٥) الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، رئيس المحدثين ورأس الامامية يُضرب بحفظه المثل له مناظرات بحضور ركن الدولة البويهي، له ما يقارب ثلاثمائة مؤلَّف. ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء (مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م) ج ١٦ ص ٣٠٣.

(٢٦) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: التوحيد (دار المرتضى، بيروت / لبنان، ط / ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) ص٥ - ٦

(٢٧) الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٢٢- ١٢٣.

(٢٨) الحيدري، كمال: التوحيد عند الشيخ ابن تيمية (توزيع مكتبة الكلمة، بغداد، د ط، دس) ص٤٧

(٢٩) ينظر: السبحاني، جعفر: الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل (مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) للنشر، ط/ ٦، قم المقدسة، ١٤٢٦ هـ) ج ١ ص٨٥؛ الحيدري، كمال، دروس في التوحيد، (دار فراقد، ط / ٢، قم - إيران ٢٠١٢م) ص٥٥.

(٣٠) البغدادي، عبد القاهر: الفَرقُ بين الفِرق ص١٦٢

(٣١) الشهرستاني: الملل والنحل ص١٢٢

(٣٢) لبيان تلك الأدلة ينظر: الحلي، يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ - ١٣٢٥م): كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ص٤٠٤ وما بعدها؛ السيوري، المقداد بن عبد الله (ت٨٢٦هـ): النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر (بدون بطاقة) ص٧٤ ٧٥

(٣٣) الأشعري، أبو الحسن علي بن أبي بشر: الإبانة في أصول الديانة (مكتبة

الثقافة، القاهرة، ط/ ١، ٢٠٠٩م) ص١٢.

(٣٤) عبد الحميد، عرفان: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (المؤسسة اللبنانية للكتاب، ط/ ١، بيروت، ٢٠١٤م) ص ٢١١

(٣٥) المعتزلي، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ٢، ٢٠٠١م) ص١٥٠ ١٥٣ (بتصرف).

(٣٦) الشهرستاني: الملل والنحل ص١٠٧

(٣٧) المصدر السابق ص١٢١

(٣٨) المصدر السابق ص١٠٨

(٣٩) الإمام علي بن ابي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١٠١

(٤٠) الكلبايكاني، علي الرباني: محاضرات في الإلهيات (دار الميزان، بيروت لبنان، د ط، ١٤١٤هـ) ص٧٧

(٤١) الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ): أصول الكافي (منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، ط/ ١، ٢٠٠٧م) كتاب التوحيد، باب إطلاق القول بأنه شيء ج١ ص٤٨

(٤٢) الصدوق: التوحيد ص٢٧

(٤٣) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار الكتاب الثاني (مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة، ط/ ١، ١٤٣٠ هـ) كتاب التوحيد، باب النهي عن التفكر في ذات الله، ج ٢ ص١٣٦.

(٤٤) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٣٨٢

(٤٥) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١٩٧

(٤٦) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١٥٣

(٤٧) الأمر الفطري أو ما يعبر عنه بالأمر الوجداني هو ما امتاز بثلاث مميزات: -

أولاً: إن الأمور الفطرية لكل نوع من الموجودات مشتركة في أفراد ذلك النوع كُلها وإن اختلفت كيفية وجودها في الأفراد: ضعفا وشدّة. ثانياً: الأمور الفطرية ثابتة دائما على امتداد التاريخ، ولا

يمكن لفطرة موجودة أن يكون لها اقتضاء معين في مرحلة زمنية، بينما لها اقتضاء آخر في مرحلة زمنية أخرى، ثالثاً: الأمور الفطرية لا تحتاج في وجودها إلى التعليم والتعلم وإن احتاجت إلى التربية والتعليم في تقويتها وتنميتها.

ينظر: اليزدي، محمد تقي مصباح: دروس في العقيدة الإسلامية (المشرق للثقافة، طهران، ط/ ١، ٢٠٠٧م) ص٥٩

(٤٨) الكليني، محمد بن يعقوب: أصول الكافي ج٢ ص١١

(٤٩) الصدوق: التوحيد ص٢٠

(٥٠) يؤيد ذلك: ما نُقل في كتب الأخبار منها: «روي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري وإلى عمرو بن عبيد وإلى واصل بن عطاء وإلى عامر الشعبي، أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر، فكتب إليه البصري: إن أحسن ما انتهى إليّ ما سمعته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنّه قال: أتظن أنّ الذي نهاك دهاك ؟ وإنّما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذلك، وكتب إليه بن عبيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): لو كان الزور في الأصل محتوماً لكان المزوّر في القصاص مظلوماً، وكتب إليه واصل: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): أيدلك على الطريق ويأخذ عليك المضيق، وكتب إليه الشعبي: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): كلما استغفرت الله منه فهو منك، وكلما حمدت الله عليه فهو منه. فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج ووقف عليها، قال: لقد أخذوها من عين صافية».

ينظر: المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار ج ٥ ص٥٩؛ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/ ١، ١٩٩٧م)

ج١ ص١٠٥ - ١٠٦.
(٥١) الشريف المرتضى، علي بن الحسين (ت٣٥٥هـ): غرر الفوائد ودرر القلائد (المعروف بأمالي المرتضى)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار إحياء الكتب العربية، ط/ ١، ١٩٥٤م) ج ١ ص١٤٨
(٥٢) للمعتزلي، القاضي عبد الجبار: كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد (الدار التونسية للنشر، د ط، د س) ص١٦٣
(٥٣) المعتزلي، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص١٧٩
(٥٤) المعتزلي، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الكتاب العربي، بغداد، ط/ ١، ٢٠٠٧م) ج ٢٠ ص٣٧٧
(٥٥) الرازي، فخر الدين محمد: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب (دار الفكر، بيروت، ط/ ١، ١٩٨١م): ج ١ ص٢١٠
(٥٦) السبحاني، جعفر: معجم طبقات المتكلمين ج١ ص١١
(٥٧) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١٧١ ١٧٢
(٥٨) البحراني، ميثم بن علي (ت ٦٧٩هـ): شرح نهج البلاغة (منشورات مؤسسة النصر، المطبعة الحيدرية، طهران، ط/ ١، ١٣٧٨هـ) ج٢ ص٣٣٩ (بتصرف).
(٥٩) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٢٠
(٦٠) البحراني، ميثم بن علي (ت ٦٧٩هـ): شرح نهج البلاغة ج١ ص١٢٤ ١٢٥ (بتصرف).
(٦١) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١٧٢
(٦٢) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٢٣ ٣٤
(٦٣) الكيذري، قطب الدين (من أعلام القرن السادس)، تحقيق: عزيز الله العطاردي: حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة (مطبعة اعتماد، قم المقدسة، ط/ ١، ١٤١٦هـ) ج١ ص١٢٧.

(٦٤) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٤٠٥ـ ٤٠٨

(٦٥) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٤٠٦

(٦٦) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٣٤٠

(٦٧) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٣٩٠

(٦٨) الكليني، محمد بن يعقوب: أصول الكافي كتاب التوحيد، باب جوامع التوحيد ج١ ص١٣٦

(٦٩) الصدوق: التوحيد ص٤٦

(٧٠) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب: الاحتجاج ص٤٥٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، كتاب التوحيد، باب علة احتجاب الله عز وجل عن خلقه ج ص١٢

(٧١) الصدوق: التوحيد ص١٨ـ ١٩

(٧٢) الكليني: أصول الكافي كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف الله به نفسه ج١ ص١٤٦.

(٧٣) الصدوق: التوحيد ص٦٣

(٧٤) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٣٨٨

(٧٥) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٣٨٢

(٧٦) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٣٠٩ - ٣١٠

(٧٧) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١٩

(٧٨) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١٩

(٧٩) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١٠١

(٨٠) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١١٥

(٨١) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص١٦٧ ١٦٨

(٨٢) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي، ضبط نصه

الدكتور صبحي الصالح دار الحديث، ط/ ٣، قم المقدسة، ١٤٢٦ هـ) ص٣١٦

(٨٣) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٣٤٠

(٨٤) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٣٨٨

(٨٥) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٣٩٠

(٨٦) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٤٠٠ ٤٠١

(٨٧) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي ص٤١٧

(٨٨) ينظر: البحراني، ميثم بن علي: شرح نهج البلاغة ج ١ص١٢٣ وغيرها الكثير من شروحاته.

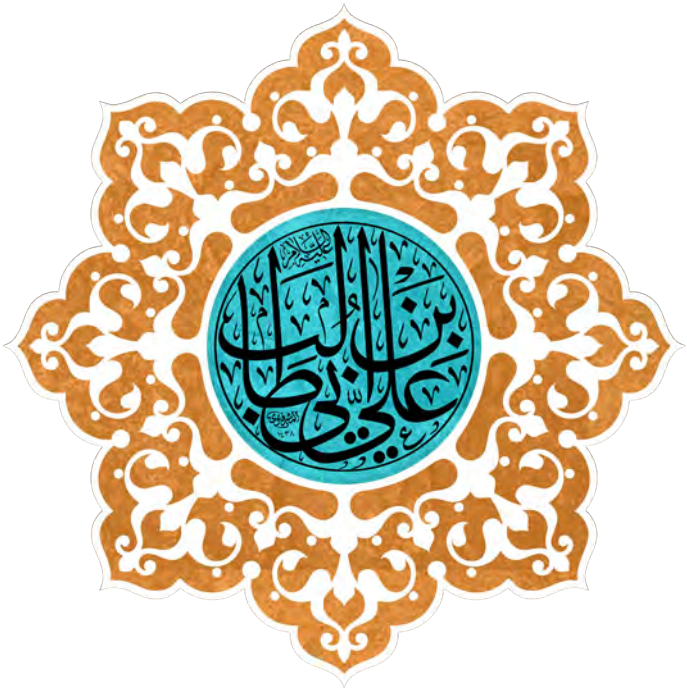

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١) ابن المناوي، عبد الرؤوف (٩٥٢هـ ١٠٣١هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح (عالم الكتب، القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٠م).

٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ١، د س).

٣) ابن فارس، أحمد بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق أنس محمد الشامي (دار الحديث، القاهرة، ب ط، ٢٠٠٨ م).

٤) الأشعري، أبو الحسن علي بن أبي بشر: الإبانة في أصول الديانة (مكتبة الثقافة، القاهرة، ط/ ١، ٢٠٠٩م).

٥) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة جمع الشريف الرضي، ضبط نصه الدكتور صبحي الصالح (دار الحديث، قم المقدسة، ط/ ٣، ١٤٢٦ هـ).

٦) الأندلسي، ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، ٢٠٠٣م).ط/ ١

٧) البغدادي، عبد القاهر: الفَرقُ بين الفِرق (دار الكتب العلمية، ط/ ٣، بيروت / لبنان، ٢٠٠٥ / ١٤٢٦هـ).

٨) البوطي، محمد سعيد: كبرى اليقينيات الكونية (دار الفكر، دمشق، ب ط، ١٩٩٧م).

٩) التهانوي، محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، إشراف د: رفيق العجم، تحقيق: د علي دحروج (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٩٩٦م).

١٠) الجرجاني، علي بن محمد: شرح المواقف لعضد الدين الإيجي (دار الكتب العلمية، ط/ ١، بيروت/ لبنان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

١١) الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت ٨١٦هـ): التعريفات (دار احياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط/ ١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

١٢) الحلي، يوسف بن المطهر

(ت٧٢٦هـ - ١٣٢٥م): كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (مؤسسة النشر الإسلامي، ط/١٣، قم المقدسة، ١٤٣٢هـ).

١٣) الحيدري، كمال، دروس في التوحيد، (دار فراقد، ط / ٢، قم - ايران ٢٠١٢م).

١٤) الحيدري، كمال: التوحيد عند الشيخ ابن تيّمية (توزيع مكتبة الكلمة، بغداد، د ط، دس).

١٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء (مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م).

١٦) الرازي، فخر الدين محمد: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب (دار الفكر، بيروت، ط/ ١، ١٩٨١م):

١٧) الزركلي، خير الدين: الأعلام (دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ١٥، ٢٠٠٢ م).

١٨) السبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل (مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، ط/ ٢، قم المقدسة، ١٤١٠هـ).

١٩) السبحاني، جعفر: الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل (مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) للنشر، ط/ ٦، قم المقدسة، ١٤٢٦هـ).

٢٠) السبحاني، جعفر: معجم طبقات المتكلمين (مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم المقدسة، ط/ ١، ١٤٢٤هـ).

٢١) السيوري، المقداد بن عبد الله (ت٨٢٦هـ): النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر (بدون بطاقة).

٢٢) الشريف المرتضى، علي بن الحسين (ت٣٥٥هـ): غرر الفوائد ودرر القلائد (المعروف بأمالي المرتضى)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار إحياء الكتب العربية، ط/ ١، ١٩٥٤م).

٢٣) شلبي، أحمد: موسوعة مقارنة الأديان (اليهودية) (بدون بطاقة).

٢٤) شمس الدين، محمد جعفر: دراسات في العقيدة الإسلامية (دار الهادي، بيروت،

ط/ ٥، ٢٠٠٦م).
٢٥) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق عادل أحمد إبراهيم، (مكتبة فياض، مصر – المنصورة، ط/ ١، ٢٠١٣م).
٢٦) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: التوحيد (دار المرتضى، بيروت/ لبنان، ط/ ١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
٢٧) صليبيا، جميل: المعجم الفلسفي للألفاظ العربية (دار الكتاب، لبنان، د ط، ١٩٨٢م).
٢٨) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط/ ١، ١٩٩٧م).
٢٩) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب: الاحتجاج (دار المتقين، بيروت، ط/ ١، ٢٠١١م).
٣٠) العاملي، حسن مكي: بداية المعرفة (دار الزهراء، إيران – قم، ط/ ١، ١٤٢٩هـ).
٣١) عبد الحميد، عرفان: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (المؤسسة اللبنانية للكتاب، ط/ ١، بيروت، ٢٠١٤م).
٣٢) عبده، محمد: رسالة التوحيد (مكتبة الاتحاد الاخوي، ط/ ٢، مصر، ١٣٤٣هـ).
٣٣) الكفعمي، جمال الدين أحمد بن علي، تحقيق، عبد الحليم عوض الحلي: معارج الإفهام إلى علم الكلام (نشر مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، ط/ ١، كربلاء المقدسة، ٢٠٠٩م).
٣٤) الكلبايكاني، علي الرباني: محاضرات في الإلهيات (دار الميزان، بيروت لبنان، د ط، ١٤١٤هـ).
٣٥) الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ): أصول الكافي (منشورات الفجر، بيروت – لبنان، ط/ ١، ٢٠٠٧م).
٣٦) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار الكتاب الثاني (مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة، ط/ ١، ١٤٣٠ هـ).

٣٧) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، (دار الدعوة، استانبول، ط/ ٢، ١٩٨٩م).

٣٨) المعتزلي، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد إبراهيم (دار الكتاب العربي، بغداد، ط/ ١، ٢٠٠٧م).

٣٩) المعتزلي، القاضي عبد الجبار: كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد (الدار التونسية للنشر، د ط، د س).

٤٠) المعتزلي، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ٢، ٢٠٠١م).

٤١) اليزدي، محمد تقي مصباح: دروس في العقيدة الإسلامية (المشرق للثقافة، طهران، ط/ ١، ٢٠٠٧م).

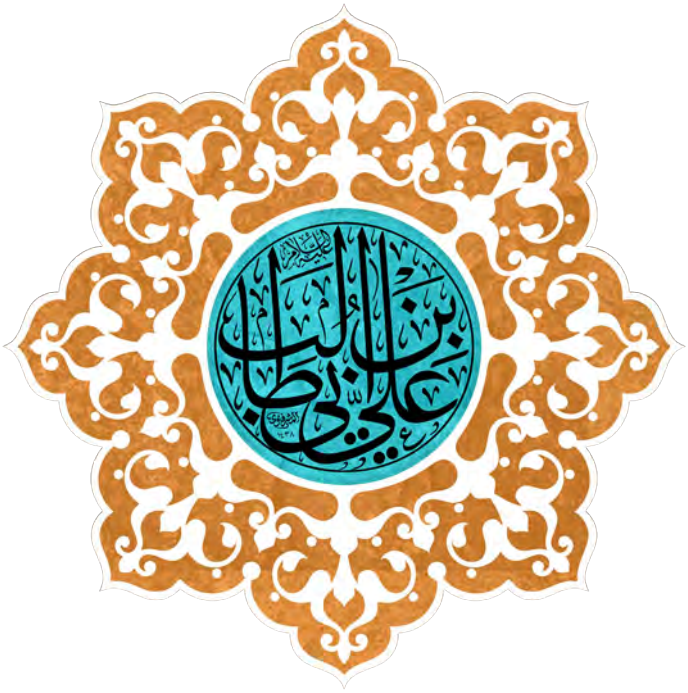

ممَّا قالت الزهراء (عليها السلام) في أثناءِ علّتها:

أَلا هَلُمَّ فَاسْمَعْ وَمَا عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ الْعَجَبَ، وَإِنْ تَعْجَبْ وَقَدْ أَعْجَبَكَ الْحَادِثُ، إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَنَدُوا وَبِأَيَّةِ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا، اسْتَبْدَلُوا الذُّنَابَى واللّه بِالْقَوَادِمِ، وَالْعَجُزَ بِالْكَاهِلِ، فَرَغْماً لِمَعَاطِسِ قَوْمٍ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ): ٣٥٤ - ٣٥٥.

INAHJ.ORG

الإمامة في نهج البلاغة
سُبُلها وأحقيَّة الإمام علي (عليه السلام) فيها

م. رزاق مهدي حمادي السعدي
جامعة بغداد- كلية التربية- قسم علوم القرآن

Imamat in Nahjul – balagha, Its path and Imam Ali's Eligibility

by Razak Mehdi Al – Saddi

Baghdad university

ملخص البحث

تكفل الله سبحانه وتعالى باختيار الأئمة قادة للأمة، ولم يجعل هذا المنصب الإلهي باختيار الناس وشوراهم، إذ أكد سبحانه وتعالى لنبيه إبراهيم (عليه السلام) أنه هو من يختار الأئمة، فأشار إلى ذلك بقوله سبحانه ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾[٥]، فلا محل للظالم في أمرة الناس؛ لأن الإيمان والعدل والزهد والأمانة والصدق وغيرها من الصفات لا تتوافر فيه، فهي واجبة فيمن نُصب إماماً للأمة، وقد بايع الناس الإمام علي (عليه السلام) في غدير خم بإمرة المسلمين، فكانت البيعة الأولى لاختيار خليفة للنبي (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى، الأمر الذي لم يستسغه جملة من الناس، فطلب بعضهم أن ينزل الله سبحانه عليه العذاب الأليم إن كان هذا الأمر منه[٦]، حقداً وحسداً للإمام علي أو طمعاً بالرياسة، فأقصي الإمام علي (عليه السلام) من منصبه الإلهي، فقد تشاور الناس في اليوم المشؤوم تحت سقيفة بني ساعدة، والفتنة التي يشعلها الشيطان تكاد تذهب بالإسلام وأهله، إلى أن خرج أهل الفتنة باختيار أول حاكم لهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

كان أمر التنصيب الإلهي للإمام علي (عليه السلام) يوجب عليه عدم السكوت، فاتخذ (عليه السلام) طرقاً عديدةً لتذكير الناس بحقه في الخلافة، من أهمها أقواله، وخطبه البليغة التي جُمعت في كتاب نهج البلاغة، والتي سجلت ووثقت كل الأحداث في تلك الحقبة كي لا تبقى حجة للناس، فقد بيَّن (عليه السلام) الحق من الباطل.

الكلمات المفتاحية: الإمامة، البيعة، السقيفة.

Abstract

From Allah favour upon Arab nation, that he had chosen the prophet Muhammad from them, and their language to be the language of the holy Quran, so Arabs and Muslims become the lords of the world.

Allah has chosen who will continue after the prophet (Imamat).

This research tracks the first Imam saying – who was chosen – stating some Issues documented by the prince of true believes in his speeches.

Keywords: Imamat, Bayah

مقدمة

تفضل الله سبحانه وتعالى على أمة العرب أن اختار منها النبي الخاتم، واختار لغتها لتكون لغة الكتاب السماوي المقدس، فأصبح العرب والمسلمون أسيادًا للعالم، وتكرم سبحانه بأن جعل لهذه الأمة من يكمل المنهاج الذي جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فكانت الإمامة التي أراد بها سبحانه أن تكمل تصاعد الأمة ورقيها نحو الكمال، فنصب النبي (صلى الله عليه وآله) خليفته من بعده بأمر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، وعين الأئمة الهداة لتتجنب الأمة العودة إلى الجاهلية فتتفرق وتفشل ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2]، وأقر الناس هذا التنصيب الإلهي، وبايعوا الإمام علي (عليه السلام) خليفةً للنبي؛ لإكمال مسيرة الأمة ونشر دينها ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3]، وما إن أغمض النبي (صلى الله عليه وآله) عينيه حتى ظهرت بوادر الفتنة السوداء، والانقلابة الكبرى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[4]، فقد نشط الشيطان وأجج نار الفتنة للنيل من هذه الأمة، فخرج الناس من هذه الفتنة باختيار خليفة لهم، تاركين من

نص عليه الله ورسوله، فكان أمام الإمام علي (عليه السلام) طريقان: أولهما أن يثور بوجه هذه الانقلابة الجاهلية، وقد ينتج من هذه الثورة سقوط هذا الدين وتمزقه والقضاء عليه، وثانيهما أن يصبر ويحتسب، فاختار الإمام علي (عليه السلام) الطريق السلمي في المواجهة بعد قلة الناصر، واتبع (عليه السلام) المعارضة السلمية البناءة، ولم يسكت (عليه السلام) عن حقه فقد دافع في أقواله وخطبه ورسائله عن حقه، فكانت تلك الأقوال والخطب البليغة الرائعة سجلاً وثق ما حدث من وقائع وأحداث في تلك الفترة؛ ليعرف الناس عبر الأجيال الحق، ولا يبقى مجال في الشك لما حدث ودار، وقد جُمعت كل تلك الخطب والأقوال البليغة لتكون سفرًا خالدًا سمي بنهج البلاغة، تلك البلاغة التي جاء بها (عليه السلام) كانت تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، وقد احتوى هذا الكتاب كل ما يحتاجه الناس من أمور دينهم وعقائدهم، ففيه الحكم والنصح والإرشاد، وسجلت خطبه مصير هذه الأمة بعدما تركت التنصيب الإلهي، واختارت الشورى والرأي بديلا، هذا المصير تنبأ به (عليه السلام) وهو واقع مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، حيث التشتت والفرقة والتمذهب والعنصرية، وانتشار مظاهر الجاهلية الأولى، وظلم ولاة الأمور وكثرة الحروب، وهدر الأموال، وظهور دول تدعي الإسلام، لا تملك منه إلّا الاسم والرسم، وهذا ما دعاني لكتابة بحثي هذا، فقد حاولت تسليط الضوء على تلك الأحداث التي مرت في تلك الحقبة الزمنية، وموقف الإمام علي (عليه السلام) منها، مبينا دوره (عليه السلام) في بناء

تلك الأمة الفتية، فكون علي ليس خليفة لا يسلب منه مكانته المرموقة بين الناس، فقد ظل (عليه السلام) الراعي للأمة والناصح الأمين، إلى أن جاءته الخلافة ساعية إليه، وحملت له بشرى الشهادة بعدما ظل ساعيًا خلفها في معاركه، وقد قسمت البحث إلى مبحثين، الأول في مفهوم الإمامة، وما حدث من أحداث وثقتها خطبه (عليه السلام)، أما الثاني، فكان علة سكوت الإمام علي (عليه السلام) عن حقه وتقديمه صالح الأمة على صالحه، وأشرتُ إلى الخطب في المتن للاختصار، وقد استعنت بشرح كتب نهج البلاغة، والمصادر قديمها وحديثها، ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

علي (عليه السلام) والإمامة

اختار الله سبحانه وتعالى عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) إماماً وخليفةً للمسلمين؛ لأن المعصوم الوحيد القادر على إقامة العدل الإلهي في الأرض، وأما الناس فقد تركوا ما أمر الله سبحانه واختاروا لهم خليفة، حسداً وحقداً وطمعاً بالرياسة، ومع كل هذا استمر الإمام علي (عليه السلام) يمارس دوره في صلاح وإصلاح الأمة، حتى رضخ الناس لما أمر به سبحانه، فتزيَّنت الخلافة بتولي الإمام علي والإمام الحسن (عليهما السلام) الخلافة، فساد العدل بين الناس.

المطلب الأول: تعريف المصطلحات

أولاً: ورد في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) مصطلحات تتعلق بالإمامة، التي أصبحت فيما بعد محط نقاش وجدل بين الفرق الإسلامية ومنها:

١-الإمامة

الإمامة لغة: القصدُ والتقدم، وكلّ من ائتمَ به قوم كانوا على الصراط

المستقيم أو كانوا ضالين، والإمامة مصدر من أمَّ يؤم، وأمَّهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام (بالكسر كل من ائتم به القوم من رئيس أو غيره)[٧].

والإمامة في الاصطلاح تعني: رياسة في الدّين والدنيا لشخص من الأَشخاص[٨]، فضلاً عن أنَّها :الخلافة للنبوة في حراسة الدين والدّنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمَّة واجب بالإجماع[٩]، وقد أطلق جمهور العامة على زعماء فقهائهم مصطلح الإمام، كأبي حنيفة وأحمد والشافعي ومالك، أمَّا الزيدية، فترى وجوب كون الإمامة في أهل البيت (عليهم السلام) أي في البطنين كما يعبروا بذلك أي في ذرية الإمام الحسن (عليه السلام) أو الإمام الحسين (عليه السلام)، ولكنهم لم يشترطوا العصمة فيها، ولم يحددوا الأئمة بعدد معين، وقد ذكرت كلمة إمام في نهج البلاغة ثمان مرات، واستعملت كلمة (الإمامة) في نهج البلاغة مرة واحدة، وقد جاء هذا اللفظ في قوله (عليه السلام): **«وَلَعَمْرى لَئِنْ كانَتِ الإمامَةُ لا تَنْعَقِدُ حَتّى تَحْضُرَها عامّةُ النّاسِ»**(٢/ ٨٦)، وتثبت الإمامة بالنصّ من الرسول أو من السابق بالإجماع، وتثبت أيضا بتبعية أهل الحلّ والعقد عند أهل السنة والجماعة، والمعتزلة الصالحية من الزيدية، خلافاً لأكثر الشيعة، فإنهم قالوا لا طريق إلّا النص، وقال بعض الصوفية الإمامة قسمان، إمامة ظاهرية وإمامة باطنية[١٠].

٢- الخليفة:

الخِلافة: الإمارة والنيابة عن الغير، وشرعاً: هي الإمامةُ الكبرى[١١]، وعلى هذا المعنى فلفظ الخليفة يطلق في اللغة على من يخلف غيره، وفي الإسلام أخذ هذا اللفظ يطلق على من يخلف النبي، والخلافة

بناءً على ذلك أول نظام سياسي في دستور الشريعة الإسلامية، قال بعض الصوفية الخلافة قسمان، خلافة صغرى: وهي الإمامة والرئاسة الظاهرية، وخلافة كبرى: وهي الإمامة، والرئاسة الباطنية كما كان لعلي [عليه السلام]، فالخليفة هو الإمام، والخليفة شرعا هو الإمام الذي ليس فوقه إمام[١٢].

وقد جاء هذا اللفظ في قوله (عليه السلام): «**خليفة من خلائف أبنائه**»(١٠/ ٩٥)، واستعملت كلمة (الخلافة) مرة واحدة في نهج البلاغة، في قوله: «**وَاعَجَبَاهُ! أَتَكُونُ الْخِلاَفَةُ بِالصَّحَابَةِ وَلا تَكُونُ بِالصَّحابَةِ وَالْقَرَابَةِ**»(١٨/ ٤١٦)، واتفق جمهور العلماء على أن الخلفاء الراشدين أربعة، بينما عدَّ بعضهم الإمام الحسن (عليه السلام) خامسهم.

٣- البيعة:

استعملت كلمة (البيعة) مرتين في نهج البلاغة، والبيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه، وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري؛ فسمي بيعة مصدر باع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، هذا مدلولها في عرف اللغة، ومعهود الشرع، وهو المراد في الحديث في بيعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة العقبة، وعند الشجرة، وحيثما ورد هذا اللفظ، ومنه بيعة الخلفاء، ومنه أيمان البيعة، كان الخلفاء يستحلفون على العهد، ويستوعبون الإيمان كلها؛ لذلك فسمي هذا الاستيعاب أيمان البيعة، وكان الإكراه فيها أكثر وأغلب؛ وقد أفتى مالك بسقوط

يمين الإكراه أنكرها الولاة عليه ورأوها قادحة في أيمان البيعة، وقد جاء هذا اللفظ في نهج البلاغة بقوله: «أَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ»(١/ ٢٣٠) وقد تمَّت مبايعة الإمام علي (عليه السلام) بعد مقتل عثمان، فقد بايعه المسلمون ووجوه الصحابة، والخلافة هي موضوع البيع، لذلك سميت البيعة بالبيعة أو المبايعة[١٣]، كما جاء في قوله (عليه السلام): «أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ»(١٥/ ٨٠).

ثانيا: تعريف كتاب نهج البلاغة

كتاب نهج البلاغة هو من أهم المصادر الروائية والتاريخية عند الفريقين، فهذا ابن أبي الحديد المعتزلي قد شرحه بصورة مفصلة، وطبع مرات عديدة في مختلف البلاد الإسلامية، وهذا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، له شرح موجز للنهج، وما من قارئ للنهج إلّا ويعرفه من خلال الاطلاع عليه وعلى تعليقاته المهمة على الكتاب، وهذا ابن ميثم البحراني وغيره من علماء الإمامية قد شرحوا نهج البلاغة وعلقوا عليه ونقلوه إلى اللغات الأخرى[١٤]، فلقد صارت الكلمات التي يلقيها أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبه، أو يمليها إلى كاتبه مخزونة في صدور جمع من أصحابه، على موجب السيرة العربية، ثم قيد ما في تلك الصدور إلى الكتابة في الأصول الأولية، ومنها ما أُلف في عصر الأمير (عليه السلام) مثل كتاب الخطب تأليف أبي سليمان زيد الجهني الذي شهد حروب الأمير (عليه السلام)، ثم نقل منها إلى سائر الكتب التي ألفت في جمع خطبه (عليه السلام) إلى عصر الشريف الرضي رحمه الله مما لا يستهان به، وكانت تلك الأصول المعتبرة والكتب المعتمدة في مكتبة

الوزير سابور بن أردشير وغيرها في بغداد تحت نظر الشريف الرضي رحمه الله يستفيد منها في كل حين، حتى أخرج منها ما اختاره من منشآت أمير المؤمنين (عليه السلام) وجعلها بين الدفتين مرتبا على ثلاثة أقطاب: الخطب، الكتب، الحكم، وبعد ذلك سمي ما دونه من المنشآت بـ (نهج البلاغة) وبيَّن وجه التسمية في مقدمة الكتاب، بقوله لأنه يفتح للناظر في تلك المنشآت أبواب من البلاغة، فكل واحد من الخطب والكتب والحكم مصداق نهج البلاغة، أي طريقها الواضح يفتح للناظر فيه أبواب من البلاغة، وبما أن ما اختاره ودونه في الأقطاب، قد رقي في الجزالة والبلاغة أعلى الدرجات، وعجزت عن إدراك مزاياه إفهام كثير من الطبقات، كان محتاجا إلى التعليق والتحشية والشرح والبيان، والترجمة إلى سائر اللغات، نظما ونثرا لتعميم نفعه لجميع أفراد نوع الإنسان، فقيَّض الله جل جلاله جمعا من أعلام المسلمين، من العرب والعجم والسنة والشيعة وغيرهم، فقاموا بتلك الوظائف كل على مبلغ وسعه وجهده ومقدرته، وتوفيقه وسعادته، وهم بين من شرح جميعه، أو علق عليه كذلك، أو شرح مشكلاته فقط، أو شرح خطبه، أو شرح كتبه أو جمعها، أو شرح كلماته القصار أو بعض أجزائه أو ترجمة كل أو بعض منه إلى لغة أخرى، أو نظمه بالفارسية، أو غيرها أو التأليف في بعض ما يتعلق به، من تعداد خطبه وكتبه أو فهرس ألفاظه، أو التعريف له أو غير ذلك مما ألفوه من هذا القبيل[١٥].

المطلب الثاني: سقيفة بني ساعدة

ما إن أغمض النبي (صلى الله عليه وآله) عينه حتى دبَّ الخلاف في أمته وانقلبت على أعقابها ﴿وَمَا

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[16]، فكانت الأمة أمام خيارين، إما أن تختار قائدها من الطريق الذي اختاره الله ورسوله، وتضمن الأمن والأمان، وإما أن تختار من تراه مناسبا لها وتترك التنصيب الإلهي، وتقع في الفتنة الكبرى، هذه الفتنة التي كادت أن تستأصل وجود الدين الإسلامي برمته، وقد أوضح أمير المؤمنين حجته في بطلان ما ذهبوا إليه في السقيفة فقد قال (عليه السلام): «ما قالت الأنصار؟» قالوا: «قالت منا أمير ومنكم أمير»، قال (عليه السلام): «فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصى بأن يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم»، قالوا: «وما في هذا من الحجة عليهم»، فقال (عليه السلام): «لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم»، ثم قال (عليه السلام): «فماذا قالت قريش؟» قالوا احتجت بأنها شجرة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقال (عليه السلام): «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة» (١/ ١١٦)، وقال (عليه السلام) في الخطبة رقم (١٧١): وقد قال قائل: إنّك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص، فقلت: «بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ، هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ»

(٢/ ٨٤)، هذا الفصل من خطبة يذكر فيها أمر الشورى، والذي قال له: إنك على هذا الأمر لحريص! هو سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)[١٧]، وهذا عجيب وقد رواه الناس كافة، وقالت الإمامية: هذا الكلام كان يوم السقيفة، والقائل أبو عبيدة بن الجراح، وقرعته بالحجة: صدمته بها، قوله (عليه السلام): بهت، في بعض النسخ: هب... أي استيقظ، والعدوي: طلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك... أي ينتقم منه ، فإنهم قطعوا رحمي... لأنهم لم يراعوا قربه (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو منهم، أو الأعم، إلّا أن في الحق أن نأخذه -بالنون- وفي الحق أن تتركه -بالتاء-... أي إنهم لم يقصروا على أخذ حقي ساكتين عن دعوى كونه حقا لهم، ولكنهم أخذوه مع دعواهم أن الحق لهم، وأنه يجب علي أن أترك المنازعة فيه، فليتهم أخذوا معترفين بأنه حق لي، فكانت المصيبة أهون، وروي بالنون فيهما، فالمعنى إنا نتصرف فيه كما نشاء بالأخذ والترك دونك، وفي بعض النسخ فيهما بالتاء أي يعترفون أن الحق لي ثم يدعون أن الغاصب أيضا على الحق، أو يقولون لك الاختيار في الأخذ والترك[١٨]، ومن كتاب له (عليه السلام) إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لمّا ولاه إمارتها، مشيرا إلى فتنة السقيفة:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً- (صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم)- نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَلَمَّا مَضَى (عَلَيهِ السَّلَام) تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللهَّ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ - (صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم) - عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ

بَعْدِهِ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ -(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم)- فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَ اطْمَأَنَّ..»(٣١١٩)، قوله (عليه السلام): المهيمن: الشاهد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا﴾، أي تشهد بإيمان من آمن وكفر من كفر، وقيل تشهد بصحة نبوة الأنبياء قبلك، وقوله على المرسلين يؤكد صحة هذا التفسير الثاني، والروع الخلد، قال ما يخطر لي ببال أن العرب تعدل بالأمر بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وآله) عن بني هاشم، ثم من بني هاشم عني؛ لأنه كان المتيقن بحكم الحال الحاضرة، فما راعني إلا انثيال الناس"، تقول للشيء يفجؤك بغتة: ما راعني إلا كذا، والروع بالفتح، الفزع، كأنه يقول: ما أفزعني شيء بعد ذلك السكون الذي كان عندي وتلك الثقة التي اطمأننت إليها إلّا وقوع ما وقع من انثيال الناس - أي انصبابهم من كل وجه كما ينثال التراب - على أبي بكر، وهكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للأشتر، وإنما الناس يكتبونه الآن "إلى فلان" تذمما من ذكر الاسم كما يكتبون في أول الشقشقية: «أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ»، واللفظ "أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة[١٩]"، قوله: "فأمسكت يدي"، أي امتنعت عن بيعته، حتى رأيت راجعة الناس، يعني أهل الردة كمسيلمة، وسجاح

وطليحة بن خويلد ومانعي الزكاة، وإن كان مانعوا الزكاة قد اختلف في أنهم أهل ردة أم لا، ومحق الدين إبطاله، وزهق: خرج وزال، تنهنه: سكن، وأصله الكف، تقول: نهنهت السبع فتنهنه، أي كف عن حركته وإقدامه، فكأن الدين كان متحركا مضطربا فسكن وكف عن ذلك الاضطراب[٢٠].

ويمكننا القول إن إشارة الإمام علي (عليه السلام) إلى ما حدث في السقيفة واضحة، فلم يعتقد أحد أن القوم يعدلون عنه (عليه السلام) إلى غيره، وعندما أصبح الأمر واقعا لم يكن له (عليه السلام) إلّا قبول الأمر الواقع حفاظا على وحدة الصف.

المطلب الثالث: إمامة المفضول

ونعني بذلك ترك الشخص الذي يتحلى بكامل الصفات التي تؤهله لنيل قيادة الأمة الإسلامية لشخص أقل كفاءة منه، ولَوْ ابتدأوا بَيْعَةَ الْمَفْضُولِ مَعَ وُجُودِ الْأَفْضَلِ ففيه نُظِرَ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِعُذْرٍ دَعَا إِلَيْهِ مِنْ كَوْنِ الْأَفْضَلِ غَائِبًا أَوْ مَرِيضًا، أَوْ كَوْنِ الْمَفْضُولِ أَطْوَعَ فِي النَّاسِ وَأَقْرَبَ فِي الْقُلُوبِ، انْعَقَدَتْ بَيْعَةُ الْمَفْضُولِ وَصَحَّتْ إِمَامَتُهُ، وَإِنْ بُوِيعَ لِغَيْرِ عُذْرٍ فَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي انْعِقَادِ بَيْعَتِهِ وَصَحَّتْ إِمَامَتُهُ؛ فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ الْجَاحِظُ إِلَى أَنَّ بَيْعَتَهُ لَا تَنْعَقِدُ؛ لِأَنَّ الِاخْتِيَارَ إِذَا دَعَا إِلَى أَوْلَى الْأَمْرَيْنِ لَمْ يَجُزِ الْعُدُول عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّا لَيْسَ بِأَوْلَى كَالِاجْتِهَادِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَالَ الْأَكْثَرُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ: تَجُوزُ إِمَامَتُهُ وَصَحَّتْ بَيْعَتُهُ، وَلَا يَكُونُ وُجُودُ الْأَفْضَلِ مَانِعًا مِنْ إِمَامَةِ الْمَفْضُولِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُقَصِّرًا عَنْ شُرُوطِ الْإِمَامَةِ[٢١] قال الإمام علي في أحقية تقديم الفاضل: **«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ**

الله فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ»(٢/ ٨٦).

قال ابن أبي الحديد (هذا لا ينافي مذهب أصحابنا البغداديين في صحة إمامة المفضول، لأنه ما قال: إن إمامة غير الأقوى فاسدة، ولكنه قال: إن الأقوى أحق، وأصحابنا لا ينكرون أنه (عليه السلام) أحق ممَّن تقدَّمه بالإمامة مع قولهم بصحة إمامة المتقدمين، لأنه لا منافاة بين كونه أحق، وبين صحة إمامة غيره)[٢٢]، وقوله (عليه السلام): بهذا الأمر: أي الخلافة، أقواهم عليه: أي أحسنهم سياسة وأشجعهم، و[هذا] يدل على عدم جواز إمامة المفضول لا سيما مع قوله (عليه السلام): فإن شغب... إلى آخره، والشغب بالتسكين: تهييج الشر، والمراد بالاستعتاب: طلب الرجوع بالمراسلة والكلام ونحوهما، ويرد على بن أبي الحديد بأمرين:

أولا: فلأنه (عليه السلام) إنما احتج عليهم بالإجماع، إلزاما لهم لاتفاقهم على العمل به في خلافة أبي بكر وأخويه، وعدم تمسكه (عليه السلام) بالنص لعلمه (عليه السلام) بعدم التفاتهم إليه، كيف وقد أعرضوا عنه في أول الأمر مع قرب العهد بالرسول (صلى الله عليه وآله) وسماعهم عنه.

وأما ثانيا: فلأنه (عليه السلام) لم يتعرض للنص نفيًا وإثباتًا، فكيف يكون مبطلا لما ادعاه الإمامية من النص؟! والعجب أنه جعل هذا تصريحًا بكون الاختيار طريقًا إلى الإمامة، ونفى الدلالة في قوله (عليه السلام): «إن أحق الناس بهذا الأمر... على نفي إمامة المفضول مع قوله (عليه السلام): فإن أبى قوتل، مع أنه لم يصرح بأن الإمامة تنعقد بالاختيار، بل قال: إنها لا تتوقف على حضور عامة الناس،

ولا ريب في ذلك، نعم يدل بالمفهوم عليه وهذا تقية منه (عليه السلام)، ولا يخفى على من تتبع سيره (عليه السلام) أنه لا يمكنه إنكار خلافتهم والقدح فيها صريحا في المجامع، فلذا عبر بكلام موهم لذلك[٢٣]، والخلاصة أن مذهب العامة أجازوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وفصل القاضي أبو بكر الباقلاني فقال: إن لم يؤد العقل إلى هرج وفساد جاز وإلّا لم يجز[٢٤]، ويمكننا القول إن إمامة المفضول هي المخرج الوحيد لتبرير ترك الإمام علي (عليه السلام)، إذ كان أفضل الناس بعد النبي.

المطلب الرابع: صفات وشروط الإمام

التنصيب الإلهي للإمام علي (عليه السلام) يوم غدير خم أهم أمر يميزه عن غيره ممن تولوا خلافة رسول الله (صلى الله عليه واله)، وإن النص على إمامة علي لم يكن لقرابته من النبي، بل لما تمتع به (عليه السلام) من صفات تؤهله لشغل هذا المنصب المهم، فالنص الإلهي هو الشرط الأول لهذا المنصب، أما صفات الإمام (عليه السلام) فكثيرة ورد بعضها في نهج البلاغة كالشجاعة والزهد والقرب من النبي، والعلم، والعبادة والعمل، وغيرها من الصفات.

اما في التنصيب الإلهي والنص من الله ورسوله، قال (عليه السلام): **«لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّد صَلَّى عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ،وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ اليَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالِي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ»** (١/ ٣٠).

وفي السبق في العلم والحكمة: وهذه ضرورة لازمة في الإمام لأجل أن يكون أهلا لهذه المنزلة، وكفؤا

لهذه المسؤولية، وقطبا تلتف حوله الناس وتطمئن إلى سبقه في العلم والحكمة والمعرفة، وقدرته الفائقة في مواجهة ما تبتلى به الأمة والدولة، فلا يحتاج إلى غيره ممن هم محتاجون إلى إمام يهديهم ويثبتهم، وهذه خصلة أشد ما تكون ظهورا في علي وأولاده المعصومين (عليهم السلام)، فكما كان هو (عليه السلام) مرجعا لأهل زمانه من خلفاء وغيرهم، يرجعون إليه في كل معضلة، ويلجأون إليه في كل مأزق، وأمرهم في ذلك مشتهر[٢٥]، وقد تكرر قول عمر بن الخطاب: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)، وقوله: (لولا علي لهلك عمر)[٢٦]، وفي علمه (عليه السلام) قال: «فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مائَةً وَتُضِلُّ مائَةً إِلاَّ نَبَّأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا، وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمَنَاخِ رِكَابِهَا وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً»(١/ ١٨٢)، وقال في خطبة أخرى: «وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي أَلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا»(٢/ ٩٠)، وقال في خطبة أخرى: «أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى، وقال (عليه السلام): وعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وضِيَاءُ الأَمْرِ، أَلَا وإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وسُبُلَه قَاصِدَةٌ»(١/ ٢٢٣).

وأمَّا الزهد في الدنيا، قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير

المؤمنين (عليه السلام) بذي قار، وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال (عليه السلام): والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلّا أن أقيم حقا، أو أدفع باطلا، ثم خرج (عليه السلام)، فخطب الناس فقال: إن الله بعث محمدًا (صلى الله عليه وآله) وليس أحد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة، فساق الناس حتى بوأهم محلتهم، وبلغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، واطمأنت صفاتهم، (/ ٨٢)، وقال أيضا في خطبة أخرى: «وزهدًا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه» (١/ ١٢٤).

وأمَّا الشجاعةُ، فقد قال (عليه السلام): «أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، مَا عَجَزْتُ، وَلاَ جَبُنْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي هذَا لِمِثْلِهَا، فَلاَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ، مَالِي وَلِقُرَيْشٍ، وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ»(١/ ٨٢)، وقوله حتى بوأهم، أي أسكنهم محلتهم أي ضرب الناس بسيفه على الإسلام حتى أوصلهم إليه، وقال ابن ميثم: المراد بالقناة القوة والغلبة والدولة التي حصلت لهم مجازا من باب إطلاق السبب على المسبب، فإن الرمح أو الظهر سبب للقوة والغلبة، والصفاة: الحجارة الملساء، أي كانوا قبل الإسلام متزلزلين في أحوالهم بالنهب والغارة وأمثالها، وقوله: إن كنت لفي ساقتها هي جمع سائق، كحائك وحاكة، ثم استعملت للأخير؛ لأن السائق إنما يكون في آخر الركب، والجيش وشبه أمر الجاهلية إما بعجاجة ثائرة أو بكتيبة مقبلة للحرب، فقال: إني طردتها فولّت بين يدي أطردها حق لم يبق منها شيء، وقوله: لمثلها، أي لمثل

تلك الحالة التي كنت عليها معهم في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله)، فلأنقبن [و] في بعض النسخ: لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته، شبَّه (عليه السلام) الباطل بحيوان ابتلع جوهرًا ثمينًا أعن منه فاحتيج إلى شق بطنه في استخلاص ما ابتلع[٢٧]، وقال (عليه السلام) في خطبة أخرى: «إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ، وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ؟»(٢/ ٢).

وفي العدل قال (عليه السلام): «هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ، أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرِدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ»(٢/ ١٣).

كما انفرد الإمام علي (عليه السلام) بقربه وقرابته من الرسول، قال (عليه السلام) في خطبته: «إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»(٢/ ٢٧).

وفي كلام له (عليه السلام) لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ يؤكد (عليه السلام) صفاته التي تؤهله لقيادة هذه الأمة فقال: «يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ، وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالْأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ نَوْطاً، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمُ اللهُ، وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ:

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ
وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ
وَهَلُمَّ الْخُطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلاَ غَرْ وَوَاللهِ، فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الاَوَدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْباحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارَهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى، أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الاُخْرَى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٢٨]»(٢/ ٦٤)، النوط من ناط ينوط نوطا، علَّقه وكل شيء علق في شيء فهو نوط، دودان أبو قبيلة من أسد وهو دودان بن أسد بن خزيمة، إنه لقلق وضين يقال للرجل المضطرب في أمره، والوضين هو ما يشد به الهودج كالحزام، والقلق أيضًا يقال للرجل الشاك الأثرة البقية من العلم والمكرمة المتوارثة والفعل الحميد، سخت بها أي علت بها شحت عليها، الشح اللوم، وأن تكون النفس حريصته على المنع الحجرات، هنا بمعنى النواحي، هلم هنا خطاب لمن يصلح أن يجيبه، الخطب الأمر الأغر وأي لا عجب، خفض الشيء طرحه وراء ظهره، وخفضتي أي أهانني وهينتي، الهون السكينة والوقار، وجاء على هينته أي على الرفق والسكون، وحاولوا الأذهان أي راموها، أجدحوا أي خلطوا[٢٩]، وبيئا أي ذو وباء والوبئ: ما يوجب شربه الوباء، يريد به الفتنة التي يردونها نزاعا له في حقه كأنها ماء خلط بالمواد السامة القاتلة، محض الحق: خالصه، وإن لا يزالوا مفتونين فلا تمت نفسك غمًّا عليهم[٣٠]، ويمكننا القول إن وجه الدلالة في كلام الإمام علي (عليه السلام) في الصفات التي تؤهله لنيل مقام قيادة الأمة قوله:

«وَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ نَوْطاً» فشرف الانتساب للنبي مع النص الإلهي، من أهم ما يجب توفره في الإمام، وقوله أيضاً واصفاً نفسه: «حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْباحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ» فهو (عليه السلام) نور الله، ومن يجرأ على وصف نفسه بهذه الصفات غيره (عليه السلام).

وقد استبدل الناس أمر التنصيب الإلهي بطريقين للاختيار[٣١]:

أولا: بِاخْتِيَارِ أَهْلِ الحل والعقد

ثانيا: بِعَهْدِ الْإِمَامِ مِنْ قَبْلُ، فَأَمَّا انْعِقَادُهَا باختيار أهل الحل والعقد، فلا تنعقد إلّا بجمهور أهل الحل والعقد، واتفق اغلب علماء المسلمين على توفر عدة شروط في الإمام والخليفة، منها:

الأول: أن يكون قرشيًّا من الصميم، وهو من يكون من ولد قريش بن بدر بن النضر دليل بني كنانة، وقد قال أحمد في رواية مهنا: لا يكون من غير قريش خليفة.

والثاني: أن يكون على صفة من يصلح أن يكون قاضيًا: من الحرية والبلوغ والعقل، والعلم، والعدالة.

والثالث: أن يكون قيمًا بأمر الحرب والسياسة وإقامة الحدود، لا تلحقه رأفة في ذلك، والذب عن الأمة.

الرابع: أن يكون من أفضلهم في العلم والدين[٣٢]، كما بين أمير المؤمنين (عليه السلام) الصفات التي إن وجدت في الإنسان أسقطت حقه في تولي أمور المسلمين، فقال في خطبته: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلاَ الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلاَ الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلاَ الْمُرْتَشِي

فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلاَ الْمُعطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ»(٢/ ١٤)، والمراد أن الحاكم الحق يجب عليه أن يكون مستقلا في الفكر والعمل ، ولا يقع أسيرًا تحت تأثير العوامل الخارجية أو الداخلية، فيترك محاسن الأخلاق والأعمال وما يقتضيه العقل السليم بسبب الأجواء والتقاليد الباطلة[٣٣]، ووجه الدلالة: أنه (عليه السلام) ذكر للإمام صفات لم تكن مجتمعة في غيره وغير أولاده المعصومين (عليهم السلام) بالإجماع[٣٤]، وعلى هذا يجب أن تكون أخلاق الإمام خالية مما يأتي[٣٥]:

١- أن لا يكون الإمام شحيحًا وبخيلًا لكيلا يطمع في أموال الناس.

٢- أن يكون عالمًا بالأحكام والقوانين الدينية.

٣- أن يتحلى بالمرونة ويتخلى عن الخشونة.

٤- أن لا يكون ظالمًا وجبارًا، حتى لا يضيع حقوق الآخرين.

٥- أن لا يكون مرتشيًا.

٦- أن لا يكون معطلا لأحكام الدين، ولا بد من أن يكون مجريا للأحكام وحافظا لها.

المطلب الخامس: واجبات الإمام

واجبات الإمام - المنصوب لأجلها - كثيرة منها: الفصل بين المتنازعين، ومنها: بيان الأحكام الشرعية للمكلفين وأمور أخرى - من مصالح الدين والدنيا، لكن الإمام إنما يجب عليه القيام بهذه الأمور كلها بشرط التمكن والقدرة على إنفاذ كلمته، وبشرط الاختيار[٣٦]، وقد قال الامام علي (عليه السلام) في خطبته: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي لَوْ كَانَ

يُطَاعُ لِقَصِيْرِ أَمْرٌ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى
فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ
ضُحَى الْغَدِ»(١/ ٨٥).

تدور أحداث هذه الخطبة في مسألة التحكيم وما جرى فيها، وقوله (عليه السلام) الخطب الفادح: الثقيل، ونخلت لكم، أي أخلصته، من نخلت الدقيق بالمنخل، وقوله: الحمد لله وإن أتى الدهر، أي أحمده على كل حال من السراء والضراء، وقوله: لو كان يطاع لقصير أمر، فهو قصير صاحب جذيمة، وحديثه مع جذيمة ومع الزباء مشهور، فضرب المثل لكل ناصح يعصى بقصير، وقوله: حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضن الزند بقدحه، يشير إلى نفسه، يقول: خالفتموني حتى ظننت أن النصح الذي نصحتكم به غير نصح، ولإطباقكم وإجماعكم على خلافي، وهذا حق، لأن ذا الرأي الصواب إذا كثر مخالفوه يشك في نفسه، وأما ضن الزند بقدحه، فمعناه أنه لم يقدح لي بعد ذلك رأي صالح، لشدة ما لقيت منكم من الإباء، والخلاف والعصيان، وهذا أيضا حق، لأن المشير الناصح إذا اتهم واستغش عمي قلبه، وفسد رأيه[٣٧]، ومن واجبات الإمام إقامة العدل بين الرعية، قال (عليه السلام) في خطبته: «أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ، وَاللهِ لاَ أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ، أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي

النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ الله، وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ولا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خدين، وألام خليل»(٢/ ٦)، وقوله (عليه السلام)، الخدين: الصديق، يقول (عليه السلام): كيف تأمرونني أن أطلب النصر من الله بأن أجور على قوم وليت عليهم، يعني الذين لا سوابق لهم ولا شرف، وكان عمر ينقصهم في العطاء عن غيرهم، ثم قال (عليه السلام): لو كان المال لي وأنا أفرقه بينهم لسويت، فكيف وإنما هو مال الله وفيئه، ثم ذكر أن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وقد نهى الله عنه وأنه يرفع صاحبه عند الناس، ويضعه عند الله، وأنه لم يسلك أحد هذه المسلك إلا حرمه الله ود الذين يتحبب إليهم بالمال، ولو احتاج إليهم يوما عند عثرة يعثرها لم يجدهم، قال ابن أبي الحديد: إن هذه مسألة فقهية، ورأي علي (عليه السلام) وأبي بكر فيها واحد، وهو التسوية بين المسلمين في قسمة الفيء والصدقات، وإلى هذا ذهب الشافعي، وأما عمر فإنه لما ولي الخلافة فضل بعض الناس على بعض، ففضل السابقين على غيرهم، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى، وقد كان أشار على أبي بكر أيام خلافته بذلك ، فلم يقبل، وقال: إن الله لم يفضل أحدًا على أحد، ولكنه قال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٣٨)، ولم يخص قومًا دون

قوم، فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما كان أشار به أولا، وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله، والمسألة محل اجتهاد، وللإمام أن يعمل بما يؤديه إليه اجتهاده، وإن كان أتباع علي (عليه السلام) عندنا أولى[٣٩]، وقال عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا. لله أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ» الخطبة رقم ١٨١ (٢/ ١٠٨)، وقوله (عليه السلام): بثثت لكم المواعظ: فرقتها ونشرتها، والأوصياء: الذين يأتمنهم الأنبياء على الأسرار الإلهية، وقد يمكن ألا يكونوا خلفاء بمعنى الأمرة والولاية، فإن مرتبتهم أعلى من مراتب الخلفاء، وحدوتكم: سقتكم كما تحدى الإبل. فلم تستوسقوا، أي لم تجتمعوا، قال: مستوسقات لم يجدن سائقا، وقوله: (يطأ بكم الطريق)، أي يحملكم على المنهاج الشرعي، ويسلك بكم مسلك الحق، كأنه جعلهم ضالين عن الطريق التي يطلبونها، وقال: أتريدون إمامًا غيري يوقفكم على الطريق التي تطلبونها حتى تطئوها وتسلكوها[٤٠].

ويمكننا أن نستنتج من خطبه (عليه السلام) الواجبات المفروضة على الإمام؛ إذ يجب على الإمام أولاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقديم النصح لأمته، وإظهار علمه خصوصا في محنة الأمة، والصبر على آراء مخالفيه، وتحذيرهم من فساد تلك الآراء، كما يمكننا أن نستنتج مدى الجرح العميق الذي خلفه القوم في نفس أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعدم استبداده برأيه الحق في مسألة التحكيم، فهو (عليه

السلام) كالأخ الناصح للأمة.

المبحث الثاني: سكوت الإمام علي (عليه السلام) عن أمر الخلافة

أُرغم الإمام علي (عليه السلام) على السكوت بعد أن ذَكَر الناس بمبايعتهم له بالخلافة، فنصحهم ووعظهم لكنه لم يجد من يستمع إليه، فآثر السكوت؛ لأنه يكن يجد أعواناً من جهة، ولتقديم مصلحة الإسلام على كل شيء.

المطلب الأول: صرف الخلافة عن الإمام علي (عليه السلام):

صرفت الخلافة عن الإمام علي ثلاث مرات، وبحجج واهية، منها لتدارك الوقوع في الفتنة، ولحداثة سن علي أمام أبي بكر، وفي الثانية بحجة عهد الأول، والثالثة بحجة الشورى، وقد أبطل الإمام علي كل تلك الحجج، وبين ما له من المنزلة والفضل واللياقة في الأمر في خطبته الشقشقية، إذ قال: «أَمَا وَاللهِ

لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ. ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ

وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ النَّاسُ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَّ سُبْحَانَهُ لَعَمْرُ اللهَّ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوُّنٍ يَقُولُ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا وَاعْتِرَاضٍ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ بَلَى وَاللهَّ لَقَدْ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ للهَّ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللهَّ عَلَى لِضِغْنِهِ وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا وَهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهَّ خِضْمَةَ وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»(١/ ٣٠).

فَتْلُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَكَبَتْ وقوله (عليه السلام): (لقد بِهِ بِطْنَتُهُ. فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ تقمصها فلان) وإنما أراد لبسها كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ واشتملت عليه كما يشتمل القميص كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ على لابسه، وقوله (عليه السلام): وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي (وإنه ليعلم أن محلي منها محل كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ القطب من الرحا)، فالمراد أن أمرها نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ علي يدور وبي يقوم، وأنه لا عوض

عني فيها ولا بديل مني لها، كما أن قطب الرحا هو الحديد الموضوعة في وسطها عليها مدار الرحا، ولولاها لما انتظمت حركاتها ولا ظهرت منفعتها، وقوله (عليه السلام): (ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير)، المراد به أني عالي المكان بعيد المرتقى؛ لأن السيل لا ينحدر إلّا عن الأماكن العالية والمواضع المرتفعة، ثم أكد (عليه السلام) هذا المعنى بقوله: (ولا يرقى إلي الطير) ولأنه ليس كل مكان عال من استقرار السيل عليه واقتضى تحدره عنه، يكون ممَّا لا يرقى إليه الطير، فإن هذا وصف يقتضي بلوغ الغاية في العلو والارتفاع، يريد أنها ممتنعة على غيري ولا يتمكن منها ولا يصلح لها[٤٢]، وقوله (عليه السلام): (لكني سدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا)، فمعنى (سدلت) ألقيت بيني وبينها حجابا، أي عرضت عنها، وتنزهت عن طلبها، وحجبت نفسي عن مرامها، وقوله (عليه السلام): (وطويت عنها كشحا) أي: أنني أعرضت عنها وعدلت عن جهتها، ومن عدل عن جهة إلى غيرها فقد طوى كشحه عنها، وقوله (عليه السلام): (بين أن أصول بيد جداء) فإنما أراد: مقطوعة، لأن الجد: القطع، ويحتمل أيضًا أن يروى جذاء بالذال المعجمة، لأن الجذَّ أيضا: القطع، والجذاء: المنقطعة، فأما قوله (عليه السلام): (فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى)، فـ(هاتا) لغة تجري مجرى هاذي وهذه، و(أحجى) أولى، وقذى العين معروف، و(الشجى) ما اعترض في الحلق، فأمَّا التراث فهو الميراث، وليس كل شيء يملكه مالكه يسمى تراثا، حتى يكون قد ورثه عن غيره، وأراد (عليه السلام) (أرى تراثي نهبا) أي حقي

من الإمامة وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي ورثته عنه بنصه عليَّ وإشارته إلي (نهبا) منقسمًا ومتوزعًا متداولا[٤٣]، وتشطرا أي أخذ كل واحد منهما شطرًا أي أخذ كل واحد منهما نصفًا من ضرعي الخلافة، والحوزة: الطبيعة، والكلم: الجرح، وعثر إذا أصابت رجله في المشي حجرًا ونحوه، والصعبة: الناقة التي لم تذلل، وشنق الناقة بالزمام وأشنق لها إذا أجذبه إلى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة، وحزم أي: شق أنفها، وأسلس لها أي: أرخى، وتقحم في الأمر إذا ألقى نفسه بقوة ومنى الناس أي ابتلوا، والخبط: الحركة على غير استقامة، والشماس بكسر الشين كثرة نفار الدابة، والتلون: اختلاف الأحوال، والاعتراض هو المشي في عرض الطريق، الشورى: مصدر بمعنى المشاورة، وأسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه، والصغو والضغن: الحقد، والذي صغا ومال عنه (عليه السلام) وتخلف عن بيعته لضغنه هو سعد بن أبي وقاص[٤٤]، والذي مال إلى عثمان لمصاهرة بينه وبين عثمان هو عبد الرحمن بن عوف زوج أخت عثمان لأمه، وهن على وزن أخ، كلمة كناية عن شيء، يريد أن ميله إلى عثمان لا بمجرد المصاهرة بل لأشياء أخر، وثالث القوم عثمان، والحضن: الجانب، والنفج كالنفخ، والنثيل الروث، والمعتلف موضع الاعتلاف، والخضم الأكل بجميع الفم، وقيل: المضغ بأقصى الأضراس، والنبتة بكسر النون النبات[٤٥]، فشبه (عليه السلام) عثمان بالبعير، واستعار وصفه له وهو نفخ جنبيه بكثرة الأكل والشرب، وكذا شبه (عليه السلام) بني أمية بالأبعرة في أكل مال المسلمين، وانتكث انتقض فتله، أي: ما كان يبرمه من الآراء، وأجهز على

الجريح قتله وأسرع، وكبا الفرس سقط لوجهه، والبطنة شدة الامتلاء من الطعام، والروع الخلد والذهن، وراعني أفزعني، وانتشال الشيء إذا وقع يتلو بعضه بعضا، والعطاف الرداء، وروي عطفاي، وعطفا الرجل جانباه، والربيض والربيضة: الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها، ومروق السهو خروجه من الرمية، والزبرج بكسر الزاي والراء الزينة، والنسمة: الإنسان، والمقارة: إقرار كل واحد صاحبه على الأمر، والكظة: البطنة، والسغب: الجوع، والغارب: أعلى كتف الناقة، والضمير في حبلها وغاربها للخلافة[٤٦]، هذا الوصف الذي ذكره علي (عليه السلام) للوضع السياسي في ذلك الوقت وهو يعتبر أوائل عهد الإمامة والخلافة لا زالت في مهدها، ولكن الأمر لم يبق على ما هو عليه فقط، بل مع تقادم العهد وعبث الأيدي المغرضة وتلاعبها بمضامين السنة كل ذلك قد كون مفاهيم جديدة حول مسألة الإمامة، وظهرت مدارس ونظريات مختلفة الأبعاد[٤٧].

ويمكننا القول إن الخلافة جاءت أخيراً جاثية على ركبتيها أمام الإمام علي (عليه السلام)، بعدما أخفقت في تحقيق أهدافها الإلهية التي أريدت منها، وعندما تولها الإمام الحق أنارت بنور الهداية وازدانت بتربعه عليها، فردت الحقوق لأهلها، وعمَّ العدل في ربوع الأمة الإسلامية، وأخيراً حققت الخلافة لعلي (عليه السلام) مالم يستطيع علي تحقيقه طوال حياته، فقد نال الشهادة في أيامها، ولم ينالها في حروبه الطويلة.

المطلب الثاني: آثار ترك التنصيب الإلهي

ما إن تركت الأمة الاختيار الإلهي في تنصيب علي (عليه السلام)، والإسلام ينزف جرحا لا يبرأ إلى

قيام قائم آل البيت (عليهم السلام)، لما لهذا الترك من عواقب مريرة على المجتمع، فلا يصلح لقيادة الأمة إلّا المعصوم، قال الإمام متنبئًا لمستقبل الأمة: «لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ» (٢/ ٢٣)، وقوله (عليه السلام): إلى دعوة حق... أي لن يدعو أحد قبلي إلى حق فما لم أدع إليه لم يكن حقا، أولم يسبقني أحد إلى إجابة دعوة حق، فما لم أجب إليه لا يكون حقا، ونضى السيف من غمده وانتضاه: أخرجه، قال ابن ميثم رحمه الله: إشارة إلى ما علمه (عليه السلام) من حال البغاة والخوارج والناكثين لعهد بيعته، وما وقع بعد هذا اليوم من قتل الحسين (عليه السلام)، وظهور بني أمية وغيرهم، وأشار بأئمة أهل الضلالة إلى طلحة والزبير، وبأهل الضلالة إلى أتباعهم، وبأهل الجهالة إلى معاوية، ورؤساء الخوارج، وأمراء بني أمية، وبشيعتهم إلى أتباعهم[٤٨]، والإمام بتوضيح هذه الرؤية للرعية إنما يضرب مثلا رائعًا في الأمانة والمصارحة لهم في مواجهة الأحداث القادمة التي تهدد وحدة الأمة[٤٩]، وقال (عليه السلام) في خطبة أخرى يوضح هذه الفتنة: «أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا، وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ، تَعْذِمُ بِفِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا

نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى، نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ»

فالمبصر العارف للحق يصيبه البلاء لما يرى من الجور فيه وفي غيره، وأما الجاهل المنقاد لهم فهو في راحة، والناب: الناقة المسنة، والضروس: السيئة الخلق، والعذم: العض والأكل بجفاء، والزبن: الدفع، والدر في الأصل: اللبن ثم أطلق على كل خير، وهو كناية عن منع حقوق المسلمين، والاستبداد بأموالهم، وقوله: أو غير ضائر يعني من لا ينكر أفعالهم، والانتصار: الانتقام، وقد جاء في كلامه (عليه السلام) تفسير انتصار العبد من ربه في غير هذا الموضع؛ إذ عقبه بقوله: إذا شهد أطاعه وإذا غاب اغتابه، والمراد بالصاحب هنا التابع، والشوهاء: القبيحة، وقوله (عليه السلام): وقطعا جاهلية شبهها بقطع السحاب لتراكمها، أو قطع الحبل لورودها دفعات، وقوله (عليه السلام): بمنجاة أي بمعزل لا تلحقنا آثامها ولسنا من أنصار

(١/ ١٨٤)، وقوله (عليه السلام) الخطة: الحال والأمر، وعمومها لأنها كانت ولاية عامة، وخصت بليّتها بالصالحين، والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم،

تلك الدعوة، وقوله: كتفريج الأديم، الأديم: الجلد، ووجه الشبه انكشاف الجلد عما تحته من اللحم، وقوله (عليه السلام): يسومهم خسفا أي يوليهم ذلا، والخسف: النقصان والهوان، وقوله (عليه السلام): مصبرة أي ممزوجة بالصبر المر، أو مملوءة إلى أصبارها، أي جوانبها، قوله (عليه السلام): ولا يحلسهم أي لا يلبسهم، والحلس كساء رقيق يكون تحت البرذعة، والجزور من الإبل يقع على الذكر والأنثى، وجزرها: ذبحها[٥٠]، هكذا يصف الإمام علي (عليه السلام) فتنة ترك الأمة إطاعة أمر الله في التنصيب الإلهي؛ إذ يصيب الأمة البلاء وتنتهك الأعراض والأموال وتضيع الحقوق، وقد ذكر (عليه السلام) وصفًا دقيقًا للفتن قبل أن يفصل في تفاصيلها، فقال: «إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحْمِنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً، وَيُخْطِئْنَ بَلَداً» (١/ ١٨٣).

المطلب الثالث: فلسفة قعود الإمام علي (عليه السلام):

اختار الله سبحانه وتعالى الإمام علي (عليه السلام) لخلافة النبي (صلى الله عليه وآله)، وما إن أغمض النبي عينيه حتى عدلت الأمة عن التنصيب الإلهي الذي كانوا قد رضخوا له في حياة النبي، وعلى هذا فالإمام علي لم يعصِ الله سبحانه بتركه لخلافة النبي؛ لأن الأمة هي التي عدلت عنه، وعصر الإمام علي (عليه السلام) وما جرى فيه من الأحداث العظيمة التي يحتاج فهمها إلى تأمل صادق، وبحث عميق حيث وقع كثير من الناس في تحليل الأحداث بمتاهات، فكان يصعب على بعضهم فهم سكوت الإمام علي (عليه السلام) في مقابل

ما جرى للخلافة[٥١]، قال (عليه السلام) بعد أن عزموا على بيعة عثمان: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَ اللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ» (١/ ١٢٤)، وقوله: نافست في الشيء منافسة، إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم، وتنافسوا فيه، أي رغبوا، والزخرف: الذهب، ثم شبه به كل مموه مزور، والمزخرف: المزين، والزبرج: الزينة من وشى أو جوهر، يقول لأهل الشورى: فهو (عليه السلام) في هذا الكلام أيضا يصرح بأنه أحق بالإمامة من غيره مطلقا، ويقول للقوم بأنكم عالمون بذلك، ولم يقل قوله: "والله لأسلمن..." إلّا بعد أن ناشد القوم بحقه، وبعد أن هددوه بالقتل إن لم يبايع[٥٢]، إنكم تعلمون أني أحق بالخلافة من غيري، وتعدلون عني، ثم أقسم ليسلمن وليتركن المخالفة لهم، إذا كان في تسليمه ونزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين، ولم يكن الجور والحيف إلّا عليه خاصة، وهذا كلام مثله (عليه السلام)، لأنه إذا علم أو غلب على ظنه أنه إن نازع وحارب دخل على الإسلام وهن وثلم لم يختر له المنازعة، وإن كان يطلب بالمنازعة ما هو حق، وإن علم أو غلب على ظنه بالإمساك عن طلب حقه إنما يدخل الثلم والوهن عليه خاصة، ويسلم الإسلام من الفتنة، وجب عليه أن يغضي ويصبر على ما أتوا إليه من أخذ حقه، وكف يده، حراسة للإسلام من الفتنة، فإن قلت: فهلا سلم إلى معاوية وإلى أصحاب الجمل، وأغضى على اغتصاب حقه حفظًا للإسلام من الفتنة؟ قلت: إن الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل

ومن معاوية وأهل الشام، لم يكن مقصورا عليه خاصة، بل كان يعم الإسلام والمسلمين جميعا، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرياسة الأمة وتحمل أعباء الخلافة، فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققا، وهو قوله: «ولم يكن فيه جور إلّا علي خاصة»، وهذا الكلام يدل على أنه (عليه السلام) لم يكن يذهب إلى أن خلافة عثمان كانت تتضمن جورًا على المسلمين والإسلام، وإنما كانت تتضمن جورًا عليه خاصة، وأنها وقعت على جهد مخالفة الأولى، لا على جهة الفساد الكلي والبطلان الأصلي، وهذا محض مذهب أصحابنا[٥٣].

إن أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما قيل له: بايع، قال: فإن لم أفعل!! قالوا: إذن تقتل!! قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله... فأجابوه: أمَّا عبد الله فنعم وأما أخو رسوله فلا... وبعد ذلك التفت إلى قبر رسول الله، وقال (عليه السلام): «يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»... أي إنه ردد نفس كلام نبي الله هارون؛ ليبين إن موقفه يشابه موقف نبي الله هارون... أو إن قول علي (عليه السلام) إشارة إلى السبب الثاني الذي ذكره هارون من عدم تفريق كلمة المسلمين: (لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين وكان الجور علي خاصة)... وكأن النبي (صلى الله عليه واله) أراد أن يؤكد لنا هذا التشابه بينهما أيضًا حينما قال لعلي «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنَّه لا نبي بعدي**» وقال أيضا: (علي وهارون كالفرقدين)، أو حينما قال له: (إن الأمة ستغدر بك بعدي)، أو قوله له: (أما أنت ستلقى بعدي جهدا)، أو قوله لأهل بيته: (أنتم المستضعفون بعدي)[٥٤].

وأمَّا السبب الذي دعاه (عليه

السلام) إلى العدول عن مناجزة القوم وقتالهم فأمور عدة، منها:

أولا: تقيَّد الإمام علي بوصية النبي له، فإن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي: «**إن قريشًا ستظاهر عليكم، وتجتمع كلمتهم على ظلمك وقهرك، فإن وجدت أعوانًا فجاهدهم، وإن لم تجد أعوانًا فكف يدك وأحقن دمك، أما إن الشهادة من ورائك، لعن الله قاتلك**»[٥٥]؛ إذ إن عليًّا (عليه السلام) لم يجد من المسلمين عددًا كافيًا للقيام بالسيف، وإن كان يمتلك من الشجاعة ما يجعله قادرًا على الوقوف لوحده، إلا أن للناصر في مثل هذا المقام موضوعية، فإن المسألة ليست مسألة انتقام، وإنما هي إمارة يراد بها سياسة الناس تدبير أمورهم، فإذا عدلت الأمة عن أميرها، ولم تقف إلى جانبه ولم تنصره على عدوه، سقطت الحجة عنه، وكان له القعود والاعتزال، وقد وردت نصوص عديدة تدل على أنه (عليه السلام) قد حمل فاطمة والحسنين (عليه السلام) ودار بهم ليلاً على بيوت المهاجرين والأنصار واستنصرهم في محاولة لاستطلاع الوضع وإحصاء القدرات المتاحة، فما استجاب له إلّا القليل ممَّن لم تقم بهم الحجة، وفكَّر في أمر المقاومة والدفاع عن هذا الحق الذي يراه أولى به، فرأى أنه لا ناصر له إلّا أهل بيته، وهم قليلون بالنسبة إلى من لا يعينه أو يعين عليه، فإنه لم يكن له معين إلّا بني هاشم كالعباس وبنيه وأبي سفيان بن الحرث ومن يخصهم وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة ظاهر فظن بهم عن الموت لعلمه (عليه السلام) أنه لو قام بهم لقتلوا ثم لا يحصل له مقصوده، لذا قال[٥٦] (عليه السلام): «**فَنَظَرتُ فَإذا لَيسَ لي رافِدٌ ولا ذابٌّ ولا مُساعِدٌ إلّا أهلَ بَيتي فَضَنَنتُ بِهِم عَنِ المَنِيَّةِ،**

فَأغضَيتُ عَلَى القَذى، وجَرَعتُ ريقي عَلَى الشَّجا، وصَبَرتُ مِن كَظمِ الغَيظِ عَلى أمَرَّ مِنَ العَلقَمِ، وآلَمَ لِلقَلبِ مِن وَخزِ الشِّفارِ»(٢/ ٢٠٢).

ثانيا: نظرة الإمام علي الثاقبة لمستقبل الإسلام، إذ رأى أن المجتمع الإسلامي حديث عهد بالدين، وأن الحرب الداخلية ستأتي على الإسلام من الجذور، ولن تبقي له باقية، ولاسيما مع وجود من يتربص بهذا الدين، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يعيش همَّ الإسلام، وقد رعى بذرته منذ نشوئها، وشارك في إنمائها جنبًا إلى جنب مع الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فلا يتصور منه أن يقدم على ما يؤدي إلى القضاء على الإسلام، وأي فائدة تعود عليه إذا أقدم على ذلك؟ لأجل هذا لجأ (عليه السلام) إلى المسالمة، وتخلى عن حقه في الإمارة والخلافة، فأشفق علي في تلك الظروف أن يظهر إرادة القيام بأمر الناس مخافة البائقة، وفساد العاجلة، والقلوب على ما وصفنا، والمنافقون على ما ذكرنا، يعضون عليهم الأنامل من الغيظ، وأهل الردة على ما بينا، والأمم الكافرة على ما قدمنا، والأنصار قد خالفوا المهاجرين، وانحازوا عنهم يقولون: منا أمير ومنكم أمير، فدعاه النظر للدين إلى الكف عن طلب الخلافة، والتجافي عن الأمور، علما منه إن طلبها والحال هذه، يستوجب الخطر بالأمة، والتغرير في الدين، فاختار الكف إيثارًا للإسلام، وتقديمًا للصالح العام، وتفضيلا للآجلة على العاجلة[٥٧]، ولهذا فإن موقفه (عليه السلام) عندما عدل عن السيف ولجأ إلى السلم لم يكن إقرارًا او اعترافًا بشرعية الآخرين، ولا يدل ابدًا على بطلان حقه وسقوط أولويته وتقدمه، ولم يكن ذلك تقصيرًا في وظيفته التي حمله

الله إياها، وحاله كان كحال الأنبياء العظام الذين أرسلهم الله رحمة للناس، فخذلوهم وكذبوهم، فعاد ذلك على الناس بالسوء والضلال ونجى الله أنبياءه ورفع منازلهم عنده بما صبروا وجاهدوا.

ثالثا: زهد الإمام علي بالمناصب الدنيوية (عليه السلام)، فليس له رغبة شخصية في الإمارة ولا يحرص عليها، وإذا طلبها فإنما يطلبها لغيرها، يطلبها ليقيم قواعد العدل ويكرس أحكام الدين ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذه هي مهمة الأنبياء والأوصياء وأهدافهم، فإذا أمكنهم ذلك قاموا بالأمر وتحملوا أعباء المسؤولية، وإذا حالت دونهم الظروف وقامت أمامهم الموانع والعقبات، لم يأسوا على ما فاتهم من الإمارة والسلطان، بل اعتبروا ذلك من قبيل التكليف الذي أسقطه الله بالعجز وعدم القدرة. وهذا حاله (عليه السلام) مع قومه، قال (عليه السلام) زاهدًا بكل شيء «**وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ**» (١/ ٣٧).

رابعا: حسد منافسيه على ما آتاه الله من فضله، إما حقدًا عليه؛ لأنه قتل صناديدهم وهشم أبطالهم، وأرغم أنوفهم، وأخضعهم وحطم كبرياءهم بسيفه وشجاعته حتى أسلموا واستسلموا وهو مع ذلك شامخ يذود عن ابن عمه لا تأخذه في الله لومة لائم[٥٨]، إذ قال (عليه السلام) في هذا «**.....فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي....**»(٣/ ٦١).

والمسلمون اليوم بلا شك يعيشون

ما يعيشون من الفرقة والتشتت والوهن والضياع؛ لأنهم لم يتمسكوا بالثقلين اللذين أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بالتمسك بهما، كتاب الله وعترة رسوله (صلى الله عليه واله).

الخاتمة وأبرز النتائج

بعد أن تنقلنا بين أقوال الإمام علي (عليه السلام) وخطبه البليغة، التي تناولت هموم الأمة ومشاكلها، وما ذهب إليه شارحوها، توصلنا إلى أمور عدة منها:

١- لا تثبت الإمامة بالاختيار والانتخاب بل بالنص الالهي، وقد ثبت فشل كل قيادات الأمة وولاتها عبر التاريخ، فقد عمَّ الظلم والاضطهاد، وانتشر الرعب والفقر في المجتمعات، على الرغم من قيام نظام الخلافة بالسيطرة على الأمصار الإسلامية ومقدراتها، ويمكننا القول إن انتشار رقعة الدولة الإسلامية ورقيها حضاريًّا كان بمدد من الله تعالى والمؤمنين المخلصين الذين كان همهم نشر الدين، فانتشر بين الناس بفضل الأخلاق التي حملها المؤمنون لتلك البلدان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الدور الريادي للأئمة آل البيت (عليهم السلام) في نشر الدين والعلم، فقد تخرج من مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) آلاف العلماء والطلبة، حاملين الدين والعلم والأخلاق المحمدية، وهكذا انتشر الإسلام.

٢- لم يكن الاختيار الإلهي للأئمة (عليهم السلام) جزافاً، بل لتوفر شروط عديدة في شخص الإمام، وقد ذكر الإمام علي (عليه السلام)، بعض من هذه الصفات والشروط في خطبه وأقواله بينت أهليته لهذا المنصب.

٣- تقع على عاتق الإمام مهام كثيرة منها نشر الدين والعدل والمساواة، وإحقاق الحق والنصح للأمة، وغيرها من المهام، وقد أرجع

الإمام علي (عليه السلام) عند تسلمه الخلافة كل الحقوق المسلوبة ووزع العطاء بالسوية.

٤- ستتيقن الجموع الغفيرة المتنوعة الاتجاهات والأفكار والمعتقدات أن قيادة الأمم لا تكون إلّا بتولي المعصوم الأمر، عندما يفرج الله تعالى عن الإمام الذي ادَّخره لآخر الزمان: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٥٩]، عندها سيحقق العدل الإلهي على الأرض ويدين له كل العالم.

٥- إن بلاغة أقوال الإمام علي (عليه السلام) وخطبه، وغزارة ما جاء فيها من علم وحكم تدل دلالة واضحة أن كل ما في نهج البلاغة عائد للإمام علي، فقد شكك بعضهم في هذا الكتاب متبعين منهج آبائهم في عداء الإمام، حسداً له وحقداً عليه.

٦- أن يقتدي السياسي بالإمام علي (عليه السلام)؛ إذ سُلب حقه المنصوص عليه من الله ورسوله، ومع ذلك وقف موقفًا إيجابيًّا محافظًا على الدين والدولة الفتية وديمومتها، فلم يحاول (عليه السلام) الكيد ممَّن أقصوه عن الخلافة، بل كان المستشار والناصح الأمين لهم، قال عمر: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن)[٦٠]، ومن جهة أخرى لم يكن يهادن في الحق، فقدم (عليه السلام) المثل الرائع للسياسي المخلص لدينه وأمته، وما نراه اليوم لا يمثل إلّا نفاقاً سياسيًّا هدفه تحقيق مصالح شخصية بعيدة عن أخلاق الأمة التي أحياها النبي (صلى الله عليه وآله): ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦١].

الهوامش

١- المائدة: ٦٧.

٢- آل عمران: ١٠٣.

٣- المائدة: ٣.

٤- آل عمران: ١٤٤.

٥- ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

٦- ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

٧- ينظر: لسان العرب، لابن منظور: (١/ ٢٤)، والقاموس المحيط: (١/ ١٠٧٧)، وتاج العروس الزبيدي: (٣١/ ٢٤٦).

٨- مناهج اليقين العلّامة الحلّي: (ص ٣٦٧).

٩- الأحكام السلطانية، علي بن محمد بن حبيب الماوردي: (ص ١٥).

١٠- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: (١/ ٢٦٠).

١١- التعريفات الفقهية: (ص: ٨٩).

١٢- البحر الرائق: ابن نجيم المصري: (٥/ ٣٢)، وينظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: (١/ ٧٥٧).

١٣- تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون: (١/ ٢٠٩).

١٤- المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: أويس كريم محمد: (ص ١).

١٥- ينظر: الذريعة: آقا بزرگ الطهراني: (١٤/ ١١٢).

١٦- [آل عمران: ١٤٤].

١٧- فقد ورد في صحيح مسلم (٧/ ١٢) وغيره هذه الرواية: حدثنا يوسف أبو سلمة الماجشون حدثنا محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي**».

١٨- ينظر بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي: (٢٩/ ٦٠٧).

١٩- ينظر: بحار الأنوار: العلامة المجلسي: (٣٣/ ٥٩٨).

٢٠- ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: (١٧/ ١٣٢- ١٣٣).

٢١- الأحكام السلطانية: علي بن محمد

بالماوردي: (ص: ٢٧).
٢٢- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: (٩/ ٣٢٨).
٢٣- بحار الأنوار: العلامة المجلسي: (٣٤/ ٢٥).
٢٤- شرح أصول الكافي: مولي محمد صالح المازندراني: (٥/ ٢١٥).
٢٥- دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري (ص ٢٢).
٢٦- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلاني: (ص٥٠٢).
٢٧- بحار الأنوار: العلامة المجلسي: (٣٢/ ٧٧).
٢٨- [فاطر: ٨].
٢٩- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة): الميرجهاني،: (ص ٣١٦).
٣٠- نهج البلاغة: الشيخ محمد عبده: (٢/ ٦٤).
٣١- ينظر: شرح كتاب السنة للبربهاري: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي: (٦/ ٣).
٣٢- ينظر: الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء: (ص: ٢٠، ٢٣).
٣٣- نظام الحكم في الإسلام: الشيخ المنتظري: (ص ١١٨).
٣٤- كتاب الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي: (ص ١٩٥).
٣٥- أضواء على الصحيحين: الشيخ محمد صادق النجمي: (ص ٣٥١).
٣٦- رسائل في الغيبة: الشيخ المفيد: (١/ ٦).
٣٧- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: (٢/ ٢٠٥).
٣٨- [التوبة: ٦٠].
٣٩- المصدر نفسه: (٨/ ١١١).
٤٠- نفسه: (١٠/ ١٠٠).
٤١- [القصص: ٨٣].
٤٢- علل الشرائع: الشيخ محمد بن علي الصدوق: (١/ ١٥٢).
٤٣- رسائل المرتضى: الشريف المرتضى: (٢/ ١٠٨).
٤٤- ينظر: بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي: (٢٩/ ٥٣٢).
٤٥- نهج البلاغة: شرح محمد عبده: (١/ ٣٥).
٤٦- كتاب الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي: (ص ١٧).
٤٧- الشهب الثواقب لرجم شياطين

النواصب: الشيخ محمد آل عبد الجبار: (ص ١٤).
٤٨- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي: (٣١/ ٣٣٦).
٤٩- السيف والسياسة: صالح الورداني: (ص ١٨٢).
٥٠- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي: (٤١/ ٣٥١).
٥١- صراط النجاة: الميرزا جواد التبريزي: (٣/ ٤٢٦).
٥٢- الإمامة في أهم الكتب الكلامية: السيد علي الميلاني: (ص ٢٨).
٥٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: (٦/ ١٦٧).
٥٤- الانتصار: العاملي: (٦/ ٤٢٦).
٥٥- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري: (١١/ ٣٣٣).
٥٦- ينظر: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: السيد علي خان المدني: (ص ١٩٥).
٥٧- ينظر: المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين: (ص ٢٥٠).
٥٨- لأكون مع الصادقين: الدكتور محمد التيجاني: (ص ٩٤).
٥٩- [القصص: ٥].
٦٠- بحار الأنوار: العلامة المجلسي: (٤٠/ ١٤٩).
٦١- [آل عمران: ١١٠].

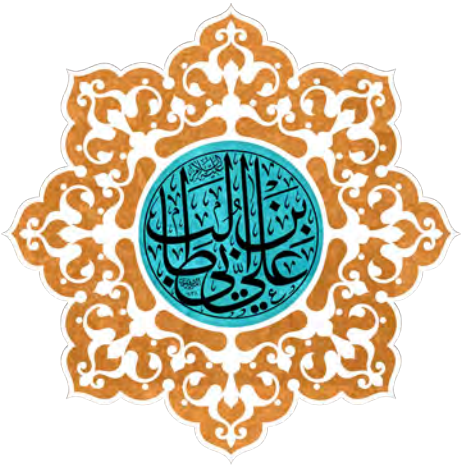

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أضواء على الصحيحين: الشيخ محمد صادق النجمي، تحقيق وترجمة: الشيخ يحيى كمالي البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم- إيران، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٩هـ.

٢. تاج العروس: الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د ط.

٣. الانتصار: العاملي: دار السيرة- بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى: ١٤٢٢.

٤. الشهب الثواقب لرجم شياطين النواصب: الشيخ محمد آل عبد الجبار، تحقيق: حلمي السنان، مطبعة الشهاب، قم- إيران، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨.

٥. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣- ١٩٩٢م.

٦. تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون: دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، د ط.

٧. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلاني، تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٤١٤- ١٩٩٣م.

٨. دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري (الشيعي) مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٣.

٩. رسائل في الغيبة: الشيخ المفيد، تحقيق: علاء آل جعفر، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية: ١٤١٤- ١٩٩٣م.

١٠. لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤١٤ هـ.

١١. نهج البلاغة: الشيخ محمد عبده: دار الذخائر- قم - إيران الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢- ١٣٧٠ ش.

١٢. الأحكام السلطانية: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي، دار الحديث - القاهرة، د.ط.

١٣. الإمامة في أهم الكتب الكلامية: السيد علي الميلاني، منشورات شريف الرضي، قم - إيران، الطبعة: الأولى، سنة

الطبع: ١٤١٣- ١٣٧٢ ش.
١٤. البحر الرائق: ابن نجيم المصري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٨- ١٩٩٧م.
١٥. التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م) الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٦. الذريعة: آقا بزرگ الطهراني، دار الأضواء- بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية.
١٧. السيف والسياسة: صالح الورداني، دار الجسام، القاهرة- مصر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٩٩٦م.
١٨. رسائل المرتضى: الشريف المرتضى، تحقيق: تقديم: السيد أحمد الحسيني، المطبعة: مطبعة الخيام، إيران - قم، سنة الطبع: ١٤٠٥.
١٩. شرح أصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني،: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١- ٢٠٠٠ م.
٢٠. شرح كتاب السنة للبربهاري: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي http://www.islamweb.net
٢١. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى: ١٣٧٨- ١٩٥٩ م.
٢٢. علل الشرائع: الشيخ محمد بن علي الصدوق، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٨٥- ١٩٦٦م.
٢٣. صراط النجاة: الميرزا جواد التبريزي، المركز الثقافي أمين، إيران- قم، الطبعة: الأولى: ١٤١٨- ١٩٩٧ م.
٢٤. كتاب الأربعين: محمد طاهر القمي الشيرازي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، المطبعة: أمير، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨.
٢٥. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية:

د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، الطبعة: الأولى- ١٩٩٦م.
٢٦. لأكون مع الصادقين: الدكتور محمد التيجاني: مؤسسة أنصاريان- قم- إيران، د. ط.
٢٧. مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة): الميرجهاني، نسخة مخطوطة، سنة الطبع: ١٣٨٨.
٢٨. مناهج اليقين العلامة الحلّي أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي، تحقيق محمد رضا الأنصاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، د. ط.
٢٩. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث،: دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٥.
٣٠. نظام الحكم في الإسلام: الشيخ المنتظري، المطبعة: هاشميون، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٨٠ ش.
٣١. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: السيد علي خان المدني، تحقيق: تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم: منشورات مكتبة بصيرتي- قم، سنة الطبع: ١٣٩٧.
٣٢. المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين، تحقيق: حسين الراضي، الطبعة: الثانية: ١٤٠٢- ١٩٨٢م.
٣٣. المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: أويس كريم محمد: مجمع البحوث الإسلامية- مشهد - إيران، الطبعة: الأولى.
34. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

السَّلامُ عَلَيْكِ يَابِنْتَ نَبِيِّ اللهِ

قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام):

إنَّ السعيد كل السعيد، حق السعيد

من أحب عليًّا في حياته وبعد موته.

مجمع الزوائد ج9 ص132

INAHJ.ORG

قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام):

يا أبا الحسن، إنَّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد إليَّ

وحدثني أني أول أهله لحوقًا به ولابد منه،

فاصبر لأمر اللّه تعالى وارضَ بقضائه.

بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٠٠ ح٣٠

إقصاء الإمام علي (عليه السلام)عن فضائله في صحيحي البخاري ومسلم رواية مبايعة الإمام علي (عليه السلام) لأبي بكر المرحلة المدنية (أنموذجاً)

أ. م. د.حسين كريم حميدي المسعودي
الباحث علي مزهر إبراهيم التميمي
جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية-قسم التاريخ

Exclusion of Imam Ali (pb) of His Virtues in Sahih Bukhari and Sahih Muslim (the Narration of Imam Ali (pd)swear Allegiance to Abu Bakr) almadena stage as an example

Asst . prof. Dr. Hussein Karim al- Masoudi
Ali Mezher al- Tamimi
Karbala University - College of Education for Humanities - Department of History

ملخص البحث

اشتمل هذا البحث على احدى طرق إقصاء الإمام علي (عليه السلام) عن فضائله التي مورست في كتب التاريخ والسيرة والحديث، ومن هذه الكتب صحيحي (البخاري ومسلم) من أجل إبعاده وإقصاءه عن فضائله والنيل من شخصيته (عليه السلام) ونظرا لأهمية الموضوع فقد عمد الباحث على تسليط الضوء على كيفية إقصاء الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والطرق المتبعة في ذلك، ومنها ما جاء في رواية مبايعة الإمام علي (عليه السلام) لأبي بكر وهي العينة دار البحث.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي، إقصاء، فضائل، البخاري، مسلم.

Abstract

The research included one way to exclude Imam Ali (pb)of his virtues was exerted in history, biographical and hadith books.

Of these books Sahih Bukhari and sahih Muslim. Girven the importance of the issue the researcher highlighted the modality of exclusion of Imam Ali Ibn Abi Talib (pb) and methods adopted, including the narration of Imam Ali (pb) swear allegiance to Abu Bakr.

Keywords

Imam Ali, Exclusion, Virtues, Bukhari, Muslim.

المقدمة:

ممَّا لا شك فيه أن سيرة أي شخصية تاريخية أو قيادية أو دينية تكون موضع اهتمام ودراسة لدى الكثير من الباحثين، فكيف بشخصية كالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهذه الشخصية لما تمتلكه من قيمة إنسانية ودينية وعقائدية مهمة يقينا ومن دون أدنى شك ستكون شخصية غنية وكبيرة بكل ما تحمله من تفاصيل دقيقة وكبيرة تستحق أن تكون موضع دراسة وتحقيق، فممَّا لا شك فيه أن شخصية الإمام علي (عليه السلام) قد تعرضت للمحاربة والمناهضة من قبل مناوئيه، ومن جملة ما تعرض إليه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قضية إقصائه وإبعاده وتهميشه عن كثير من فضائله والتي شهد بها العدو قبل المحب، فبعد التوكل على الله وتوجيه أصحاب الاختصاص كان قد وقع اختياري على أن يكون ميدان بحثي متركزا على موضوع إقصاء الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن فضائله في صحيحي البخاري ومسلم في المرحلة المكية والمدنية ولاسيما المرحلة المدنية التي يدور حولها البحث مبينا تفاصيل كثيرة عن طريق ما أوردته من شواهد ووقائع في طيات هذا البحث المتواضع

رواية مبايعة الإمام علي (عليه السلام) لأبي بكر

أورد البخاري في مسألة مبايعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لأبي بكر - بحسب رأيه - روايتين متداخلتين إحداهما جعلها البخاري مكملة للأخرى؛ فالأولى: مطالبة الزهراء (عليها السلام) لحقها في الميراث من أبي بكر بعد وفاة النبي محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم). والثانية: تتكلم عن كيفية مبايعة

الإمام علي (عليه السلام) لأبي بكر، وفي كلتا الروايتين نجد إقصاءً لفضائل الإمام علي (عليه السلام) بطرق وأساليب سنكشف عنها:

الرواية الأولى:

أورد البخاري ما نصه: «ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن فاطمة (عليها السلام) بنت النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) مما أفاء الله عليه بالمدينة، وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال**»، وأنا والله لا أُغير شيئاً من صدقة رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت؛ وعاشت بعد النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلَّى عليها...»[1].

الرواية الثانية:

جاء إلحاق في سند الرواية المذكورة آنفا نفسها، ونصه: «وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا، ولا يأتنا أحد معك كراهية لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي؟ والله لآتينهم، فدخل

عليه أبو بكر فتشهد علي، فقال: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) نصيباً، حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) أحب إليَّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) يصنعه فيها إلَّا صنعته، فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر رقى المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد علي فعظم حق أبي بكر وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكاراً للذي فضله الله به، ولكنَّا كنَّا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا، فسر بذلك المسلمون وقالوا: أصبت وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر بالمعروف»[٢] .

فالروايتان السابقتان كما هو واضح تُظهران أنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قد اعتزل عنه الناس ولم يكن له وجه بينهم بعد وفاة الزهراء (عليها السلام)!!!

وإنَّ السبب الرئيس لموافقته على بيعة أبي بكر هو انكفاء الناس عنه !!!؛ وفضلاً عن ذلك فقد أسست الرواية لقضية مهمة جداً ألا وهي طريقة بيعة الإمام علي (عليه السلام) واعتذاره من أبي بكر !!! . وحضوره وتشهده (أي قوله أشهد أن لا إله إلا الله) ورضا الناس عنه بعد هذه الحادثة !!! .

لعل القارئ للروايتين أعلاه

ولعللهما يجد جليًّا الطرق التي استعملها البخاري ليقصي بها الإمام علي (عليه السلام)، والقارئ المتمعن المنصف يرى بوضوح كيفية حبك النص كي يتوافق مع البنية التاريخية أو المشهور التاريخي العام الذي كُتب به التاريخ، فنقول هنا إننا يمكن أن نثبت مجموعة من الردود داعمين ذلك بالأدلة التاريخية:

١- يمكن أن نسأل هنا: كيف صالح الإمام علي (عليه السلام) أبا بكر أو بحسب عبارة البخاري التمس مصالحته «فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته»؟ وهل من المعقول أن الزهراء (عليها السلام) تموت وهي واجدة حزينة ولم تصالح أو لم يصالحها أبو بكر لحرمانها - على فرض صحة سبب وجادتها - من ميراث أبيها، ويأتي علي (عليه السلام) بعد دفنها ليصالح أبا بكر؟ هل من المعقول أن الناس قد انكفأت عن علي (عليه السلام) والسبب كان موت الزهراء؟ لأنها (عليها السلام) كانت سبب حظوة الإمام علي (عليه السلام)، فبعد موتها انكفأ الناس عن الإمام علي (عليه السلام)!!!؛ أليس من الأحرى أن ينكفأ الناس عن أبي بكر الذي وباعتراف البخاري أن الزهراء (عليها السلام) قد ماتت وهي واجدة عليه أي حزينة، «فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت»[٣].

ثم ما هي جريرة الإمام علي (عليه السلام) التي جعلت الناس تتركه، الأمر الذي دعاه أن يصالح أبا بكر ويخضع لصلحه وبيعته؟

٢- فضلاً عن وجادة (حزن) الزهراء (عليها السلام) على أبي بكر والتي صرح بها البخاري، وجدنا في

النص دليلاً على تخاصم أبي بكر مع علي (عليه السلام) بقول أبي بكر: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) أحب إليّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيها عن الخير»، لاحظ كلمة شجر التي تدل على أن هناك خصاماً، وقد عزاه البخاري إلى قضية الميراث وحبس الأموال!!!

في حين أن القضية أبعد من هذا بكثير؛ إذ جُيرت أسباب وجادة الزهراء (عليها السلام) على أبي بكر؛ لأنه منعها من ميراث أبيها، وحقيقة الأمر هو دخول دارها عنوة بأمر أبي بكر الصديق وعمر وإليك النصوص التي تثبت ذلك.

ففي الوقت الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال نفي تلك الأحاديث والروايات الواردة لأنها مروية بأسانيدها وإثباتها فهي لست تصورا عاطفيًّا أو تعبير لسان، بل ثبت صحة النقول عند الرجوع إلى حقيقة البيان، وقد رددنا على هذه الروايات المزعومة التي تنفي الاعتداء بما فاضت به الروايات من الكتب التاريخية، والدليل على أن الاعتداء قد حصل من قبل أبي بكر وعمر سنده قوي وصحيح، وليس في كتب الشيعة وحسب، بل حتى في كتب أهل السنة أنفسهم، ولا ينكرها إلّا من أراد أن يسفه نفسه، فهذا البلاذري في أنسابه يؤكد ما قلناه: «إنّ أبا بكر أرسل إلى علي يريد بيعته، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب! أتراك **«محرقاً عليّ بابي»**؟ قال: نعم، وذلك أقوى ممّا جاء به أبوك»[٤].

وهذا ما أكده المسعودي أيضاً: «أنه كان يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب وجمعه الحطب

ليحرقهم، قال عروة في مقام العذر والاعتذار لأخيه عبد الله بن الزبير: بأن عمر أحضر الحطب ليحرق الدار على من تخلّف عن البيعة لأبي بكر»[٥].

ولم يكن اعتداءً واحداً وحسب بل هي سلسلة من الهجمات نفذها الخليفة الأول والثاني بمعية خالد بن الوليد وبعض الصحابة من الذين انحرفوا عن جادة الصواب، وهذه حقيقة ثابتة كالشمس في رابعة النهار، وسنتناولها إن شاء الله.

فلما فرغ علي (عليه السلام) من دفن رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أقام في منزله والتزم بما عهد إليه رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، فجاء إليه مجموعة من بني هاشم والأصحاب من المهاجرين والأنصار يبايعونه والتزم بوصية الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) عندما قال له: «**ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى أفارقك، قال: فقال علي: يا رسول الله فما أصنع؟ قال: اصبر قال: فإن لم أصبر؟ قال: تلق جهداً، قال: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك، يقولها ثلاث مرات**»[٦]، وممَّا لا شك فيه أن هذه الضغائن دفعتهم إلى دخول دار الزهراء (عليها السلام) فيما بعد.

وأما حزب أبي بكر وعمر توجهوا إلى سقيفة بني ساعدة للحصول على مكاسبهم السياسية كما ورد عند ابن هشام: «ولَّما قبض رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أسيد بن حضير، في بني عبد الأشهل، فإذا آت إلى أبي بكر وعمر، فقال: إن هذا الحي من

الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم، ورسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) في بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله، قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، حتى ننظر ما هم عليه»[٧].

فالحقيقة أنه لا يوجد عذر معتد به يملكه البخاري عندما غض النظر عن نقل روايات حرق دار الزهراء والاعتداء عليها، وإليك عملية التهديد والحصار ثم الاقتحام والاعتداء بالضرب وحرق الدار التي جرت عبر سلسلة من الهجمات.

أولاً: فرض حصار حول بيت الزهراء (عليها السلام) كما ورد عند اليعقوبي قائلاً: «أنّه بلغ أبا بكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) في منزل فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار...»[٨].

ثانياً: الحوار بين الزهراء وأبي بكر وغضبها بسبب الهجوم كما ورد عند الجوهري «قال: سأل أبو بكر فقال: أين الزبير؟ فقيل: عند علي وقد تقلَّد سيفه، فقال: قم يا عمر، وقم يا خالد بن الوليد، انطلقا حتى تأتياني بهما... ورأت فاطمة ما صنع بهما، فقامت على باب الحجرة، وقالت: **يا أبا بكر أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله**»[٩].

وقد وثق هذا الحوار وتأنيب فاطمة للقوم ابن قتيبة الدينوري قائلاً: «فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم

رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً، فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟ فقال أبو بكر لقنفد وهو مولى له: اذهب فادع لي عليًّا، قال فذهب إلى عليّ فقال له: ما حاجتك؟ فقال يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله . فرجع فأبلغ الرسالة...»[١٠]، وهنا نسأل مسلماً والبخاري أين أنتما من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[١١] وهذا متبعكما ابن كثير يقول في تفسيره: «ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم فإنّهم من ذريّة طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً، وحسباً، ونسباً»[١٢].

ثالثاً: الإنذار الأخير من قبل عمر حيث وجه آخر إنذار بخروج الإمام علي وأهل بيته (عليهم السلام) لغرض بيعة أبي بكر أو دخول الدار وحرقها، كما ورد: «قال عمر لمن كان في دار الإمام علي (عليه السلام): والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها ! فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة»[١٣] .

وهنا نسأل عمر أين أنت من حديث الرسول بحق فاطمة كما ورد عند مسلم قائلاً: «قال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم): **إنما فاطمة بضعة مني**»[١٤]، وكما ورد عند ابن حجر: «عن النبي قال: **إذا كان يوم القيامة، قيل: يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت رسول الله فتمر وعليها ريطتان خضراوان**»[١٥].

رابعاً: العملية التالية إصدار الأوامر؛ إذ أوعز عمر و أبو بكر إلى جلاوزتهم بحرق الدار، فهذا

صاحب الملل والنحل قال: «وكان عمر يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها!! وما كان في الدار غير علي، وفاطمة والحسن والحسين»[١٦].

خامساً: العملية الأخيرة هي تنفيذ الهجوم الذي ورد عند ابن طاوس نقلاً عن كتاب العقد الفريد عند ذكر أسماء جماعة تخلفوا عن بيعة أبي بكر؛ إذ قال: «...وأمَّا علي والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: **يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟** قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة»[١٧].

وقد كشف النقاب بشكل جلي لتلك الحادثة المشؤومة سليم بن قيس عندما قال: «ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) وصاحت: **(يا أبتاه يا رسول الله)**، فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت: **(يا أبتاه)**، فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت: **(يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر)**...»[١٨].

ونكمل أحداث الهجوم وما دار بينهم وبين الإمام علي (عليه السلام) من مواجهات وتمكنه منهم إلَّا أنه التزم بوصية الرسول وعهوده إليه، هذا ما رواه قيس بن سليم قائلاً: «فوثب علي (عليه السلام)، فأخذ بتلابيبه ثم نتره فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهمَّ بقتله، فذكر قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما أوصاه به، فقال: **(والذي كرَّم محمداً بالنبوة - يا بن صهاك - لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إلي رسول الله صلى الله عليه وآله لعلمت أنك لا**

تدخل بيتي). أبو بكر يصدر أمره بإحراق البيت مرة أخرى، فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار وثار علي (عليه السلام) إلى سيفه، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوف أن يخرج علي (عليه السلام) إليه بسيفه، لما قد عُرف من بأسه وشدته، فقال أبو بكر لقنفذ: (ارجع، فإن خرج وإلّا فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم النار)، فانطلق قنفذ الملعون، فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وثار علي (عليه السلام) إلى سيفه فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم فكاثروه وضبطوه، فألقوا في عنقه حبلاً وحالت بينهم وبينه فاطمة (عليها السلام) عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدملج من ضربته، لعنه الله ولعن من بعث به»[١٩]، وتبين من خلال الرواية ضرب الزهراء (عليها السلام) في عضدها وإشعال النار في بيتها.

وقد تأثّرت وأصيبت الزهراء (عليها السلام) في محنتها تأثراً بالغاً بما حدث، فدفعها هذا التأثّر النفسي والإصابة الجسدية إلى إسقاط جنينها، ومن أجل التعرف على الحقيقة ننظر إلى كتب أهل السنة أنفسها التي تذكر هذا الحدث كما ورد عند ابن حجر والذهبي: «إن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن»[٢٠].

وقد ذكر الطبري وقتها بالتفصيل قائلاً: «وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، ولم تدع أحداً من آذاها يدخل عليها، وكان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سألا أمير المؤمنين أن يشفع لهما إليها، فسألها أمير المؤمنين (عليه

السلام) فأجابت، فلما دخلا عليها قالا لها: كيف أنت يا بنت رسول الله؟ قالت: **بخير بحمد الله**، ثم قالت لهما: **ما سمعتما النبي (صلى الله عليه وآله) يقول**: «**فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»؟ قالا: بلى، قالت: **فوالله، لقد آذيتماني**، قال: فخرجا من عندها وهي ساخطة عليهما»[٢١].

وممَّا يؤيد ما سبق اعتراف أبي بكر وإقراره بالذنب، بل ندمه على الهجوم على بيت فاطمة (عليها السلام)، فقد ذكر الذهبي قائلاً: «قال أبو بكر: إنّي لا آسى على شيء إلّا على ثلاث وددت أني لم أفعلهن: وددت أني لم اكشف بيت فاطمة، وتركته»[٢٢].

وهذا الصفدي ينقل أفعال عمر في أهل بيت الرسول قائلاً: «إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها»[٢٣]، وكذلك الشهرستاني بقوله: «إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين»[٢٤].

وهنا نكشف الأبعاد الحقيقية التي أخفاها عنا البخاري ومسلم حول الهجوم الذي نفذه أبو بكر وعمر، فلم تكن أبعاداً سياسية من أجل الخلافة فحسب وإضافة الشرعية عليها، لكنهما كانا أصحاب ثأر ويطلبوا عليًّا (عليه السلام) دماً بما فعله فقاره في بدر وأحد بقريش، وهذه شهادة نطق بها رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لا يمكن ردها كما في كتاب قيس بن سليم قائلاً: قال الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) للإمام علي (عليه السلام) «**يا أخي، أبشر فإن حياتك وموتك معي، وأنت أخي وأنت وصيي وأنت وزيري وأنت وارثي،**

وأنت تقاتل على سنتي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة؛ إذ استضعفه أهله وتظاهروا عليه وكادوا أن يقتلوه، فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهرهم عليك فإنها ضغائن في صدور قوم، أحقاد بدر وترات أحد»[٢٥].

ومن حديث الرسول المذكور آنفا اتضح السعي من قبل عمر والتخطيط للوصول إلى الحكم بواسطة أبي بكر، كما ورد عند البخاري عن عمر «كانت بيعة أبي بكر إلّا فلتة»[٢٦].

وهذا يكشف لنا إصرار عمر أكثر بكثير من أبي بكر، فهو ليس حقداً دفيناً فقط، بل حالة من الانتقام مكبوتة في نفسه يتضح ذلك جليًّا في أحداث الهجوم والسقيفة كما عند ابن قتيبة الدينوري قائلاً: ..فقال عمر، الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر رضي الله عنه لقنفد: عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفد، فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال سبحان الله؟ لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفد، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا عليًّا، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا

أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) يصيح ويبكي، وينادي: **يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**»[٢٧].

وعند التأمل بعبارة الرواية تجد هول ما فعله عمر بحق فاطمة مثل: (لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة)، و(فلما سمع القوم صوتها وبكاءها)، و(وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر)، وهنا نقول وعند الله تختصم الخصوم.

فلم يكن عذاب الله قد شمل من غصب حقها واعتدى عليها، بل يتعدى ذلك إلى من غيَّب الحقيقة وغض الطرف عنها، فهو أيضاً ستلاحقه لعنة الله (عزَّ وجلَّ) عندما قال تبارك وتعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾[٢٨].

ومجمل الكلام أن هذه المأساة التي جرت على السيدة فاطمة (عليها السلام) قد أخبر عنها رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ونقلها المنصفون، فهذا الجويني الشافعي عن النبي (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) قال: «**. . وإني لما رأيتها، ذكرت ما يصنع بها بعدي كأني بها وقد دخل الذل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصبت حقها، ومنعت إرثها وكسرت جنبها، وأسقطت جنينها وهي تنادي: يا محمداه فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث . . . ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة . . . فتقدم عليَّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غصبها، وذل من أذلها وخلد في نارك من ضرب جنبيها حتى ألقت ولدها . . فتقول الملائكة عند ذلك: آمين**»[٢٩].

الهوامش:

(١) البخاري، الصحيح، ج٥، ص ٨٣ ؛ مسلم، الصحيح، ج٣، ص ١٣٨٠ .

(٢) البخاري، الصحيح، ج٥، ص ٨٣ ؛ مسلم، الصحيح، ج٣، ص ١٣٨٠ .

(٣) البخاري، الصحيح، ج٥، ص ٨٣.

(٤) أنساب الأشراف، ج١، ...

(٥) مروج الذهب، ج٣، ص٨٦

(٦) الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين ع، ج ١، ص٢٣١ .

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ١٠٧١.

(٨) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٨٥ .

(٩) السقيفة وفدك، ص٥٢ .

(١٠) الامامة والسياسة، ج١، ص١٩.

(١١) الشورى : ٢٣ .

(١٢) تفسير ابن كثير، ج٤، ص ١٢٢.

(١٣) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٩

(١٤) صحيح مسلم، ج٧، ص١٤١.

(١٥) لسان الميزان، ج٣، ص ٣٩٥؛ ورد أيضاً في: الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٣٥٨ .

(١٦) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ٥٦ .

(١٧) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص٢٣٩ .

(١٨) كتاب السقيفة، ص١٥٠ .

(١٩) السقيفة، ص١٥٠.

(٢٠) لسان الميزان، ج١، ص٢٦٨ ؛ ميزان الاعتدال، ج١، ص١٣٩ .

(٢١) دلائل الأئمة، ص ١٣٤ .

(٢٢) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٢١٥.

(٢٣) الوافي بالوفيات، ج٦، ص ٧٦ .

(٢٤) الملل والنحل، ج١، ص٥٧ .

(٢٥) السقيفة، ص٣٠٥ .

(٢٦) صحيح البخاري، ج٨، ص٢٥ .

(٢٧) كتاب الإمامة والسياسة، ج١، ص١٩.

(٢٨) سورة الأحزاب : ٥٧ .

(٢٩) فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٥ .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- البخاري، أبوعبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت: ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): صحيح البخاري، ط٣، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، (بيروت: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

٣- مسلم النيسابوري، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القُشيري (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤م): صحيح مسلم، ط٥، دار الكتب العلمية (بيروت:١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٨م).

٤- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الأشراف، ط١، حققه وعلق عليه، محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي (بيروت: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، تحقيق: أمير مهنا، مؤسسة الأعلمي (بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

٦ -الكوفي، محمد بن سليمان القاضي (ت: بعد ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م) مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط١، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية (قم: ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م) .

٧- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م): السيرة النبوية، ط١، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل (بيروت: ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

٨- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت: بعد ٢٩٢ هـ): تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت: بلا تاريخ) .

٩- الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز (ت: ٣٢٣هـ / ٩٣٤ م) . السقيفة وفدك، مطبعة الكتبي (بيروت: ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) .

١٠- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت:٢٧٦هـ / ٨٨٩م): الإمامة والسياسة، تحقيق، خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

١١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت:٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)

تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة (بيروت: ١٤١٢هـ / ١٩٩١م).
١٢- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت:٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): لسان الميزان، ط٢، مؤسسة الأعلمي (بيروت: ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)
١٣- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ط١، تحقيق، علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م).
١٤-الشهرستاني، أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم (ت:٥٤٩هـ/ ١١٥٤ م): الملل والنحل، ط١،مؤسسة الأعلمي (بيروت: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).
١٥- ابن طاوس، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر الحسني (ت٦٦٤هـ / ١٢٦٥م): الطرائف، مطبعة الخيام (قم: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)
١٦- الكوفي، سليم بن قيس الهلالي (ت: ٧٦ هـ / ٦٩٨ م): السقيفة، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، دار الهادي (قم: ١٣٧٨ هـ: ١٩٥٨ م)
١٧- الطبري، أبو جعفر، أحمد بن عبد الله بن محمد (ت:٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): دلائل الإمامة، مؤسسة البعثة (قم: ١٤١٣ هـ)
١٨- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت:٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).
١٩- الخراساني، إبراهيم الجويني (ت: ق الثامن الهجري): فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والائمة من ذريتهم عليهم السلام، دار الحبيب (بيروت: بدون تاريخ).

لَمَّا اشْتَدَّتْ عِلَّةُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) اجْتَمَعَ عِنْدَهَا نِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقُلْنَ لَهَا يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ كَيْفَ أَصْبَحْتِ مِنْ عِلَّتِكِ؟ فَقَالَتْ:

أَصْبَحْتُ وَاللَّه عَائِفَةً لِدُنْيَاكُمْ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُمْ، لَفَظْتُهُمْ قَبْلَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ، وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ، فَقُبْحاً لِفُلُولِ الْحَدِّ وَخَوَرِ الْقَنَاةِ وَخَطَلِ الرَّأْيِ، وَ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، لَا جَرَمَ لَقَدْ قَلَّدْتُهُمْ رِبْقَتَهَا، وَشَنَنْتُ عَلَيْهِمْ عَارَهَا فَجَدْعاً وَعَقْراً وَسُحْقاً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ): ٣٥٤ - ٣٥٥.

INAHJ.ORG

إسهام الإمام علي (عليه السلام) في تطوير الفكر السياسي الإسلامي -دراسة في نهج البلاغة-

أ. م. د. قيصر عبد الكريم جاسم حمود الزبيدي
كلية العلوم السياسية – جامعة ميسان

Imam Ali's Contribution in the Development of Islamic Political Thought Study in Nahjul-Balagha

Asst. Prof. Dr. Kaiser Abd al-Karim Jassim al-Zubaydi

Maysan University

ملخص البحث

كان وما زال الإمام علي (عليه السلام) مصدر إلهامٍ للعديد من الباحثين والمفكرين، ليكتبوا عنه في ميادين العلوم المختلفة، ومن هذا المنطلق سعينا إلى تسليط الضوء على إسهامه (عليه السلام) في مجال الفكر السياسي الإسلامي بوصفه من المؤسسين لهذا الفكر منذ بواكير نشوئه، ومن رواده الذين أسهموا فيه إسهاماً عظيماً لا يعلو عليه، ولقد اتبعت المنهج الوصفي والتحليلي في هذه الدراسة، وتبعاً لذلك تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول تحت عنوان: (مفهوم الفكر السياسي الإسلامي)، وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: (الإسهام في تأسيس النظرية السياسية الإسلامية)، والمبحث الثالث وعنوانه: (الإسهام في تنظيم إدارة الدولة الإسلامية)، ثم تلاهم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية:

الفكر السياسي الإسلامي، الإمام علي (عليه السلام)، نهج البلاغة، الإسهام العلمي والفكري.

Abstract

Imam Ali (Pb) was and is Source of inspiration for many researchers and thinkers to write about him in various fields of Science. As such, we have sought to highlight his contribution in the area of Islamic Political thought, being one of the founding members of this thought The researcher followed the descriptive method and the analytical method in this study, therefor, he divided the study into: The Concept of Islamic Political Thought, The Contribution to the foundation of Islamic Political and The Contribution to the foundation of Islamic Political Theory Theory and The Contribution to The Management of the Islamic State Administration.

Keywords:

Islamic Political Thought, Imam Ali (Pb), Nahjul-Balagha, The Intellectual and Scientific Contribution.

المقدمة:

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، والحمد لله الذي منّ علينا بمحمد نبيِّه دون الأمم الماضية والقرون السالفة بقدرته التي لا تعجز عن شيء وإن عظم ولا يفوتها شيء وإن لطف.

• موضوع البحث وأهميته:

كان وما زال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مصدر إلهامٍ للعديد من الباحثين والمفكرين، ليكتبوا عنه في ميادين العلوم المختلفة، فتلاصقه بالمنبع الذي نبع منه الفكر الإسلامي أي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بحكم تربيته على يد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) منذ نعومة أظفاره، واستقاؤه للعلوم الإسلامية منه بشكل مباشر والتي نتج عنها تشبعه بالعلوم والمعارف بشكل صحيح، بعيدًا عن الإرهاصات التي رافقت غيره، وقد رفد ذلك نتاجه الفكري والعلمي بما امتاز به من فكر ونتاج معرفي ثر، ومن هذا المنطلق سعينا إلى تسليط الضوء على إسهامه (عليه السلام) في مجال الفكر السياسي الإسلامي بوصفه من المؤسسين لهذا الفكر منذ بواكير نشوئه، ومن رواده الذين أسهموا فيه إسهاماً عظيماً لا يعلو عليه.

• دواعي اختيار البحث:

فضلاً عن ما تم ذكره فإن من دواعي اختيارنا لهذا الموضوع ليكون مدار دراستنا هذه، هو معرفة مدى إسهام الإمام علي (عليه السلام) في مجال التأسيس للنظرية السياسية الإسلامية، والتي تعددت بشكل كبير بسبب تعدد الفرق والمذاهب الإسلامية التي كل واحدة منها

أدلت بدلوها في هذا المضمار، علما أننا ركزنا الجهد على نظرية النص والوصية التي قالت بها مدرسة الشيعة الإمامية، ونظرية الخلافة أو الاستخلاف التي قالت بها مدرسة أهل السنة والجماعة، وتركنا البقية حتى لا تتشعب الدراسة ويطول الحديث فيها، وكذا الحال في آرائه في مجال تنظيم إدارة الدولة الإسلامية، باعتبار أن هذين الأمرين من مهمات الفكر السياسي الإسلامي اليوم ولهما التأثير الكبير على مجريات الأحداث في البلدان العربية والإسلامية، وكذلك تأثيرهما في الأساس الذي بنيت عليه بعض الأنظمة السياسية الحالية.

• **الدراسات السابقة:**

سعى الباحث إلى التنقيب في المصادر والمراجع القديمة منها والحديثة عن دراسة متخصصة تتحدث عن (إسهام الإمام علي (عليه السلام) في تطوير الفكر السياسي الإسلامي دراسة في نهج البلاغة)، فلم نعثر على ذلك بحسب ما اطلعنا عليه، بل وجدنا بعض الدراسات التي تتحدث عن الموضوع بشكل عام، ومنها: (أثر نهج البلاغة في مصادر الفكر السياسي الإسلامي) للباحث محسن باقر محمد صالح القزويني، وقد سلط الضوء على مصادر الفكر السياسي الإسلامي، من مثل مؤلفات ابن المقفع، والجاحظ، والدينوري، والماوردي وغيرهم ممن كتب في مجال الفكر السياسي، وهو بخلاف ما ذهبنا إليه، وكذلك أطروحة الدكتوراه الموسومة: (الفقه السياسي عند الإمام علي (عليه السلام))، للباحث ناصر هادي الحلو، وكانت تتجه نحو المزج بين الجوانب الفقهية - السياسية، من دون التركيز على ما تضمنه نهج البلاغة، في حين اهتمت دراستنا

على الجوانب التاريخية – السياسية؛ ومنها أيضا كتاب (الفكر السياسي في رؤية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام))، للباحث الدكتور علي جميل الموسوي، ومجموعة أخرى من البحوث والدراسات والمقالات هي الأخرى لا تعنى بما ذهبنا إليه في دراستنا هذه.

• **فرضية البحث:**

اعتمد الباحث على وضع فرضية أساسية ومحاولة الإجابة عنها عن طريق هذه الدراسة وهي: هل كان للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أثر في الفكر السياسي الإسلامي؟، وما طبيعة هذا الاثر؟.

• **طبيعة البحث ومنهجه:**

اتبعت المنهج الوصفي والتحليلي في هذه الدراسة، وتبعاً لذلك تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث كان المبحث الأول تحت عنوان: (مفهوم الفكر السياسي الإسلامي)، وقد قسم إلى ثلاثة مطالب، هي: الفكر السياسي الإسلامي في اللغة، والفكر السياسي الإسلامي في الاصطلاح، والثالث الفكر السياسي الإسلامي في القرآن الكريم، وأما المبحث الثاني فكان بعنوان: (الإسهام في تأسيس النظرية السياسية الإسلامية)، واحتوى على مطلبين، الأول تحدثنا فيه عن نظرية النص والوصية، والآخر عن نظرية الاستخلاف أو الخلافة، والمبحث الثالث كان عنوانه: (الإسهام في تنظيم إدارة الدولة الإسلامية)، فكانت طريقة عرضه موضوعية، لاتصال الحديث به وعدم المقدرة على فصله إلى مطالب متعددة، ثم تلاهم الخاتمة التي عرضت نتائج البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت في هذا البحث.

المبحث الأول

مفهوم الفكر السياسي الإسلامي

المطلب الأول: الفكر السياسي الإسلامي في اللغة:

إن الاشتقاق اللغوي الذي اشتقت منه مفردة الفكر كما وردت في معاجم اللغة العربية من الفِكْرُ وجمعه أفكار[١]، وقيل جمعه فِكْرَياتٌ[٢]، وقيل لا يجمع[٣]، وفكَّر في الشيء وأفكر وتفكَّر[٤]، والفكر التأمل والاسم الفكْرُ والفكْرةُ والمصدر الفكْرُ بالفتح[٥]، ورجل فكير بوزن سكيت كثير التفكر[٦]، ويقال: لا فكر لي في هذا إذا لم تحتج إليه ولم تبال به[٧]، ونخلص إلى أن الفِكْر ورد في اللغة بعدة معانٍ منها: هو إعمال الخاطر في الشيء[٨]، وكذلك: تردد القلب في الشيء[٩]، أو إعمال النظر في الشيء[١٠]، وقيل بل هو النظر والروية[١١]، فالفكر كما يقول اللغويون مقلوب عن الفرك، لكن الفرك للأمور الحسية والفكر هو للأمور المعنوية، ولما كانت الألفاظ تنطلق من المحسوس للمجرد فإنه يمكن ملاحظة معنى التدقيق في الكلمتين، ويقولون فكر يفكر بالتشديد وهو يعني إعمال الخاطر في موضع معين بما يستتبعه من التدبر والنظر والاعتبار وغير ذلك من عمليات ذهنية وعقلية تجريدية[١٢].

وأما لفظة السياسي، فقد اشتقت من سوس وساس الرعية يسوسها سياسةً[١٣]، وقال ابن منظور: ((والسّوس: الرياسة، يقال ساسوهم سوساً، وإذا رأسوه قيل: سوَّسوه وأساسوه، وساس الأمر سياسةً: قام به، ورجل ساس من قوم ساسة وسُوّاس... وسوَّسه القوم: جعلوه يسوسهم، ويقال: سوس فلان أمر بني فلان أي كلف سياستهم... وفي الحديث: كان بنو إسرائيل يسوسهم

أنبياؤهم أي تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية، والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه...))[١٤].

وهنالك رأيٌ بأن لفظة السياسي المشتقة من السياسة، هي كلمة مغولية أصلها ياسة، قال القلقشندي: ((...ثم الذي كان عليه جنكزخان في التدين وجرى عليه أعقابه بعده الجري على منهاج ياسة التي قررها وهي قوانين خمنها من عقله وقررها من ذهنه...))[١٥]، فحرفها أهل مصر وزادوا بأولها سيناً فقالوا سياسة وأدخلوا عليها الألف واللام، فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية وما الأمر فيها إلّا ما قلت، وياسة كلمة تركية قديمة معناها القانون الاجتماعي[١٦]، لكن هنالك رأيٌ آخر يقول بأن الراجح أن كلمة السياسة عربية الأصل، فالسياسة هي فعل السائس، ويقال هو يسوس الدواب إذا قام عليها وعلى راحتها، والوالي يسوس رعيته، قال التهانوي: ((بالكسر والمثناة التحتانية مصدر ساس الوالي الرعية، أي أمرهم ونهاهم فالسياسة إصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة...))[١٧].

ونجد أن لفظة الإسلامي اشتقت من الإسلام والاستسلام بمعنى الانقياد، والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي (صلى الله عليه وآله)... والسَّلْمُ: الإسلام، والسلم: الاستخذاء والانقياد والاستسلام، وأسْلم أي دخل في السلم، وهو الاستسلام، وأسْلمَ من الإسلام أي أصبح مسلماً[١٨].

المطلب الثاني. الفكر السياسي الإسلامي في الاصطلاح:

وننتقل إلى ما ورد في مفهوم الفكر السياسي الإسلامي في الاصطلاح،

إذ جاءت عدة تعاريف اصطلاحية لمفهوم الفكر، وهي تختلف في معناه العام بين واحدة وأخرى، لذلك عرفه الطوسي بأنه: ((التأمل في الشيء المفكر فيه والتمثيل بينه وبين غيره، وبهذا يتميز من سائر الإعراض من الإرادة والاعتقاد...)) [١٩] ويتسع مفهوم الفكر أو يضيق تبعاً لما يضاف إلى مفهومه فتشمل الموروث الحضاري للإنسان في جميع ميادين المعرفة، فعرف بأنه: ((مجموعة من الآراء والمبادئ والأفكار السائدة لدى مجموعة بشرية معينة وخلال مدة زمنية محددة... فهو نتاج إنساني لابد له من أن يعكس خصائص الإنسان ويعبر عن ظروف حياته ويجسد قيمه وأهدافه...))[٢٠]، وخلاصة ذلك بأن الفكر هو الآراء والمبادئ والأفكار السائدة لدى مجموعة بشرية معينة في فترة زمنية معينة، فالمقصود هنا الأمم والشعوب التي يتكون لديها عبر سنين حياتها الطويلة آراء وأفكار ومبادئ إزاء الكون والإنسان والحياة[٢١].

وإذا مزجنا بين الفكر والسياسة لوضع تعريف موحد للفكر السياسي فهو: ((الآراء والمبادئ والنظريات التي تعرض للعلاقة بين الفرد والسلطة، وما يستلزم ذلك من دراسة وتفسير ظاهرة السلطة في نشأتها، ووجوبها أو جوازها، وتطورها، ومؤسساتها، ووظائفها، ومآلها))[٢٢]، وأما تعريف الفكر السياسي الإسلامي فعرف بأنه: ((مجموعة الآراء والمبادئ والنظريات التي أطلقتها المجموعة البشرية الإسلامية منذ الفترة السابقة لظهور الرسالة الإسلامية حتى العقود الأولى من القرن العشرين، وأن تلك المجموعة من الآراء والمبادئ والنظريات تعرضت للعلاقة بين الفرد والسلطة، ودرست وفسرت

ظاهرة السلطة في نشأتها ووجوبها أو جوازها، وتطورها ومؤسساتها وتحركها في المجال الدولي))[٢٣]، بما يعني أن هذا الفكر له مراحله وله تاريخ يشمل هذه المراحل ويضم الكتابات حول الأفكار والمبادئ والنظريات التي تخص حياة وأهداف المسلمين السياسية، والقواعد التي تحكم وتنظم ما يطلق عليه سياسي ويخص المسلمين كأمة ومجتمع سياسي. وأنه حقل معرفي ينطوي على دلالات معرفية هي خلاصة مفهوم مركب من ثلاثة مفاهيم فرعية: الموصوف وهو الفكر والصفتان له: السياسي والإسلامي[٢٤].

المطلب الثالث: الفكر السياسي الإسلامي في القرآن الكريم

وردت مفردة (فكر) في القرآن الكريم في مواضع متعددة كثيرة، وهي في الغالب بصيغة الفعل ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر، كما في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٢٥]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢٦] بصيغة الفعل المضارع الغائب[٢٧]. أما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾[٢٨]، فقد وردت بصيغة الفعل المضارع المجزوم[٢٩]، وعلى الرغم من كونها وردت في القرآن الكريم بصيغة الفعل ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر إلّا أن الفعل وهو أحد ركني الجملة الفعلية (الفعل والفاعل) في اللغة العربية يدل على حدث مقترن بزمن[٣٠]، وهو هنا الإنسان، سواء كان فرداً أم جماعة؛ لأن الخطاب في الآية (فكر وقدر) لفرد واحد والبقية (تتفكرون يتفكرون، يتفكروا، تتفكروا) جاءت بمعنى التدبر والتأمل والتعلم والتبصر، وعنى بها الجماعة من الناس ليتدبَّروا أمورهم في الدنيا والآخرة[٣١]، ويرى أحد الباحثين من ذلك أن الله عز

وجل أبان ولفت أنظار عباده إلى إن هذا العمل الذهني مرتبط بذات الإنسان (المفكر)[٣٢].

ولم ترد مادة فكر بصيغة الاسم في القرآن الكريم ولكنها جاءت بصيغة الفعل، والفعل لغة هو ما دل على حدث وذات، فحينما يقال يفكر، فهي كلمة تدل على حدث هو الفكر، وتدل على الذات الفاعلة لهذا الحدث التي تسمى بالمفكر، كما أنها لابد من أن تدل على مفعول هذا الفعل وهو مفعول الفعل ذاته الذي تعلق به هذا الفعل، ويستدل من استعمال القرآن الكريم لكلمة فكر بصيغة الفعل أنه يعني في المقام الأول هذا العمل الذهني العقلي الذي يسمى بالفكر، إنما هو عمل مرتبط بذات، فكلما وجد فكر وجد مفكر، والفكر لا يكون فيما لا طائل من ورائه، وإنما ينبغي أن يكون له موضوع يدور حوله هذا الفكر، والفكر بهذا هو خاصية من خواص الإنسان لا يشترك معه فيها مخلوق آخر، ولا يطلق الفكر إلّا على العمليات الذهنية التي يقوم بها الإنسان، أما الحيوانات فإن المظاهر الموجودة لديها التي تشبه عملية الفكر عندها فلا تسمى فكراً بل تسمى التوجيه الغريزي، لذلك كان المناطقة يعرفون الإنسان بأنه حيوان ناطق أي مفكر[٣٣].

وأما لفظة (السياسي) وكما سبق القول، فإنها لم ترد في القرآن الكريم حرفيًّا ولا في اشتقاقها اللغوي المذكور آنفا، وإن عدم ورودها لا يعطي دليلاً على أن القرآن الكريم لم يهتم بالسياسة ولا ينظر اليها، وهذا بلا شك ضرب من المغالطة، فكثير من الألفاظ لا توجد في القرآن الكريم ولكن مضمونها ومعناها جاء مبثوثاً بألفاظ أخرى توحي بالمعنى نفسه للفظ غير المثبوت، فمثلاً وردت

لفظة الملك، والعادل، والظالم، والشورى، والحكم، والتمكين، والخلافة، وغيرها، وهي ألفاظ ذات مدلولات سياسية بحتة[٣٤].

ولفظة (الإسلامي) اشتقت من الإسلام في آيات عديدة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٣٦]، وكذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٣٧]، وغيرها من الآيات القرآنية، وقد أشار أحد الباحثين إلى ملاحظة مهمة جداً في معنى لفظ الإسلام في القرآن الكريم؛ إذ قال: ((والإسلام فعل وليس اسما ويعني التسليم والاعتراف والإقرار بالله الواحد وعبوديته، وإن ترجمة الإسلام في العديد من الترجمات الصادرة للقرآن غير صحيحة؛ كونها تترجم كلمة الإسلام ومشتقاتها مثل: أسلم، ويسلم، ومسلمين وغيرها بنفس اللفظ كاسم وليس كفعل؛ لاعتقاد العالم أن الرسالة الإسلامية خاصة بنبينا الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله)، وهذا خطأ كبير في مفهوم كلمة الإسلام، فالإسلام له معنى عام ومعنى خاص، فالعام: هو الاستسلام لله باتباع رسله في كل حين، والخاص: علم على رسالة النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله) واتباع شريعته، وهو بمعناه العام دين جميع الأنبياء والمرسلين، وأما معناه الخاص فمتعلق بأمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وهم كل من كان حيًّا بعد مبعثه صلى الله عليه وآله))[٣٨].

المبحث الثاني:
الإسهام في تأسيس النظرية السياسية الإسلامية

أنتج لنا الفكر السياسي الإسلامي

نظريات سياسية عدة، هي نتاج للتكوين السياسي والتنافس على السلطة في بدايات نشأة الدولة الإسلامية، والذي وصفه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بقوله: «...حَتّى إذا قَبَضَ الله رَسولَهُ (صلى الله عليه وآله) رَجَعَ قَومٌ عَلَى الأَعقابِ، وغالَتهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلوا عَلَى الوَلائِجِ، ووَصَلوا غَيرَ الرَّحِمِ وهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذي اِمِروا بِمَوَدَّتِهِ ونَقَلُوا البِناءَ عَن رَصِّ أساسِهِ فَبَنَوهُ في غَيرِ مَوضِعِهِ، مَعادِنُ كُلِّ خَطيئَةٍ، وأبوابُ كُلِّ ضارِبٍ في غَمرَةٍ»[٣٩]، وتحول هذا التنافس إلى خلاف (عقائدي - سياسي) نتج عنه ظهور فرق إسلامية أدلت كل واحدة منها بدلوها في هذا الشأن، وصاحبه اختلاف فكري بين الفرق الإسلامية في هذه المسألة، وكما ذكر الشهرستاني[٤٠]: ((وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة؛ إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان...))، والذي تحول من صراع سياسي حول انتقال السلطة، إلى اختلاف عقائدي خطير ما زالت آثاره الهدامة من حروب وفتن وخلافات تفتك بوحدة المسلمين، وظلت شوكة يستغلها أعداء الدولة الإسلامية في إضعاف المسلمين وكسر قوتهم ومنع وحدتهم[٤١].

المطلب الأول: نظرية النص والوصية

إن من أبرز تلك النظريات التي أنتجها الفكر السياسي الإسلامي هي: نظرية النص أو (الوصية) التي قال بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في إثبات حقه في الإمامة والخلافة له ولأولاده من بعده، والتي اعتمدها الشيعة الإمامية كنظرية سياسية - فقهية، ونظرية الاستخلاف (الخلافة) التي وضعها أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان

بن عفان، والتي اعتمدها أهل السنة والجماعة أيضاً كنظرية سياسية - فقهية، وهما أبرز النظريات التي لها امتداد تاريخي- سياسي إلى يومنا هذا، وأما باقي الفرق الإسلامية في هذا السياق كالمعتزلة والزيدية والخوارج والأشاعرة وغيرهم، فقد تركنا للقارئ الاطلاع على ما أدلوا به في العديد من المصادر والمراجع[٤٢].

وأكدت نصوص نهج البلاغة على أحقية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأولاده من بعده بالخلافة بالنص والوصية من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) بهم، منها قوله (عليه السلام): «... **وَلَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ...**»[٤٣]، فهو هنا قد أشار بصريح العبارة إلى حقهم في الإمامة والخلافة (حق الولاية)، وتأكيده ذلك بأنهم لهم الوصية والوراثة دون غيرهم، وهنالك العديد من الميزات التي امتاز بها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والتي أهلتهم لتولي منصب الإمامة والخلافة، ومنها العلم، والسبق في الإسلام، والشجاعة، وغيرها، وهذه الميزات جعلها فقهاء الأحكام السلطانية شرطاً لمن يكون في مقام الخلافة[٤٤]، ولقد بيّن الإمام علي (عليه السلام) سبب استحقاقهم دون غيرهم في أن تكون لهم الإمامة على الناس، كونهم الأعلم دون سواهم، جاء ذلك في قوله: «**تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ وَإِتْمَامَ العِدَاتِ، وَتَمَامَ الكَلِمَاتِ، وَعِنْدَنَا أَهْلَ البَيْتِ أَبْوَابُ الحِكَمِ، وَضِيَاءُ الأَمْرِ...**»[٤٥]،

وقد ثبت تاريخيًّا بأنه (عليه السلام) وأولاده من بعده كانوا أعلم أهل زمانهم، ولم يكن في المسلمين من هو أعلم منهم[٤٦]، فلم نجد من بين كل الحكام للدولة الإسلامية أن أحدًا منهم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَانَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ...»[٤٧]، لأن العلم شرط مؤدٍّ إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام الضرورية لإدارة الدولة[٤٨]، ومن ثم فهو شرط أساس لمن يتولى منصب الإمامة والخلافة[٤٩].

ومن النصوص التي وردت في بعض الخطب عنه (عليه السلام) والتي بين فيها أحقيته بخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله)، كونه الأسبق في دخول الإسلام، وكيف أفاد من ذلك السبق في تلقي تعاليم الإسلام من منبعها الأصيل ولم يدخله في ذلك شك ولا ريبة، وقرن ذلك بالعديد من الشواهد والأدلة العلمية والمنطقية، ومنها قوله في الخطبة القاصعة: «...وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حِجْرِه وأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِه ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه، ويُمِسُّنِي جَسَدَه ويُشِمُّنِي عَرْفَه، وَكَانَ يَمْضَغُ اَلشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه، ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، ولَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِه (صلى الله عليه وآله) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً، أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَه ونَهَارَه، ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه، ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي، ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي اَلْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اَللهِ (صلى الله عليه واله) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا

ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ»[٥٠]، وفي هذا النص من نصوص نهج البلاغة نجد أن أمير المؤمنين عليًّا (عليه السلام) قد استدل على أحقيته بخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) بدليل علمي- منطقي؛ إذ إن أغلب المصادر التاريخية قد اتفقت على أن عليًّا (عليه السلام) قد أخذه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في صغره ورباه وعاش في كنفه ورباه كولدٍ له[٥١]، وهذا يثبت أنه أول من أسلم؛ لأنه أول من علم بأمر البعثة النبوية، وهذا أمرٌ طبيعي لأن النبي (صلى الله عليه وآله) عندما بُعث فإن أول من يخبرهم بالذي بعث به هم أهل بيته، وهم علي وخديجة، وهذا ممَّا أكرم الله تعالى به الإمام علي (عليه السلام)، ومكن له من أن يكون أول الناس إسلاماً، ومن ثم أحق الناس بالخلافة من بعد استشهاد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، لكونه تعلّم وتخلق بأخلاقه وأخذ معالم الدين الإسلامي وقواعده في الحياة والحكم منه، ولكن مع كل ذلك أُخِذَ الحكم منه غصباً.

وكذلك نجد في نص آخر له (عليه السلام) يستدل به على أحقيته في الحكم في بيان اختصاصه بالنبي (صلى الله عليه وآله) وجهاده في سبيل نشر الإسلام كسبب رئيس لاستحقاقه منصب الإمامة والخلافة بقوله: «وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهَّ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا، وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهَّ (صلى الله عليه وآله) وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ (صلى الله

عليه وآله) وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانٍ... حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً...»[٥٢]، في هذا النص يتبين لنا جانبان مهمان أشار إليهما أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في جانب أحقيته في خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ الأول هو الدور البطولي والشجاعة الفائقة التي أبداها (عليه السلام) في الغزوات جميعها التي خاضها المسلمون ضد المشركين أو اليهود، تلك المعارك الفاصلة التي حدثت بعد الهجرة النبوية إلى المدينة واستمرت في حياة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وشارك بها الإمام علي (عليه السلام) والتي أجمع المؤرخون أنه لا أحد من جلّ صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) كان له دورٌ كما كان دوره فيها (عليه السلام)[٥٣]، وهو واحد من أهم الجوانب التي تؤكد كمال الإمام علي (عليه السلام) وجميل فضائله في الإسلام، وأنه قد عمل جاهداً على نشر الإسلام بسيفه وعلمه، فكان هذا واحدا من الأمور التي دلت على أحقيته بالخلافة والإمامة من بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وليس كما ادعاه غيره من الصحابة من أحقيتهم بالحكم، والثاني هو قيامه (عليه السلام) بالانشغال بتجهيز الرسول (صلى الله عليه وآله) ودفنه، والقوم تركوه وانشغلوا بتقاسم السلطة وسلبها منه دون حتى مشاروته أو الرجوع إليه (عليه السلام)[٥٤]؟!.

ممَّا تقدَّم من نصوص نهج البلاغة نتبين أن الإمام علي (عليه السلام) قد استند في الاستدلال على استحقاقه بمنصب الإمامة والخلافة، بالشروط التي وضعها من نافسه عليها، وحاولوا أن يجعلوا شرعية لهم بها في ذلك، من باب مقارعة الحجة بالحجة، لتنفيذ ما حاولوا أن

يؤسسوا له من شريعة سياسية في المستقبل، وكذلك فيها استشراف للمستقبل منه (عليه السلام) وكأنه ينظر إلى فقهاء السلاطين وكتاب الأحكام السلطانية وأنهم سيدلون بهذه الحجج، وترك علماء المذهب التوسع في وضع القاعدة الفلسفية التي يرتكز عليها نظرية النص والوصية، إذ أكد متكلمو الشيعة وعلماؤهم وفقهاؤهم على أحقية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأولاده من بعده ونادوا بأولويته بالخلافة بالنص والوصية من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) بهم[٥٥] وعدّوا الإمامة امتداداً للنبوة وأحد أركان الدين[٥٦]، واستندوا في ذلك إلى العديد من النصوص القرآنية وربطوها بالعديد من الأحداث التاريخية التي كانت سبباً لنزول بعض هذه الآيات القرآنية، التي جاءت توكيداً لما ذهبوا إليه في بناء نظرية النص والوصية وهي أيضا كثيرة كحديث يوم الدار[٥٧]، الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[٥٨]، وهنا نجد الترابط بين النص القرآني والحادثة التاريخية في الاستدلال بنظرية النص والوصية كنظرية سياسية وضعها متكلمو الشيعة في بيان من يستحق الحكم، وذهب فيها مفسرو القرآن الكريم في التوكيد بها في أحقية الولاية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وأولاده[٥٩].

ومن الآيات القرآنية الاخرى ما ورد في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٦٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٦١] ولعلماء الشيعة ومتكلميهم رأي يذهبون فيه إلى أن

مضمون الآية يلتقي مع الشواهد التاريخية في تأييده، ولما كان المضمون والتاريخ يجتمعان في تأييد هذا الرأي، فأمامنا قضية تاريخية مفصلة جدا، وقد استندت أكثر الكتب التي دُوّنت بهذا الشأن - أكثر ما استندت - إلى البعد التاريخي والتفسيري والحديثي، وقد اجتمعوا على إثبات أن الآية محل الذكر نزلت في غدير خم، وقد نهض المؤرخون بإثبات الواقعة فضلا عن كتب التفسير والحديث المتعددة(٦٢).

فما يستدل به الشيعة من زاوية البعد التاريخي هو العودة إلى التاريخ لمعرفة «اليوم» المراد في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وعندها نجد أن ثمرة العودة إلى التاريخ ليس رواية أو روايتين ولا حتى عشر روايات، بل هناك تواتر على أن الآية نزلت في يوم غدير خم، بعد أن نصّب النبي (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) خليفة له، وأورد الطباطبائي بعد سرده لعدة طرق لرواية حديث غدير خم بالقول: ((... أن هذه الأحاديث الدالة على نزول الآية في مسألة الولاية وهي تزيد على عشرين حديثاً من طرق أهل السنة والشيعة مرتبطة بما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، وهي تربو على خمسة عشر حديثاً رواها الفريقان، والجميع مرتبط بحديث الغدير: (من كنت مولاه فعلي مولاه)(٦٣)، وهو حديث متواتر مروي عن جم غفير من الصحابة، اعترف بتواتره جمع كثير من علماء الفريقين))(٦٤).

المطلب الثاني. نظرية الاستخلاف (الخلافة):

ننتقل الآن إلى نظرية الاستخلاف (الخلافة) عند أهل السنة والجماعة، وكان متكلموهم يعتقدون في درجات

الخلفاء الأربعة في الفضل، كدرجاتهم في الترتيب بدءاً من أبي بكر وصولاً إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ إذ يعدون الخلافة شورى بين المسلمين لاختيار الأصلح مع التمسك بآية الطاعة[٦٥]، في نصب الخليفة كواجب على عاتق الأمة[٦٦]، فبعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) سنة (١١هـ/ ٦٣٢م) حدثت بيعة السقيفة[٦٧] التي تمكن فيها أبو بكر من ضمان وصوله إلى الخلافة، عن طريق السجال الذي دار بينه وبين الأنصار الذين أرادوا أيضا تولي الحكم[٦٨]، استند أبو بكر إلى العرف القبلي كشرعية سياسية لبلوغ الحكم، كما جاء في رواية ابن هشام لقول أبي بكر: ((...لن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش...)) [٦٩] ورواية ابن قتيبة الدينوري: ((... ونحن عشيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحن مع ذلك أوسط العرب أنساباً ليست لقبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة...)) [٧٠]، وفي رواية اليعقوبي: ((... ولكن قريش أولى بمحمد منكم)) [٧١]، أو كما جاء في قول عمر بن الخطاب: ((...فمن ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدل بباطل...))[٧٢]، وعلى الرغم من اختلاف النصوص إلّا أن المعنى واحد وهو أن أحقية الحكم وخلافة محمد (صلى الله عليه وآله) لقريش لأنهم عشيرته وبحكم ما لقريش من مكانة بين القبائل العربية، وعمد مؤرخو الأحكام السلطانية في القرون اللاحقة على توثيق هذه الشرعية السياسية، فبنوا عليها نظرية الحكم على وفق ما يسمى بـ(الاختيار)، وجعلوا من شرط النسب القرشي شرطاً أساسيًّا لتولي منصب الخلافة والحكم[٧٣]، وهذه الشرعية السياسية تناقض مبدأ النص أو الوصية؛ لأنه

يشكل خطراً كبيراً على مصالحهم السياسية، فلما لم يجد الجيل الأول من الرافضين للنص نظرية خاصة في مضمار الإمامة احتجوا بقانون الوراثة القبلي(٧٤).

ولعل من المفارقات التي لم ينتبه إليها مؤرخو الأحكام السلطانية على الرغم من أنهم اعتمدوا على نظرية الاختيار ودعموها بشرط النسب لتبرير حكم السلاطين ولتفنيد نظرية النص والوصية، هو أن النظرية الأولى قد ظهرت مع بداية حكم أبي بكر أي بحدود سنة (١١هـ/ ٦٣٢م) في حين أن نظرية النص والوصية قد ظهرت منذ بداية البعثة النبوية في السنة الأولى للبعثة بحدود سنة (٦٠٩م)(٧٥)، لأن أقدم النصوص في إثبات الوصية هو حديث يوم الدار المذكور آنفا، والذي يرجح أنه حدث في السنة الثالثة للبعثة(٧٦)، والتي تقارب من سنة (٦١٢م) مما يعني أن نظرية النص والوصية قد سبقت نظرية الاختيار بحدود (٢٠) سنة، فإذا قلنا بصحة النظريتين جدلاً فلماذا لا نأخذ بالنظرية الأقدم تاريخيًّا، ويزاد على ذلك أن نظرية النص أو الوصية قد صدرت عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ممَّا يؤكد أنها صدرت عن الله تعالى، بحكم قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(٧٧)، ولدلالة النصوص القرآنية عليها، في حين أن نظرية الاختيار قد صدرت عن أبي بكر، وكان لها سند وضعي ناجم عن تشريع الإجماع الذي وضعه كتاب الأحكام السلطانية في مدة متأخرة كثيراً عن تاريخها الحقيقي، الذي نجم عن الصراع السياسي على الحكم وإدارة الدولة الإسلامية.

نتنقل إلى موقف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من نظرية الخلافة

ودلائلها التي سيقت سلفاً، عن طريق استنطاق النصوص التي وردت في نهج البلاغة وتحليلها لمعرفة موقف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بشكل أقرب إلى الحقيقة التاريخية، كونها استنطقت من لسانه (عليه السلام) ونبعت من بناة أفكاره ومثلت توجهاته وآراءه، ومن أولى هذه النصوص هي الخطبة المعروفة بالشقشقية[٧٨]؛ إذ قال (عليه السلام): «أَمَا وَ اَللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنْ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا اَلْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا اَلصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ فَرَأَيْتُ أَنَّ اَلصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي اَلْعَيْنِ قَذًى، وَفِي اَلْحَلْقِ شَجًا، أَرَى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى اَلْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ...»[٧٩]، وفي هذا النص نجد أمير المؤمنين عليًّا (عليه السلام) قد حدد جانبين مهمين الأول هو سبب نشوء هذه الفتنة؛ ورأيه أنها حدثت بسبب الاستيلاء على السلطة من قبل أبي بكر وهو تجاوز على حقه الشرعي في ذلك[٨٠]، والثاني هو تحديد طبيعة تعامله مع هذه الفتنة كونه طرفاً فيها يمكن أن يؤثر بها سلباً وإيجاباً، وفي هذا الجانب نجد أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد فضل المصلحة العامة في تجنيب المسلمين والدولة الإسلامية الناشئة خطر الفتنة التي قد تقضي عليها، وفضلها على مصلحته الخاصة التي كان يمكن أن يحققها لنفسه لو خاض غمار تلك الفتنة واستعاد حقه في الحكم بحد السيف.

ونجد مدلولا حقيقيًّا في الأحداث التاريخية يشهد لأمير المؤمنين علي

(عليه السلام) في أنه سعى إلى تجنب الفتنة التي تؤدي إلى سفك دماء المسلمين أثناء التنازع على السلطة، وذلك بقضائه على الفتنة التي سعى أبو سفيان بن حرب ومن معه من الأمويين وبعض رجالات قريش، لخلقها بين المسلمين ولإثارة الصراع الداخلي بينهم حين قال: «...أين المستضعفان؟ أين علي والعباس؟ أما والله لئن شئتم لأملأنها عليكم خيلاً ورجلاً، فقال علي (عليه السلام): يا أبا سفيان طالما كدت الإسلام وأهله فما ضرهم شيئا، أمسك عليك»[٨١]، ويرى أحد الباحثين أن هذا النص يؤكد ((... أن الأمويين كانوا متأهبين لخوض الفتنة وقد صرحوا بذلك للإمام علي (عليه السلام) حينما عرضوا عليه تزعم المعارضة لأبي بكر، فلو شهر الإمام علي (عليه السلام) السيف على أبي بكر، فإن الأمويين سوف يشقون عصا الطاعة، وقد يفصلون مكة عن المدينة محاولين استعادة سيطرتهم عليها))[٨٢].

ومن جانب آخر فقد وردت نصوص عديدة فند بها (عليه السلام) ما ادعوه من تأسيس تشريعي لنظرية الاستخلاف، ومن ذلك قوله حينما وصله الخبر، فقال: «...احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ»[٨٣]، وفي نص آخر قال (عليه السلام): «... إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»[٨٤]، وكأن لسان حاله يقول: إذا كان حقكم في أخذ الخلافة أنكم عشيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وشجرته، فنحن الثمار ولا نفع للشجرة دون ثمارها، وهو استدلال علمي ومنطقي وفلسفي في آن واحد.

كما أن هذا الحدث قد تزامن مع حدوث الردة التي قامت بها بعض

القبائل المجاورة للمدينة، فترك أمير المؤمنين (عليه السلام) أمر المطالبة بالحكم للضرورة العامة التي حتمتها الظروف الزمانية والمكانية التي أحاطت بالدولة الإسلامية والتي فضل فيها (عليه السلام) تأمين الدولة وحماية أمنها وأمن المجتمع الإسلامي على مصلحته الشخصية في الحكم والسلطة، وقال في ذلك: «وَايْمُ اللهِ لَوْ لَا مَخَافَتِي الْفُرْقَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَعُودَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَيُعَوَّرَ الدِّينُ لَكُنَّا قَدْ غَيَّرْنَا ذَلِكَ مَا اسْتَطَعْنَا...»[٨٥]، وكذلك ورد نص آخر في كتاب له (عليه السلام) جاء فيه: «... فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ...»[٨٦].

وقبيل وفاة أبي بكر عام (١٣هـ/ ٦٣٤م) وإصداره كتاب العهد الذي عهد بموجبه بالحكم لعمر بن الخطاب[٨٧] وأشار عمر بن الخطاب في خطبته السياسية التي قالها بعد أن تمت بيعته، إلى هذه الشرعية السياسية وكأنها من المسلمات فيقول: ((...ما أنا إلّا رجل منكم ولولا أني كرهت إن أرد أمر خليفة رسول الله لما تقلدت أمركم...))[٨٨]، وقد انبثق عن هذه الشرعية السياسية، نظرية أخرى اعتمدت كأساس من قبل مؤلفي الأحكام السلطانية للوصول إلى الخلافة والحكم وهي نظرية العهد[٨٩]، ونتبين موقف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من هذا بما تضمنته

الخطبة الشقشقية وتفنيده لذلك؛ إذ قال (عليه السلام): «... حَتَّى إذا مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابْنِ الْخَطَّاب بَعْدَهُ... فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ...»[٩٠]، وهذا استدلال منطقي وتفنيد لهذه الشرعية السياسية، فإن ما اعتمده أبو بكر للوصول إلى الخلافة والحكم، بادعائه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يعهد لأحد من بعده، فنقض نفسه بنفسه من خلال عهده بالخلافة لعمر بن الخطاب، فكيف يجوز له وهو لا يحمل التكليف الإلهي في قيادة الأمة ما لا يجوز لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي هو مكلَّف إلهيًّا بذلك؟!.

وبعد ذلك ننتقل إلى الشرعية السياسية التي سنها عمر بن الخطاب ومهد بها لتولي عثمان بن عفان الخلافة على وفق ما يسمى بالشورى[٩١]، إذ إن الآلية تمهد لوصول عثمان للحكم دون أي منازع وأتمها عبد الرحمن بن عوف[٩٢]، وعلم الإمام علي (عليه السلام) بهذه الخديعة فجاء في رده على عبد الرحمن بن عوف: «أَنتَ مُجتَهِدٌ أن تَزوِيَ هذَا الأَمرَ عَنّي»[٩٣]، وشرح موقفه من الشورى وشرعيتها السياسية حتى لا يعطي الحجة لهم ولا تصبح هذه الشرعية متأصلة بين عامة المسلمين، دون وجود اعتراض على هذا التسييس للسلطة الإسلامية ،ويكون الحق لكل من يصل للحكم في أن يشرع ما يشاء، فقال في خطبته الشقشقية: «... حَتّى إذا مَضى لِسَبيلِهِ جَعَلَها في جَماعَةٍ زَعَمَ أنّي أحَدُهُم فَيا لله وَلِلشّورى مَتَى اعتَرَضَ الرَّيبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنهُم حَتّى صِرتُ أُقرَنُ إلى هذِهِ النَّظائِرِ لكِنّي أسفَفتُ إذ أسفّوا وطِرتُ إذ طاروا، فَصَغا رَجُلٌ مِنهُم لِضِغنِهِ ومالَ الآخَرُ لِصِهرِهِ...»[٩٤]،

فهو (عليه السلام) يعي أن هذه الآلية إنما وضعت وخطط لها لتحقيق وصول عثمان إلى الخلافة، فقال مخاطباً عبد الرحمن بن عوف: «حركك الصهر وبعثك على ما صنعت والله ما أملت منه إلّا ما أمل صاحبك من صاحبه[٩٥] دق الله بينكما عطر منشم»[٩٦].

وبهذا الكلام نقض الإمام علي (عليه السلام) الشرعية السياسية لحكم عثمان واختياره من قبل عبد الرحمن بن عوف؛ إذ إن اختياره لم يكن لأن عثمان أفضل الصحابة، بل بسبب المصالح المشتركة بين رجال قريش وصلة القرابة، وليس اختيار الأفضل بالشورى كما يزعمون، قال الإمام علي (عليه السلام) في حوار له مع عبد الله بن عباس: «...أو لا تعلم أن عبد الرحمن ابن عم سعد، وأن عثمان صهر عبد الرحمن، قال: بلى، قال: فإن عمر قد علم أن سعداً وعبد الرحمن وعثمان لا يختلفون في الرأي، وأنه من بويع منهم كان اثنان معه، وأمر بقتل مخالفيهم ولم يبال بقتل طلحة إذا قتلني وقتل الزبير، أما والله لئن عاش عمر لأعرفه سوء رأيه فينا قديماً وحديثاً، ولئن مات ليجمعني وإياه يوم يكون فيه فصل الخطاب»[٩٧].

كما نجد أن أمير المؤمنين عليًّا (عليه السلام) في نص آخر يبين أن انتقال السلطة إلى الأشخاص غير المؤهلين سرعان ما ينتج عنه تصرفات خاطئة تقوم بها السلطة الحاكمة تؤدي إلى تهديد أمن الدولة والمجتمع بسبب انتشار الفتنة والتي تؤدي حتما إلى القتال والفوضى والاضطرابات، وحذرهم من ذلك بقوله: «... فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوا مَنْطِقِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى

يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ»[٩٨]، وبالفعل فقد تحقق ما استنتجه (عليه السلام) من تصرفات عثمان بن عفان والتي كانت نهايتها مقتله[٩٩]، وقال (عليه السلام) موضحاً ذلك: «... إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَ مُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ ...»[١٠٠]، وقال (عليه السلام) في نص آخر: «... أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ، اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسْأَتُمُ الْجَزَعَ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ»[١٠١]، وهذه إشارة واضحة إلى السياسة المالية الخاطئة التي عمل بها عثمان بن عفان ومعه عماله من بني عمومته من بني أمية والتي أدت إلى حدوث الثورة عليه والفتنة التي قتل بها سنة (٣٥هـ/ ٦٥٥م)[١٠٢].

ثم بعد ذلك تمخضت عن الاضطراب الداخلي الذي حدث في الدولة الإسلامية وخلوها من القيادة ولجوء غالبية المسلمين إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يطلبون منه تولي الحكم وإنقاذ الأمة والدولة من الخطر المحدق بها والانقسام الشديد الذي تعرضت له، وقد وصف (عليه السلام) ذلك بالقول: «... فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ ...»[١٠٣]، وإن تولي الإمام علي (عليه السلام) الخلافة وسط اضطراب شديد عمَّ الدولة الإسلامية، حتم عليه أن يقع بين جهتين تضغط عليه سياسيًّا أولهما المهاجرون ومطالبتهم

المستمرة في إدارة الدولة، وتطلعات أهل الأمصار في المشاركة بهذا الحق، وبما يتناسب مع قوتهم المتصاعدة ومصالحهم التي تتناقض في كثير من جوانبها مع مصالح المهاجرين من قريش[١٠٤]، لذلك علم الإمام علي (عليه السلام) أن السياسة التي يجب السير عليها من أجل الخروج من هذه الفتنة، هو اللجوء إلى العدل وإقامة الحق بقوة وحزم، وجاء ذلك في كلام له (عليه السلام) في أمر بيعته: «لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ لله وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَايْمُ الله لأنصفن الْمَظْلُومَ، وَلاَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً»[١٠٥]، فتأكيده (عليه السلام) أنه سوف يطبق العدل والحق، وهما الأساس للحكم في الشريعة الإسلامية من أجل الخروج من هذه الفتنة التي لا يعي أغلب المسلمين مدى خطورتها.

خلاصة ما مر بنا يتبين لنا أن موقف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من انتقال السلطة بأشكاله الثلاثة المختلفة كان يتسم بالوسطية بين المعارضة الإيجابية والسلبية على وفق الرؤية المعاصرة[١٠٦]، ولم يلجأ إلى الموقف العدائي؛ مراعاة للظرف الزماني والمكاني الذي أحاط بالدولة الإسلامية، وراعى المصلحة العامة للمسلمين على مصلحته الخاصة على الرغم من سلب حقه في الحكم، ونتلمس ذلك في جوابه (عليه السلام) لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال: «... فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمُ لله وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ ...»[١٠٧].

المبحث الثالث:

الإسهام في تنظيم إدارة الدولة الإسلامية

وضع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) نصب عينيه الاهتمام بتنظيم السلطة التنفيذية التي تدير الدولة الإسلامية؛ لغرض تأمين الدولة والمحافظة على أمنها وسيادتها، لذا توجب تنظيم الجوانب الإدارية للحكومة وهذا الأمر لم يغب عن الفكر السياسي والإداري لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) بل هو السباق إلى ذلك، على وفق ما يراه من المصلحة العامة لتحقيق المنفعة العامة للدولة الإسلامية، وهو يرى أن هذه الوظائف هدفها الأساس هو تحقيق الحكومة العادلة الدينية، لا الحكومة الإسلامية التي ترفع الشعار دون المضمون، ومن دلائل تنظيم السلطة الإدارية بنظره (عليه السلام) هي:

أ. وضع الأهداف العامة:

إن وضع الأهداف العامة للسلطة الإدارية التي تمارسها الحكومة، من جملة الأمور المهمة في مجال تنظيم السلطة الإدارية، وهي جزء لا يتجزأ من تنظيم السلطة التنفيذية، وهو الذي ينعكس إيجابيًّا على تحقيق أمن الدولة وحفظ نظامها، أما إذا لم يكن هنالك أهداف عامة محددة ومنظمة، فيقينا سيشوب العمل الإداري للحكومة التخبط والعشوائية، مما يسمح بانتشار الفساد الإداري الذي يعد المهدد الأخطر لأمن الدولة.

وفي نهج البلاغة نتلمس العديد من الأهداف العامة التي حددها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لإدارة حكومته، ومنها حفظ أمن المسلمين القومي؛ إذ وضعه (عليه السلام) هدفا عاما لإدارته الدولة؛ فقال (عليه السلام) في نظرته للسلطة وسعيه للحكم لتحقيق

الأفضل للمسلمين في هذا الجانب: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ»[108]، فهو يسعى لتحقيق السلم والأمن والأمان للمسلمين؛ وإن كان فيه مضرة بمصالحه الشخصية الخاصة.

وهنالك هدف عام آخر جعله أمير المؤمنين علي (عليه السلام) نصب عينيه، وهو إصلاح أوضاع الأمة العامة، وبخاصة إنه تسلم زمام الحكم بعد الفتنة التي عمت الدولة الإسلامية واضطراب حبل الأمن والأمان للأمة الإسلامية، وقد تطلب منه (عليه السلام) إصلاح الأوضاع العامة للدولة، لذلك قال (عليه السلام): «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ»[109]، إن الإصلاح الذي ينشده (عليه السلام) كان هدفه العام منه هو تحقيق أمن الدولة والأمة الإسلامية.

وكذلك وضع (عليه السلام) هدفاً آخر لحكومته تمثل في إنصاف الناس من ظلم الولاة وتعسفهم على الرعية، لهذا نجده قد أرسل كتاباً إلى عماله وولاته على الخراج يبين لهم فيه كيفية تنظيم إدارتهم للمدن والأمصار الموكلة إليهم، وكيفية جباية الخراج دون المساس بحقوق المواطنين، ومما جاء فيه: «... فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ وَسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ، وَلَا تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ،

وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ، وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا وَلَا عَبْداً، وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ...»[110]، فضلا عن مجموعة كتب أخرى أرسلها إلى بعض ولاته يبين لهم فيها حسن تنظيم الأمور الإدارية في ولاياتهم[111]، بهدف أن تكون الحكومة في خدمة المجتمع الإسلامي.

ب. المحاسبة والمراقبة المستمرة:

يرى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وجوب المحاسبة والمراقبة المستمرة من قبل رأس السلطة السياسية (الحاكم) لموظفي الدولة من الولاة والعمال والكتاب والجباة ...، وذلك عن طريق السير بنظام (الثواب والعقاب)؛ إذ نجد في نهج البلاغة الكثير من الخطب والرسائل والكتب التي وجهها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى ولاته وعماله على الأمصار الإسلامية أو جباة الصدقات والزكاة والخراج وغيرها من موارد الدولة يحاسبهم فيها على تقصيرهم ويوبخهم ويوقع بهم العقوبة[112].

وقد اتخذت هذه المحاسبة والمراقبة أشكالاً متعددة من بينها التوبيخ كما ورد في كلامه مع شريح بن الحارث قاضيه، لما بلغه أنه اشترى داراً بثمانين ديناراً، فوبخه توبيخاً شديد اللهجة وعاتبه على ذلك[113]، وهدفه (عليه السلام) من ذلك منع الثراء عن طريق استغلال المنصب والسلطة، بل أراد أن يكون ولاته وعماله عما كان هو عليه من الزهد والصيانة للمال العام، وكذلك توبيخه الشديد بكتابه (عليه السلام) الذي وجهه إلى عبد الله بن عباس عامله على البصرة، إذ أرسله إليه يوبخه على بعض التصرفات الخاطئة التي بدرت منه تجاه بعض المسلمين في ولايته،

جاء فيه: «...وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلاَّ طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً وَقَرَابَةً خَاصَّةً نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا، فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ رَحِمَكَ اللهُ فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدَكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذلِكَ وكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلاَ يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ، وَالسَّلاَمُ»[114]، ففي هذا الكتاب نجد من أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لهجة شديدة وتوبيخا واضحا وقويًّا لأحد عماله، ولم تأخذه فيه رحمة على الرغم من صلة الرحم (فهو ابن عمه)، وبخاصة بعد أن بلغه أنه تعرض لإحدى قبائل المسلمين، بل أبعد من ذلك نجده يرسل كتاب عتب شديد لأحد عماله وهو عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة؛ لأنه دُعي إلى وليمة، ويحذره من أن يملئ بطنه بطعام حرام، فقال له (عليه السلام): «...فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ»[115]، وهو هنا يسعى إلى منع الولاة والعمال من الانجرار وراء الولائم والعزائم التي قد ترافقها تنازلات سياسية أو إدارية يقدمونها لصاحب الوليمة، وهذا الأمر شائع إلى يومنا هذا، فنجد أن الولائم والعزائم تكون سبباً في تضييع حقوق عامة المسلمين.

ونجد نوعا آخر من المحاسبة استخدمه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مع بعض الخلص من أصحابه، ممَّن تولّى بعض الإمارة على بعض المدن الإسلامية، ويتلخص هذا النوع من المحاسبة والمراقبة عن طريق الموعظة الحسنة التي يقدمها لهم، وذلك من أجل حثهم بشكل

أكبر على تقديم المزيد من الخدمات العامة للمسلمين، وتقديم الأفضل في جانب العمل السياسي - الإداري، بما يحقق للدولة أمنها، وللفرد والمجتمع ازدهاره ورخاؤه، ومثال على ذلك ما ورد في كتابه (عليه السلام) إلى سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) عندما ولاه على المدائن، جاء فيه: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا...»[116]، وكذلك ما ورد في كتابه (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني؛ إذ جاء فيه: «وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلَالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ...»[117].

كما أن أمير المؤمنين عليًّا (عليه السلام) استخدم وسيلة عزل الولاة، فهو لم يتردد لحظة واحدة في عزل بعض الولاة عندما يتبين له منهم الخيانة في عملهم، فقد أرسل إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد بلغه أنه خان بعض ما ولاه من أعماله، جاء في كتابه: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ، لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ، وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ، خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ، فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ»[118]، ومن يتأمل مفردات هذا النص يعلم علم اليقين أنه (عليه

السلام) كان يضع اهتمامه الكبير في أن يعمل ولاته كجزء من منظومته الإدارية في تحقيق الهدف الأسمى للحكومة وهو تحقيق المصلحة العامة للمسلمين وحفظ أمن الدولة، كذلك عمل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على عزل ابن عمه عبد الله بن عباس، عندما بلغه أنه سرق المال من بيت مال البصرة وهرب الى مكة، فأرسل إليه كتاباً يطالبه بإعادة ما بذمته من مال، ويخبره بعزله عن منصبه[١١٩].

ومن جهة أخرى نجده (عليه السلام) يمدح النزيهين منهم والمؤدين واجباتهم بصورة صحيحة، وهو جزء من سياسة الثواب والعقاب التي اتبعها مع ولاته وعماله، وهي تسير بذات الخطى في الوسطية، ومن ذلك ما ورد في كتابه (عليه السلام) إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي، عامله على البحرين، جاء فيه: «... **فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ وَلَا مَلُومٍ وَلَا مُتَّهَمٍ وَلَا مَأْثُومٍ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللهُ**»[١٢٠].

ت. حسن التعامل مع الرعية:

إن حسن التعامل مع الرعية واحد من أهم المبادئ التي نادى بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من أجل تنظيم السلطة الإدارية للحكومة التي تدير الدولة الإسلامية، وكجزء من سياسته في تنظيم السلطة التنفيذية ،وجعل هذا المبدأ الأساس الذي تقوم عليه حكومته وهدفا أعلى وأسمى لها، وقد تضمن نهج البلاغة العديد من النصوص التي تثبت ذلك، وتبين توجيهات مهمة منه (عليه السلام) إلى ولاته وعماله من أجل أن يلتزموا بحسن التعامل مع

رعيته، ومن ذلك ما ورد في كتاب عهده لمحمد بن أبي بكر حين ولاه على مصر، جاء فيه: «فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ»[١٢١]، فهو (عليه السلام) يسعى عن طريق سلطته الإدارية أن يساوي بين الرعية حتى في النظرة بين الضعفاء والأقوياء!!!، وهذا أبعد ما يكون من مساواة بين الرعية وحسن التعامل معهم، وهو نهج يحقق العدالة والمساواة، ويؤمن الدولة من مخاطر الفتن، لأن الرعية إذا رأت من الحاكم العدل والمساواة بينهم باختلاف طبقاتهم وأوضاعهم المادية والمعنوية، ووجدت ذلك تطبيقاً فعلياً، خضعت للحاكم ودانت بالولاء له، ودافعت عن حكمه بالغالي والنفيس مما يؤمن الدولة من خطر الأعداء بوجود من ينصرها من عامة رعيتها.

وقد تضمن كتاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى الصحابي مالك الأشتر (رضوان الله عليه) لما عزم على توليته مصر، كل هذه الأمور ولعلنا هنا نقف عند بعض هذه الجوانب لنستبين أثرها المهم في الحفاظ على أمن الدولة الإسلامية، ففي الجوانب الإدارية يبين لنا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كيف يتم تنظيمها بما يضمن أمن الدولة وتحقيق المصلحة العليا للمسلمين، قال (عليه السلام): «ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ

مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ...»[١٢٢]، هذا المقطع من النص مهم جداً في تنظيم السلطة الإدارية؛ إذ إن كثيرا منا ينتقد السلطة الإدارية ويعدد أخطاءها وعيوبها، فلما نجده يتصدى للعمل الإداري فإذا به ينقلب فيصبح أسوء من سلفه، وعند مقارنة هذا النص مع آراء أصحاب النظريات السياسية الحديثة ومنهم مكيافيللي الذي حدد وجود ثلاث طرق لحكم المدن أو المقاطعات التي كانت محتلة في الماضي وتعيش في ظل قوانينها الخاصة، يقول: ((عندما تكون البلاد قد تعودت أن تعيش في حرية في ظل قوانينها الخاصة فإنه توجد ثلاث وسائل للسيطرة عليها: أولها أن تسلبهم أو تنهبهم، والثانية أن تذهب وتعيش أنت ورجالك هناك بينهم كأفراد، والثالثة أن تسمح لهم بأن يعيشوا في ظل قوانينهم وتجعلهم يحترمونك...))[١٢٣].

وعند إكمال نص الكتاب نجد أمير المؤمنين عليًّا (عليه السلام) يحدد لمالك الأشتر عمله على وفق الوسيلة الثالثة التي حددها مكيافيللي، أي أن يعيش الرعية في ظل قوانينهم مع حسن التعامل معهم، وجعل ذلك وسيلة من أجل تنظيم السلطة الإدارية، وتحقيق الاختلاف عن أعمال السلطة السابقة وأخطائها، لذلك وجهه (عليه السلام) بالقول: «... وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ،

وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ...»[١٢٤]، وهذا النص يثبت السبق للفكر السياسي والإداري الذي امتاز به أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على كل الفلاسفة والمنظرين للفكر السياسي، عبر المثل الأعلى في حسن التعامل مع الرعية بالرحمة والمحبة واللطف بهم، وإعطاء جانب المساواة في شرائح المجتمع المختلفة مسلمين أو غيرهم من أبناء الديانات السماوية.

ث. تطبيق القانون:

إن تطبيق القانون واحد من الجوانب التنظيمية المهمة للغاية للسلطة الإدارية الناجحة، إذ به تحفظ الدولة هيبتها وتفرض سلطتها وتردع من يتطاول عليها وتحمي ممتلكاتها العامة، كما أن الرعية في وجود القانون وتطبيقه بشكل عادل عليهم، يمهد من سير حياتهم بانتظام وحفظ حقوقهم وحماية ممتلكاتهم الخاصة، قال أمير المؤمنين علي (عليهم السلام): «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ»[١٢٥]، لأن تطبيق القانون يحفظ النظام للدولة ويؤمنها، والعكس تماماً تجده في حال غياب القانون، إذ تصبح الدولة مرتعاً للعصابات والمرتزقة، وغير قادرة على حماية أمنها ورعيتها على حد سواء.

ويرى أمير المؤمنين (عليه السلام) ضرورة تطبيق القانون على الجميع وبخاصة مع أولئك الذين يعرضون أمن الدولة الى الخطر، بسبب تصرفاتهم الخاطئة التي قد تصل إلى حد الخروج على الدولة بشكل مسلح، ونتمعن من خلال كتابه إلى أحد أمراء جيشه في الكيفية التي وضعها (عليه السلام) في تطبيق القانون والتعامل مع هذه الفئات

بقوله: «فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ، فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ شُهُودِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ»[١٢٧]، فتأكيده على وجوب استخدام الأسلوب السلمي عن طريق الإقناع أو الحوار وغيرها، في حث من تمرد على الرجوع إلى طاعة الدولة، لكن في حال عدم إذعانه بالطاعة، فدعوة من عرف بالولاء للدولة في قتال من خرج عليها وتمرد، وترك المتقاعسين والمتخاذلين والذين يكون وجودهم شرًّا وبلاء لتأثيرهم السلبي على معنويات من هم على الطاعة، ولبوا نداء إمامهم في مواجهة المنحرفين.

ونجد صورة أخرى من صور تطبيق القانون في الرؤية السياسية عند أمير المؤمنين علي (عليه السلام) تتمثل في طبيعة تنفيذ الحكم من قبل الحاكم، إذ إن أبّهة السلطة وجبروتها، قد تبعث في نفس الحاكم إلى التسرع في إيقاع العقوبة برعيته، وعدم تبيان وجه الصواب أو الخطأ والحق والباطل في أحكامه، لذا أشار (عليه السلام) في كتابه إلى مالك الأشتر بضرورة الانتباه لمثل هكذا أمور بقوله (عليه السلام): «وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ، وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ»[١٢٧]،

وهنا نجد أمير المؤمنين عليًّا (عليه السلام) يشير إلى قضية مهمة جداً، وهي أن إفراط العقوبة الذي يبدر من بعض الولاة والعمال (السلطة الإدارية) هو نتيجة الاغترار بالسلطة التي يتحكم بها، لذا نجده يحذر من ذلك، ويذكر أن فوق كل صاحب سلطة، من هو أعلى وأقوى منه وهو الله عز وجل.

كذلك نجد أمير المؤمنين عليًّا (عليه السلام) يحذر في دعوته إلى تطبيق القانون من قبل ولاته وعماله إلى أمر بالغ الأهمية قد يحدث عن طريقه خرقٌ للقانون، وهو أن الكثير من الولاة والحكام يحابون في أحكامهم عندما تكون الخصومة مع بعض ذويهم أو أقربائهم أو من خاصتهم والمقربين لديهم، مما يشكل خرقاً خطيراً في تطبيق القانون بشكل عادل ومتساوي بين الرعية، فقال (عليه السلام): «**وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ**»[١٢٨]، ولعل الشطر الأخير من هذا النص يبين لنا مدى خطورة هذا الأمر، لأن فيه إثارة لسخط العامة، والذي عادة ما يشكل خطراً كبيراً على أمن الدولة، لذا دعا (عليه السلام) إلى تطبيق القانون على خاصة الناس، كما هو على عامتهم، لتتحقق المساواة والعدالة بين الرعية، بما يحفظ أمن الدولة وديمومتها.

وكذلك نجد صورة أخرى لا تقل أهمية عما ذكرناه آنفاً من صورة تطبيق القانون في الرؤية السياسية والفكرية لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) تتمثل في ضرورة التفريق بين المحسن والمسيء، ولعل هذا الأمر يمس صميم ما يعانيه الشعب العراقي

اليوم، من ظلم وضياع للحقوق وتدهور شامل في كل قطاعات الدولة الخدمية والتعليمية والصحية والاقتصادية، قال (عليه السلام): «وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ، مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُنَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ ظَنِّكَ بِهِ لِمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ»(١٢٩)، وذلك لأن السلطة السياسية كثيراً ما تغاضت عن المسيئين من أفراد وأحزاب ورجال أعمال وغيرهم ممن عرفوا بالفساد المالي والإداري وتجاوزا السلطة، بل عفت عنهم ولم تعرضهم للمحاسبة القانونية، مما فسح المجال أمام هؤلاء للسيطرة على مقدرات البلد ونهب خيراته وثرواته، وتحكموا في كل شيء، والشعب ينظر إلى من ينقذه من هذا الظلم الذي دام لما يزيد عن عشرين عاماً وما زال مستمراً ونحن نكتب هذه السطور، فالحل يكمن في أن تقوم الحكومة بإلزام المسيء بإساءته وإيقاع العقوبة به وتطبيق القانون بحقه، والإحسان إلى ذوي الإحسان بإكرامه وأجلاله.

ج. حسن اختيار الموظفين والرقابة عليهم:

يرى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وجوب أن يحسن الوالي على الأمصار والمدن الإسلامية اختيار الموظفين والعمال المساعدين له في إدارة ولايته، كونهم يشكلون الحلقة المتصلة ما بين الوالي ورعيته، لذا فإنهم يشكلون أهمية بالغة في تأمين

أمن الدولة، إذ إن التزامهم بعملهم دون غش وخداع يضمن حب الرعية وطاعتها للسلطة الحاكمة، والعكس تماماً يحدث إذا أخل هؤلاء بواجباتهم، وهذا ينعكس إيجابا أو سلبا على أمن الدولة، لأنهم حلقة الوصل بين السلطة العليا في الدولة (الحاكم) وبين الرعية، وهم من يطبق قرارات الحاكم على أرض الواقع، والرعية تنظر إلى تصرفاتهم بأنها نابعة عن الحاكم نفسه، لذا فإن أساء هؤلاء التصرف في صلاحياتهم، انعكس ذلك على الحاكم وتذمرت الرعية منه، وعليه نجد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يؤكد على ذلك بالقول: «ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً، ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ، ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَتَحَفَّظْ مِنَ الْأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ»[١٣٠]، عن طريق هذا النص يمكن أن نستجلي بعض الشروط التي وضعها (عليه السلام) لاختيار الموظفين الصغار في

الدولة بما يلي:

١. اختيار الكفء للوظيفة وترك الاختيار على وفق المحاباة والأثرة وهي المحسوبية والمنسوبية في وقتنا الحالي، وقد لخص (عليه السلام) العلة في ذلك بقوله بأنها جماع الجور والخيانة، وبالفعل فإن ما نعانيه اليوم في بلدنا من فساد إداري يعود إلى اختيار الكثير من الموظفين لصلة النسب والقرابة، أو المحسوبية والمنسوبية مما شكل تدميرا خطيرا على مؤسسات الدولة وضياع الموارد الاقتصادية، بسبب أطماع هؤلاء المادية والمعنوية.

٢. اختيار أصحاب التجربة في أداء المهام الوظيفية الذين امتازوا بفهم الإسلام حتى يكونوا أعلم بقواعد الدين وتطبيقه على أرض الواقع، ومن ذوي الخلق الرفيع، فكثير من الموظفين إذا امتازوا بالغلظة كانوا مجلبة للشر على الدولة بتنفير الرعية منها، وقلة الطمع لأن الموظف إذا طمع بما تحت يده من مال الدولة جر ذلك إلى السرقة، وهذا ينعكس سلباً على الدولة والمواطنين، وأن يمتازوا بالتروي في اتخاذ القرارات، فكثير من القرارات الخاطئة جاءت نتيجة العجالة وعدم النظر بالمدى البعيد، لأثر تلك القرارات على الدولة والمواطن، ولعل ما ينطبق تماماً على هذا مقولة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

٣. ضرورة توفير الرواتب المادية المجزية للموظفين، مقابل ما يؤدونه من أعمال، وهذا ضروري جداً لأنه يوفر ما يحتاجه الموظف من أمور معاشية لسد حاجته اليومية، وكذلك من أجل منعه من أخذ الرشوة، ولعل تجربة العراق في أيام الحصار الاقتصادي من عام (١٩٩١م- ٢٠٠٣م)، والتي عانى بها الموظفون الكثير بسبب قلة

الرواتب التي لم تكن تسد الرمق، فانتشرت الرشوة والسرقة من المال العام، وانعكس هذا على خدمات الدولة المقدمة للموطن، فمثلاً في ذلك الوقت انتشرت سرقة الدواء من المستشفيات والمراكز الصحية ويباع في السوق السوداء من قبل بعض موظفي الصحة، مما عانى خلاله الكثير من المرضى وبخاصة من الأطفال وكبار السن، من الموت بسبب قلة العلاج وغلائه وعدم توفره.

٤. مراقبة الموظفين ومحاسبتهم بشكل مستمر ودائم، عن طريق استخدام من يراقبهم سراً ويرسل بأخبارهم إلى الحاكم، وهذا الأمر يشكل عاملا رقابيًّا مهمًّا جداً، فهو يثير الخوف والقلق لدى هؤلاء الموظفين ويمنعهم من السرقة والتعدي على المال العام أو الخاص، واختيار من يراقبهم بصدق وأمانة؛ إذ إن بعض هؤلاء قد يجر إلى أخذ الرشوة من الموظف مقابل السكوت عنه وعدم التبليغ بحقه وهذا شرٌ أسوء من الأول.

٥. إيقاع العقوبة المادية والمعنوية بحق الموظفين المخالفين في سلوكهم الوظيفي وعملهم المهني، وتكون العقوبة بدنية أي بالحبس أو الجلد أو غيرها من العقوبات المناسبة لشكل الخطأ ونوعه، كذلك معنوية عن طريق الإشهار عن خيانته وإذاعة ذلك، لتكون عقوبة رادعة له عن تكرار الخطأ، ومانعة لغيره من سلوك ذات النهج أو الفعل المسيء.

ح. تنظيم الجوانب المالية:

إن تنظيم الجوانب المالية هي سلسلة مكملة لتحقيق أمن الدولة، إذ تعد جزءا لا يتجزأ من المهام الكبيرة الملقاة على عاتق الوالي، من أجل تنظيم السلطة الإدارية التي يديرها في ولايتها، وهي استكمال لعملية تنظيم

السلطة التنفيذية التي تقود الدولة الإسلامية بشكل عام، وتضمَّن نهج البلاغة العديد من النصوص التي تبين اهتمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بشكل كبير بمختلف الموارد المالية للدولة الإسلامية؛ إذ نجده قد اهتم بواحد من أبرز موارد الدولة المالية ومنها الزكاة[١٣١]، فقد حث أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أصحابه على ضرورة إخراج الزكاة بوصفها مورداً ماليًّا مهمًّا في تحسين الوضع الاقتصادي للفقراء والمساكين، وتسهم في إنقاذهم من الفقر والجوع، فقال (عليه السلام) في ذلك: «... ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً، فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ»[١٣٢].

وفي ذات النهج نجده (عليه السلام) قد اهتم بالصدقة[١٣٣]، بوصفها مورداً من موارد الدولة المالية المهمة، إذ ورد فيها نصان مهمان للغاية في تنظيم كيفية استحصال أموال الصدقة، وأولها ما ورد من وصية له (عليه السلام) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات جاء فيها: «انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِآخُذَ مِنْكُمْ

حَـقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُـمْ...»[١٣٤]، ولـولا أن نـص الكتـاب طويـل جـدا لأوردنـاه بحذافـيره، فهـو يـدل دلالـة مطلقـة عـلى أن أمـير المؤمنـين عليًّـا (عليـه السـلام) كان ينبـه لأدق التفاصيـل في مـا يتعلـق بجبايـة أمـوال الصدقـات عـلى وفـق مـا أقـره الإسـلام، مـن آليـة مبنيـة عـلى التسـامح والعـدل بـين الرعيـة، وكذلـك مـا ورد مـن عهـد لـه (عليـه السـلام) إلى بعـض عمّالـه، وقـد بعثـه عـلى الصدقـة جـاء فيـه: «... وَآمُرَهُ أَلَّا يَجْبَهَهُمْ، وَلَا يَعْضَهَهُمْ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْأَمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الْأَخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ...»[١٣٥].

كـما اهتـم أمـير المؤمنـين عـلي (عليـه السـلام) بأمـر الخـراج[١٣٦]، بوصفـه مـن المـوارد الماليـة المهمـة والأساسـية للدولـة الإسـلامية، وإن تنظيمهـا هـو ضرورة ملحـة تؤمـن للدولـة تطويـر اقتصادهـا وبشـكل كبـير جـداً، يؤكـد بشـكل كبـير عـلى ضرورة الاهتـمام بحسـن إدارة الأمـور الماليـة، لمـا لهـا مـن تأثـير كبـير عـلى كل مفاصـل الدولـة ، وقـال في ذلـك: «وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ، وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ...»[١٣٧]، وإن أبرز الجوانب التنظيمية لموارد الدولة الماليـة التـي وردت في النصـوص السابقة والتي توضح الرؤية الإدارية والماليـة في فكـر أمـير المؤمنـين عـلي (عليـه السـلام) يمكـن أن نجملهـا في النقـاط الآتيـة:

١. إنـه (عليـه السـلام) كان يقيـم عـماد الحـق ويـشرع أمثلـة العـدل في

صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها، لذلك كان أول ما يأمر به الولاة وجباة الأموال بتقوى الله تعالى وطاعته، والعمل لمرضاته سبحانه، وأن يكون عملهم ظاهره كباطنه، بلا رياء أو خداع أو غش، كما يفعل ذلك بعض الجباة حتى يومنا هذا.

٢. تأكيد الحافز المعنوي الديني في حث المسلمين على دفع المستحقات المالية للدولة، كونه الأكثر تأثيراً وفاعلية في زيادة موارد الدولة دون اضطرار إلى الإكراه على استحصالها.

٣. الحرص على التعامل الإيجابي القائم على احترام خصوصية المسلم وحريته، عند دفع ما بذمته من مستحقات مالية، بتجنب الأساليب القسرية المادية والمعنوية التي قام بها بعض الجباة مع المسلمين وغير المسلمين، بل أكد الالتزام بالآداب الإسلامية في التعامل معهم، من دون مخاشنة في التعامل أو تقريع أو تعزير أو غير ذلك، وهذا الأمر سبق حقيقي لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)؛ إذ لم نجد له أي إشارة لدى كتاب الأحكام السلطانية[١٣٨] والمهتمين بالحضارة والنظم الإسلامية[١٣٩].

٤. التخيير في تسديد المستحقات المالية من قبل المسلمين، سواء أكانت أموالا عينية أم نقدية، وعدم الاشتراط في التسديد بأيهما يشاء.

٥. الرفق بالحيوانات التي تفرض عليها الزكاة أو الصدقة من أموال المسلمين، وعدم التعرض لها بالإيذاء وعدم إكراه صاحبها على دفعها، ضمن المستحقات فيما إذا كانت كبيرة في العمر او مريضة أو بها عاهة، فتترك لصاحبها، وهذا هو غاية ما يمكن أن يصل إليه أي حاكم عادل على مر العصور وفي مختلف الأزمنة، في مراعاة حقوق الحيوان في مجتمع كان يعيش الجاهلية

من قريب، ولم ينسلخ أغلبهم من عاداتهم وقيمهم، التي كانت تنظر إلى الإنسان بازدراء فكيف بالحيوان!!.

٦. تخيّر الأمناء والثقاة ممَّن يتولون نقل أموال المستحقات عينية كانت أم نقدية، مع تشديده (عليه السلام) عليهم في مراعاة السفر والطريق بهذه الحيوانات، وهذا الأمر من جانبين؛ الأول لإيصال هذه الأموال سليمة إلى بيت المال، والآخر الرفق والمراعاة للحيوانات المصطحبة معهم، لأن الطرق آنذاك كانت طويلة جداً وتمر بالصحاري الشاسعة والجبال الجرداء، فلم يرض (عليه السلام) أن يفصل بين الفصيل وأمه، بل أن لا يؤخذ من لبنها إذا أضر ذلك بفصيلها، وهذا أبعد ما وصلت إليه حدود التعامل الإنساني بالرحمة والرأفة مع الحيوان، ومراعاة مشاعره وأحاسيسه، فهي روح كما للبشر روح، هكذا كان (عليه السلام) ينظر إليها.

٧. قسمة هذه الأموال بعد دخولها لخزينة الدولة (بيت المال) وفقاً لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله)، وبما يضمن التوزيع العادل للمسلمين جميعاً.

٨. مراعاة تغير الأحوال المناخية والطبيعة الجغرافية للمدن والأقاليم الإسلامية، مثل قلة المياه أو وفرتها، أو وجود الأمطار وعدمها، أو وفرة المحاصيل الزراعية وقلتها، وطبيعة الأراضي ونوعها، في جباية الخراج واستحصال المستحقات المالية، بل نجده (عليه السلام) قد أوجب على ولاته إنفاق أموال الخراج على عمارة هذه الأراضي، وتقليل فرض الخراج على القرى والمدن التي تعاني من شحة في الموارد، وهنا التفاتة رائعة منه (عليه السلام)؛ إذ ربط بين ضمان التطور والازدهار الاقتصادي

للمدن والقرى والأقاليم بعدم هجر أهلها لها وتركهم لمزارعهم فيما إذا لم يستطيعوا دفع الخراج للعارض الذي حصل لهم، مما ينعكس على خراب عمارة هذه القرى والمدن، وضياع عماد اقتصاد الدولة المتمثل بالزراعة آنذاك، كذلك تمسك الرعية بالطاعة للحاكم والولاء للدولة عندما يرون العدل منه والتسامح معهم وإعانته لهم في أحوالهم السيئة، عند ذلك يكونوا عونا للحاكم والدولة عند تعرضه للخطر وطلبه لعونهم المادي أو المعنوي، وهذا سبق له (عليه السلام) على عبد الرحمن بن خلدون المتوفى (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) أي في القرن التاسع الهجري صاحب نظرية التطور العمراني[١٤٠]، ويعده بعض الكتاب صاحب السبق والريادة في هذا المجال[١٤١]، على الرغم من أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) توفي عام (٤٠هـ/ ٦٦٠م) أي في القرن الأول الهجري وسبقه بحدود ثماني قرون، لكنهم ينظرون بعين عوراء للحقيقة التاريخية!!.

خ. تنظيم المراسلات والمكاتبات الإدارية:

اهتم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) اهتماماً كبيراً بتنظيم المراسلات والمكاتبات بينه وبين ولاته على الأمصار الإسلامية، وبين الولاة وعمالهم في مختلف القرى والأرياف، لما لها من تأثير كبير على أمن الدولة الداخلي؛ إذ قد تسبب إذاعته إرباكا في عمل الدولة أو وصول معلومات خطيرة إلى أعدائها، فضلا عن أن انتشارها وعدم ضبطها بشكل سري ومنتظم يؤدي إلى فقدان السيطرة المركزية على الدولة ومن ثم فقدان هيبتها أمام الناس، ولذلك نجده يؤكد على ذلك في كتاب عهده لمالك الأشتر بقوله: «ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ فَوَلِّ عَلَى

أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ، مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَإٍ، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ، ثُمَّ لَا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ... وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ»(١٤٢).

الخاتمة

إن أبرز ما توصل إليه الباحث من آراء واستنتاجات في هذه الدراسة يمكن إجمالها بما يأتي:

١. يقصد بالفكر السياسي الإسلامي: مجموعة الآراء والمبادئ والنظريات التي أطلقتها المجموعة البشرية الإسلامية منذ الفترة السابقة لظهور الرسالة الإسلامية حتى العقود الأولى من القرن العشرين، وأن تلك المجموعة من الآراء والمبادئ والنظريات تعرضت للعلاقة بين الفرد والسلطة، ودرست وفسرت ظاهرة السلطة في نشأتها ووجوبها أو جوازها، وتطورها ومؤسساتها وتحركها في المجال الدولي.

٢. هنالك رأيٌ بأن لفظة السياسي المشتقة من السياسة، هي كلمة مغولية أصلها ياسة، كما ذكر القلقشندي فحرفها أهل مصر وزادوا بأولها سيناً فقالوا سياسة، وقيل ياسة كلمة تركية قديمة معناها القانون الاجتماعي، وهنالك رأيٌ آخر يقول بأن الراجح أن كلمة السياسة عربية

الأصل، فالسياسة هي فعل السائس كما ذكره التهانوي.

٣. لم ترد مادة (فكر) بصيغة الاسم في القرآن الكريم ولكنها جاءت بصيغة الفعل، والفعل لغة هو ما دل على حدث وذات، فحينما يقال يفكر فهي كلمة تدل على حدث هو الفكر وتدل على الذات الفاعلة لهذا الحدث التي تسمى بالمفكر، كما أنها لابد من أن تدل على مفعول هذا الفعل وهو مفعول الفعل ذاته الذي تعلق به هذا الفعل، ويستدل من استعمال القرآن الكريم لكلمة فكر بصيغة الفعل أنه يعني في المقام الأول هذا العمل الذهني العقلي الذي يسمى بالفكر.

٤. وأما لفظة السياسي وكما سبق القول فإنها لم ترد في القرآن الكريم حرفيًّا ولا في اشتقاقها اللغوي الذكور سابقا، وإن عدم ورودها لا يعطي دليلاً على أن القرآن الكريم لم يهتم بالسياسة ولا ينظر إليها، وهذا بلا شك ضرب من المغالطة، فكثير من الألفاظ لا توجد في القرآن الكريم ولكن مضمونها ومعناها جاء مبثوثاً بألفاظ أخرى توحي بالمعنى نفسه للفظ غير المثبوت، فمثلاً وردت لفظة الملك العادل والظالم والشورى، والحكم، والتمكين، والخلافة وغيرها، وهي الفاظ ذات مدلولات سياسية بحتة.

٥. لفظة الإسلامي اشتقت من الإسلام في آيات عديدة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(١٤٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(١٤٤)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(١٤٥)، فالإسلام له معنى عام ومعنى خاص، فالعام: هو الأستسلام لله باتباع رسله في كل حين، والخاص: علم على رسالة

النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله) واتباع شريعته، وهو بمعناه العام دين جميع الأنبياء والمرسلين، وأما معناه الخاص فمتعلق بأمة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وهم كل من كان حيًّا بعد مبعثه (صلى الله عليه وآله).

٦. في مجال التأسيس للنظرية السياسية الإسلامية سلطنا الضوء على نظرية النص أو (الوصية) التي قال بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في إثبات حقه في الإمامة والخلافة له ولأولاده من بعده، والتي اعتمدها الشيعة الإمامية كنظرية سياسية - فقهية، ونظرية الاستخلاف (الخلافة) التي وضعها أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، والتي اعتمدها أهل السنة والجماعة أيضاً كنظرية سياسية - فقهية، وهما أبرز النظريات التي لها امتداد تاريخي - سياسي إلى يومنا هذا، وأما باقي الفرق الإسلامية في هذا السياق كالمعتزلة والزيدية والخوارج والأشاعرة وغيرهم فتركنا للقارئ الاطلاع على ما أدلوا به في العديد من المصادر والمراجع.

٧. جاءت العديد من نصوص نهج البلاغة في تأكيد أحقية الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وأولاده من بعده، بالخلافة بالنص والوصية من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) بهم، وحقهم في الإمامة والخلافة (حق الولاية)، وتأكيده ذلك بأنهم لهم الوصية والوراثة دون غيرهم، وهنالك العديد من الميزات التي امتاز بها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والتي أهلتهم لتولي منصب الإمامة والخلافة، ومنها العلم، والسبق في الإسلام، والشجاعة، وغيرها، وهذه الميزات جعلها فقهاء الأحكام السلطانية شرطاً لمن يكون في مقام الخلافة،

ولقد بيّن الإمام علي (عليه السلام) سبب استحقاقهم دون غيرهم في أن تكون لهم الإمامة على الناس كونهم الأعلم دون سواهم.

٨. كذلك جاءت نصوص أخرى وردت في بعض الخطب عنه (عليه السلام) بين فيها أحقيته بخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله)، كونه الأسبق في دخول الإسلام، وكيف أفاد من ذلك السبق في تلقي تعاليم الإسلام من منبعها الأصيل ولم يدخله في ذلك شك ولا ريبة، وقرن ذلك بالشواهد والأدلة العلمية والمنطقية.

٩. أكد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في جانب أحقيته في خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) على الدور البطولي والشجاعة الفائقة التي أبداها (عليه السلام) في الغزوات جميعها التي خاضها المسلمون ضد المشركين أو اليهود، تلك المعارك الفاصلة التي حدثت بعد الهجرة النبوية إلى المدينة واستمرت خلال حياة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وشارك بها الإمام علي (عليه السلام)، والتي أجمع المؤرخون أنه لا أحد من جلّ صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) كان له دورٌ كما كان دوره فيها (عليه السلام)، وأنه أحد أهم الجوانب التي تؤكد كمال الإمام علي (عليه السلام) وجميل فضائله في الإسلام، وأنه قد عمل جاهداً على نشر الإسلام بسيفه وعلمه، فكان هذا واحدا من الأمور التي دلت على أحقيته بالخلافة والإمامة من بعد الرسول (صلى الله عليه وآله).

١٠. إن الإمام علي (عليه السلام) قد استند في الاستدلال على استحقاقه بمنصب الإمامة والخلافة، بالشروط التي وضعها من نافسه عليها، وحاولوا أن يجعلوا شرعية لهم بها في ذلك، من باب مقارعة الحجة

بالحجة، وكذلك فيها استشراف للمستقبل منه (عليه السلام)، وكأنه ينظر إلى فقهاء السلاطين وكتاب الأحكام السلطانية وأنهم سيدلون بهذه الحجج، وترك لعلماء المذهب التوسع في وضع القاعدة الفلسفية التي ترتكز عليها نظرية النص والوصية.

١١. كان موقف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من نظرية الخلافة ودلائلها التي سيقت سلفاً، عن طريق استنطاق النصوص التي وردت في نهج البلاغة وتحليلها لمعرفة موقفه (عليه السلام) بشكل أقرب إلى الحقيقة التاريخية كونها استنطقت من لسانه (عليه السلام) ونبعت من بناة أفكاره ومثلت توجهاته وآراءه، والتي قامت على رفض القتال من أجل الوصول إلى استحقاقه بمنصب الخلافة والإمامة وخاصة في حال تعرض الدولة الاسلامية والدين الاسلامي إلى خطر محدق تمثل بالردة ومحاولات بعض الفئات الانقلاب على الإسلام واستغلال ضعف المسلمين وتشتتهم بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله).

١٢. عمل (عليه السلام) على استثمار مختلف الأدلة العلمية والمنطقية في تفنيد الشرعية السياسية التي صاغها مؤسسو نظرية الخلافة، فكانت لكلماته وخطبه ورسائله التي وردت في نهج البلاغة الأثر الكبير في إيضاح الحقيقة وإفهام المسلمين الخطأ من الصواب في هذا الأمر.

١٣. إن موقف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من انتقال السلطة بأشكاله الثلاثة المختلفة كان يتسم بالوسطية بين المعارضة الإيجابية والسلبية على وفق الرؤية المعاصرة، ولم يلجأ إلى الموقف العدائي؛ مراعاة للظرف الزماني والمكاني الذي أحاط بالدولة الإسلامية وراعى المصلحة

العامة للمسلمين على المصلحة الخاصة، كل ذلك من أجل أن يمنع ما يهدد أمن الدولة وسلامتها، على الرغم من سلب حقه في الحكم.

١٤. عمل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على الإسهام في تنظيم ادارة الدولة الإسلامية عن طريق جملة من النقاط التي تضمنتها نصوص نهج البلاغة، والتي اعتنت بوضع الأهداف العامة، والمحاسبة والمراقبة المستمرة وحسن التعامل مع الرعية، وتطبيق القانون، وحسن اختيار الموظفين، وتنظيم الجوانب المالية، ومن ثم تنظيم المراسلات والمكاتبات الإدارية، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على مدى الأثر الكبير الذي تركه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في مجال الفكر السياسي الإسلامي.

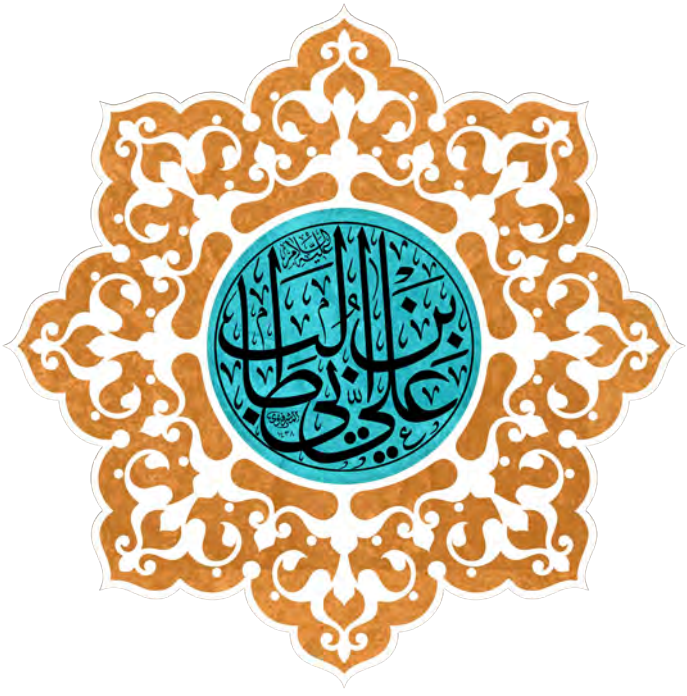

هوامش البحث

(١) ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي ت٤٥٨هـ: المحكم والمحيط الأعظم، (تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٧، ص٧؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي المصري ت٧١١هـ: معجم لسان العرب، (ط١، منشورات دار صادر، بيروت، د. ت)، ج٥، ص٦٥.

(٢) مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط (ط٤، منشورات دار التعارف للمطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٤م)، ص٦٩٨.

(٣) ذكر ابن منظور: ((قال سيبويه : لا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر ...))، معجم لسان العرب، ج٥، ص٦٥.

(٤) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٧، ص٧؛ ابن منظور، معجم لسان العرب، ج٥، ص٦٥.

(٥) الجوهري، إسماعيل بن حماد ت٣٩٣هـ: تاج اللغة (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٧٨٣.

(٦) الرازي، محمد بن أبي بن عبد القادر ت٦٦٦هـ: مختار الصحاح، (ط١، منشورات دار الفكر، عمان، ٢٠٠٧م)، ص ٢٣٤.

(٧) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي ت٥٣٨هـ: أساس البلاغة (تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م)، ج٢، ص٣٢.

(٨) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٧، ص٧؛ ابن منظور، معجم لسان العرب، ج٥، ص٦٥.

(٩) ابن زكريا، أحمد بن فارس ت٣٩٥هـ: معجم مقاييس اللغة (منشورات، دار الفكر بيروت، ١٩٧٩م)، ج٤، ص٤٤٦.

(١٠) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد ت٨١٧هـ: القاموس المحيط (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م)، ص ٤٥٨.

(١١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص٦٩٨.

(١٢) الفكر السياسي الإسلامي، ويكيبيديا، على الرابط

https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الزيارة ١٤/ ٣/ ٢٠٢٢م.
(١٣) الرازي، مختار الصحاح، ص١٥٢.
(١٤) معجم لسان العرب، ج٦، ص١٠٨.
(١٥) القلقشندي، أحمد بن علي ت ٨٢١هـ: صبح الأعشى (ط١، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م)، ج٤، ص ٣١٠.
(١٦) حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام (ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠١٠م)، ج٤، ص١٣١.
(١٧) محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (تحقيق: علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م)، ص ٩٩٣.
(١٨) ابن منظور، معجم لسان العرب، ج١٢، ص٢٩٢-٢٩٥.
(١٩) أبو جعفر محمد بن الحسن ت٤٦٠هـ: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد (ط١، مطبعة الخيام، طهران، ١٩٨٠م)، ص ٩٤.
(٢٠) نعمان، ساجد صبري : مفهوم العلم في الفكر الإسلامي (مجلة الأستاذ، بغداد، ٢٠١٤م)، مج١، ص٤٠٠.
(٢١) الفكر السياسي الإسلامي، ويكيبيديا، على الرابط.https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الزيارة ١٤/ ٣/ ٢٠٢٢م.
(٢٢) صادق، جهاد تقي: الفكر السياسي العربي الإسلامي دراسة في أبرز الاتجاهات الفكرية (ط١، منشورات جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، بغداد، ١٩٩٣م)، ص٢٠.
(٢٣) جهاد تقي صادق، الفكر السياسي، ص٢٠-٢١.
(٢٤) الفكر السياسي الإسلامي، ويكيبيديا، على الرابط .https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الزيارة ١٤/ ٣/ ٢٠٢٢م.
(٢٥) سورة البقرة: آية ٢١٩، آية ٢٦٦
(٢٦) سورة الأعراف: آية ١٧٦؛ سورة النحل: آية ٤٤؛ سورة الحشر: آية ٢١ .
(٢٧) الأنطاكي، محمد: المنهاج في القواعد والإعراب(ط٥، قم المقدسة، د.ت)، ص٣٦-٣٧ .
(٢٨) سورة الأعراف: آية ١٨٤ ؛ سورة

الروم: آية ٨

(٢٩) محمد الأنطاكي، المنهاج في القواعد والإعراب، ص٩١-٩٢ .

(٣٠) المصدر نفسه، ص٣٤ .

(٣١) ينظر تفسير هذه الآيات في: المحلي، جلال الدين ت٨٦٤هـ والسيوطي، جلال الدين ت٩١١هـ: تفسير الجلالين الميسر (تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، القاهرة، ٢٠٠٣م)، ص٣٤ ص٤٥، ص١٧٤، ص٤٣٣؛ كمال مصطفى شاكر، مختصر تفسير الميزان، (ط٣، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٦م)، ص٤٩، ص٦١، ص٢١٣، ص٢١٤.

(٣٢) الحاج عمر، عز الدين: مفاهيم فكرية بين الرؤية والمنظور (ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م)، ص١١٣ .

(٣٣) الفكر السياسي الإسلامي، موقع ويكيبيديا، على الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki/ ، تاريخ الزيارة ١٤/ ٣/ ٢٠٢٢م.

(٣٤) لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد السلام، محمد أحمد: السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة (ملتقى الباحثين العرب، على الرابط https://arabprf.com/?p=1755 تاريخ النشر ١٣/ مارس/ ٢٠٢٢م، تاريخ الزيارة ١٣/ ٣/ ٢٠٢٢م.

(٣٥) سورة آل عمران: آية ١٩.

(٣٦) سورة آل عمران: آية ٨٥.

(٣٧) سورة المائدة: آية ٣.

(٣٨) ينظر: مادة الإسلام في القرآن لا تصح ترجمتها على معنى الإسلام الخاص (موقع إسلام ويب، على الرابط https://www.islamweb.net/ar/fatwa/310234 تاريخ النشر ١٣/ ١٠/ ٢٠١٥م، تاريخ الزيارة ١٤/ ٣/ ٢٠٢٢م.

(٣٩) علي بن أبي طالب (عليه السلام) ت٤٠هـ: نهج البلاغة (جمع: الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، تخريج: حسين الأعلمي، ط٢، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١م)، ج٢، ص ٣٠١.

(٤٠) محمد بن عبد الكريم ت٥٤٨هـ: الملل والنحل(ط٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م)،ج١،ص١٣.

(٤١) ينظر: الزبيدي، قيصر عبد الكريم

جاسم، التأسيس الفكري للتعامل مع السلطان الجائر عند أئمة أهل البيت دراسة تاريخية (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة البصرة،(٢٠١٩م)،ص١٣٩-١٤٧.

(٤٢) ينظر: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر ت٤٢٩هـ: الفرق بين الفرق (تحقيق: محمد عثمان، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت)، ص٤٠ فما بعدها؛ ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد ت٤٥٦هـ: الفصل في الملل (تحقيق: محمد إبراهيم نصر الله ، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م) ج٢، ص٢٦٥ فما بعدها؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٣٢.

(٤٣) نهج البلاغة، ج١، ص٤٩-٥٠.

(٤٤) ينظر: الماوردي، علي بن محمد ت٤٥٠هـ، الأحكام السلطانية (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ص٦-١١؛ ابن الفراء، محمد بن الحسين ت٤٥٨هـ، الأحكام السلطانية (دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م)، ص٢٠.

(٤٥) نهج البلاغة، ج١، ص٢٦٠.

(٤٦) ينظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي ت٥٨٨هـ: مناقب آل أبي طالب (ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠٠٩م)، ج١، ص٢١٧ فما بعده؛ الإربلي، علي بن عيسى بن ابي الفتح ت٦٩٣هـ: كشف الغمة في معرفة الائمة (ط١ دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٦م)، ج١، ص٥٢ فما بعدها.

(٤٧) نهج البلاغة، ج٢، ص٣٨٧.

(٤٨) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٦.

(٤٩) ينظر: نهج البلاغة، ج٢، ص٣٠٨؛ ج٢، ص٤٨٣-٤٨٤.

(٥٠) نهج البلاغة، ج٢، ص٤١١.

(٥١) ينظر: ابن إسحاق، سيرة، ص١٣٧-١٣٨؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣١١؛ ابن عبد البر، عمر بن يوسف القرطبي ت٤٦٣هـ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٦م)، ج٢، ص٤٥-٤٦؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ط٢، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٩٩٥م)، ج٣، ص٢٩٥.

(٥٢) نهج البلاغة، ج٢، ص٤٢٤-٤٢٥.

(٥٣) ينظر: ابن إسحاق، السيرة، ص٣٢٤ فما بعدها؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر البغدادي ت٢٩٢هـ: تاريخ اليعقوبي (تعليق: خليل المنصور، ط١، منشورات دار الزهراء، إيران، ١٤٣٩هـ)، ج٢، ص٢٩ فما بعدها؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص٥٠٢ فما بعدها؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٣، ص١٦١ فما بعدها.

(٥٤) ينظر: الزبيدي، قيصر عبد الكريم: المعارضة العلوية (مطبعة دار الصادق، بابل، العراق، ٢٠١٠م)،ص٨٧-١١٧.

(٥٥) ينظر: ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي ت ٦٠٠هـ: خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) (ط١، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد القومي، إيران، ١٩٨٥م)،ص٩٨؛ العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي ت ٧٢٦هـ: المستجاد من كتاب الإرشاد، (ط١، مطبعة باسدار سلام، إيران،١٩٩٦م)، ص٧١-٧٢.

(٥٦) ينظر: النوبختي، الحسن بن موسى: فرق الشيعة (تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة،١٩٩٢م)،ص١٠٥-١٠٨؛ابن حزم الاندلسي، الفصل في الملل،ج٤، ص١٥٧-١٥٨؛ الشهرستاني، الملل والنحل،ج١، ص١٦٣-١٦٦.

(٥٧) ينظر: الطبري، محمد بن جرير ت٣١٠هـ: تاريخ الأمم والملوك (الأميرة للطباعة، بيروت، (٢٠١٠م)، ج١، ص ٤٥٩.

(٥٨) سورة الشعراء، آية ٢١٤.

(٥٩) ينظر: القمي، علي بن إبراهيم ت ٣٢٩هـ: تفسير القمي (ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠١٤م)، ص ٤٨٢؛ النقوي، محمد تقي: ضياء الفرقان في تفسير القرآن (ط١، مطبعة كوهر، طهران، ١٤٣٦هـ)، ج١٢، ص ٥٠٠- ٥٠٤؛ الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن (ط١، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة، د.ت)،ج١٥،ص٣٣٢-٣٣٦.

(٦٠) سورة المائدة، آية ٣.

(٦١) سورة المائدة، آية ٦٧.

(٦٢) ينظر: ابن حنبل، أحمد ت ٢٤١هـ: فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (تحقيق: حسن حميد السيد، مطبعة ليلى، ايران، ٢٠٠٤م)، ص١٢٩، ص١٦٣؛ البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ: جمل من أنساب الأشراف (تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٣٥٦-٣٥٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٧٦؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن ت٥٤٨هـ: مجمع البيان في تفسير القرآن(منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، د.ت)، ج٦، ص١٥٢-١٥٣؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص١٩٢-٢٠١.

(٦٣) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٧٦.

(٦٤) الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص١٩٦.

(٦٥) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، سورة النساء، آية ٥٩.

(٦٦) سليمان، حسن سيد، أثر القرآن الكريم على الفكر السياسي الإسلامي (المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم - السودان، ٢٠١١م)، ص٢٥٦.

(٦٧) لمزيد من التفاصيل ينظر: الهلالي، سليم بن قيس ت ٧٦هـ: كتاب سليم الهلالي (تحقيق: محمد باقر الأنصاري، ط٢، دار الحوراء، بيروت ٢٠٠٩م)، ص١٣٨-١٦٠؛ ابن هشام، عبد الملك بن هشام المصري ت٢١٨هـ: السيرة النبوية (منشورات شركة الأرقم، بيروت، د. ت)، ج٤، ص٨٤٢-٨٤٥؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٨٣-٨٦.

(٦٨) استند الأنصار إلى شرعية سياسية كان أساسها أنهم (أنصار الله وكتيبة الإسلام)، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٨٤٣؛ أو (السابقة في الدين وفضيلة في الإسلام)، ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ: الإمامة والسياسة (تحقيق: علي شيري، ط١، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٠م)، ج١، ص٢٢.

(٦٩) السيرة النبوية، ج٤، ص٨٤٤ .

(٧٠) الإمامة والسياسية، ج١، ص٢٣ .

(٧١) تاريخ ، ج٢، ص٨٣ .

(٧٢) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب ت ق٦هـ: الاحتجاج (ط١،دار الدين القيم، بيروت، د.ت)،ج١، ص٧٢.

(٧٣) ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦-١١؛ ابن الفراء، الأحكام السلطانية، ص٢٠ .

(٧٤) الجابري، عبد الستار، المنهج السياسي لأهل البيت (دار الكفيل، كربلاء المقدسة، ٢٠١٥م)، ص٢٤-٢٥.

(٧٥) ولد النبي بحدود عام (٥٧٠م) والمعروف بعام الفيل، وإذا أضفنا أربعين عاما وهي السن التي بعث فيها نجدها تقارب التاريخ المذكور، ينظر: ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار ت١٥١هـ، سيرة ابن إسحاق المسمى السير والمغازي (تحقيق: سهيل زكار، بيروت، ١٩٧٨م)، ص٦٦ ؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٩٤.

(٧٦) كما ذكره ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص١٤٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٤٧.

(٧٧) سورة النجم، آية ٣-٤.

(٧٨) الشقشقة من العصفور يشقشق في صوته ينظر: الرازي: مختار الصحاح، ص١٦٢.

(٧٩) نهج البلاغة، ج١، ص٥١-٥٢.

(٨٠) ينظر: الهلالي، كتاب سليم، ص١٣٨-١٦٨؛ ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٠-٣٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٨٣-٨٦؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٦٩-٩٢.

(٨١) ابن طاوس، علي بن موسى: التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (ط١، مطبعة نشاط، إيران، ١٤١٦هـ)، ص٣٩٠.

(٨٢) قيصر عبد الكريم جاسم الزبيدي، التأسيس الفكري، ص٣٥٧.

(٨٣) نهج البلاغة، ج١، ص١٤١.

(٨٤) نهج البلاغة، ج٢، ص٢٩٢.

(٨٥) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ت ٤١٣هـ: الإرشاد (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،

٢٠٠٨م)، ص ١٦٤.

(٨٦) نهج البلاغة، ج٣، ص٦٠٤-٦٠٥.

(٨٧) ينظر نص العهد في: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٩٣.

(٨٨) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٩٥.

(٨٩) ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١١-١٨؛ ابن الفراء الحنبلي، الأحكام السلطانية، ص٢٣-٢٧.

(٩٠) نهج البلاغة، ج١، ص٥٢-٥٣.

(٩١) لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٧-٥٨ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١١١؛ ابن قتيبة الدنيوري، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٥-٢٦؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٢٧-٢٤١.

(٩٢) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ١١٢.

(٩٣) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١١٢.

(٩٤) نهج البلاغة، ج١، ص٥٥؛ المفيد: الإرشاد ص١٨٩ - ١٩٠.

(٩٥) اتفق عبد الرحمن مع عثمان في أن يكون له الحكم بعده، مقابل مساعدته في الوصول إلى الحكم، وذكرت إحدى الروايات أن عثمان أرسل عهداً بتولي عبد الرحمن الحكم بعده سراً فغضب عبد الرحمن، وقال: ((أستعمله علانية، ويستعملني سراً))، ولم تتم هذه البيعة السرية؛ لأن عبد الرحمن توفي وعثمان ما زال حيًّا، ينظر: اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ١١٧.

(٩٦) المفيد، الإرشاد، ص١٨٩.

(٩٧) المصدر نفسه، ص١٨٨-١٨٩.

(٩٨) نهج البلاغة، ج٢، ص٢٨٨.

(٩٩) ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج١، ص٣١-٣٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١١٣-١٢٢؛ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٣٠-٣٩٦؛ المسعودي، علي بن الحسين بن علي ت٣٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق: أمير مهنا، ط١، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٣٤٨ - فما بعدها.

(١٠٠) نهج البلاغة، ج١، ص٥٥.

(١٠١) نهج البلاغة، ج١، ص٩٨.

(١٠٢) ينظر: قيصر عبد الكريم الزبيدي،

التأسيس الفكري، ص٤١-٤٢، ص١٩٤-١٩٥.

(١٠٣) نهج البلاغة، ج١، ص٥٦؛ وفي نص آخر قريب من هذا المعنى نهج البلاغة، ج١، ص١٢٧-١٢٨.

(١٠٤) الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م)، ص٣٩٢.

(١٠٥) نهج البلاغة، ج٢، ص٢٨٤.

(١٠٦) في الأدبيات السياسية المعاصرة هنالك ثلاثة أنواع من المعارض: الأول هو المعارض السلبي الذي يعارض القرار أو الموقف أو الرأي، والمعارض الإيجابي وهو الذي يعارض جزءا من القرار أو الراي أو الموقف، والمعارض العدائي والذي يتخذ من كل القرارات والآراء والمواقف موقفاً عدائيًّا يلجأ فيه إلى القوة، ينظر: مقال عن (معارض) في الويكيبيديا ar.m.wikipedia.org تاريخ الزيارة ١٤/ ٧/ ٢٠٢١م.

(١٠٧) نهج البلاغة، ج٢، ص٣٢٦.

(١٠٨) نهج البلاغة، ج١، ص١٥٢.

(١٠٩) نهج البلاغة، ج٢، ص٢٧٨.

(١١٠) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٦٩.

(١١١) ينظر: كتابه إلى عبد الله بن عباس، نهج البلاغة، ج٣، ص٦١٢-٦١٣؛ وكتابه إلى قثم بن العباس والي مكة، نهج البلاغة، ج٣، ص٦١٣-٦١٤؛ وكتابه إلى سلمان الفارسي والي المدائن، نهج البلاغة، ج٣، ص٦١٤؛ وكتابه إلى الحارث الهمداني، نهج البلاغة، ج٣، ص٦١٥-٦١٦.

(١١٢) ينظر: نهج البلاغة،ج٣،ص٥٠٦-٥٠٩، ص٥١٢-٥١٨، ص٥٥٢-٥٥٥، ص٦١٤-٦١٦.

(١١٣) ينظر: نهج البلاغة، ج٣، ص٤٩١-٤٩٣.

(١١٤) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٠٦-٥٠٧.

(١١٥) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٥٨-٥٥٩.

(١١٦) نهج البلاغة، ج٣، ص٦١٤.

(١١٧) نهج البلاغة، ج٣، ص٦١٥.

(١١٨) نهج البلاغة، ج٣، ص٦١٨.

(١١٩) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٥٢-٥٥٣.

(١٢٠) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٥٥.

(١٢١) نهج البلاغة، ج٣، ص٥١٦.

(١٢٢) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٧٢.

(١٢٣) ينظر: مكيافيللي، نيقولو: الأمير (ترجمة وتقديم: أحمد لطفي، ط١، الدار العالمية للنشر، مصر، ٢٠١١م)، ص٧٠.

(١٢٤) نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٥٧٢-٥٧٣.

(١٢٥) نهج البلاغة، ج٣، ص٦٢٤.

(١٢٦) نهج البلاغة، ج٣، ص٤٩٣.

(١٢٧) نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٥٧٣.

(١٢٨) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٩١؛ وينظر: نهج البلاغة، ج٣، ص٥٧٤.

(١٢٩) نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٥٧٦-٥٧٧.

(١٣٠) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٨٣.

(١٣١) الزكاة: المال اللازم إنفاقه في مصارفه الثمانية على وفق شروط مخصوصة، وهي حق معلوم من المال، مقدر بقدر معلوم يجب على المسلم بشروط مخصوصة، في أشياء مخصوصة هي: الأموال الزكوية، وزكاة الفطر. فهي في الشرع الإسلامي نوع من العبادات بمعنى: إنفاق المال على جهة الفرض، حيث تعد أحد أركان الإسلام الخمسة، وتطلق الصدقة على الإنفاق المفروض وغيره، ينظر: الزكاة، مقال منشور في ويكيبيديا على الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki/تاريخ الزيارة ١٧ / ٤ / ٢٠٢٢م.

(١٣٢) نهج البلاغة، ج٢، ص٤٣١.

(١٣٣) الصدقة: وهي العطية للمحتاج على وجه التقرب إلى الخالق والمعبود، ينظر المؤمنون إليها بإعجاب، ولاسيما عندما تمارس بشكل سري من قبل الغرباء «الذين يخافون الله»، وللصدقة أثر كبير على كيان المجتمع؛ إذ تعمل على بث روح التعاون والمؤاخاة بين أفراد المجتمع وتزيل الحسد بين الناس. والصَدقات أنواع كثيرة منها المال والعقار والثياب والطعام أو بناء المساجد التي تعدّ صدقة جارية ينظر: الصدقة، مقال منشور في ويكيبيديا على الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الزيارة ١٧/ ٤/ ٢٠٢٢م.

(١٣٤) نهج البلاغة، ج٣، ص٥١٢-٥١٤.

(١٣٥) نهج البلاغة، ج٣، ص٥١٥.

(١٣٦) الخراج : وهو قدر معين من المال أو الحاصلات الزراعية يفرض على الأرض، وهي نوعان من الأرض؛ التي فتحت عنوة وتكون ملكاً عاماً للمسلمين ويعود دخلها لينفق على أمور الدولة، أو فتحت صلحاً ويترك عليها أصحابها مقابل قدر من المال أو الحاصلات الزراعية تدفع عنها، ينظر: حسن، حسن علي و محمد، التوم الطالب، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية (ط١، منشورات مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٦م)، ص٢٠٠-٢٠١.

(١٣٧) نهج البلاغة، ج٣، ص٥٨٣-٥٨٥.

(١٣٨) بل إنهم كانوا يؤكدون على استخدام أسلوب التعزير والعقوبة في حال الامتناع عن دفع المستحقات، ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٥٤-١٥٥؛ أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ص١٢٩-١٣١.

(١٣٩) ينظر: حسن علي حسن وآخر، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص١٩٥-٢٤٢؛ الناطور، شحادة وآخرون، النظم الإسلامية التشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية (دار الأمل، الأردن، ٢٠١٠م)، ص١٤٣-١٦٠.

(١٤٠) ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن ت٨٠٨هـ، مقدمة ابن خلدون الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م)ج١، ص٤٦-١٠٩، ص٣٥٣-٣٥٧.

(١٤١) ينظر: محمد، جاسم محمد، فلسفة العمران عند ابن خلدون (مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد١٧، العدد٥، ايار ٢٠١٠م)، ص٣٣-٥٤؛ بخته، بن فرج الله، إسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية (مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، العدد٢١، ٢٠١٧م)،

ص٧-٢٥؛ زين العابدين، سهيلة، نظرية العمران عند ابن خلدون، مقال منشور في موقع قصة الإسلام، بتاريخ ٢١/ ٣/ ٢٠١٣م، وعلى الرابط https:// /23775/www.islamstory.com/ar/artical، تاريخ الزيارة ١٧/ ٨/ ٢٠٢١م؛ العشري، رشا، تطور الدولة عند ابن خلدون، مقال منشور في موقع كتابات، بتاريخ ٣٠/ تموز/ ٢٠١٧م، وعلى الرابط https:// /159927/kitabat.com/cultural، تاريخ الزيارة في ١٧/ ٨/ ٢٠٢١م.

(١٤٢) نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٥٨٥-٥٨٦.

(١٤٣) سورة آل عمران: آية ١٩.

(١٤٤) سورة آل عمران: آية ٨٥.

(١٤٥) سورة المائدة: آية ٣.

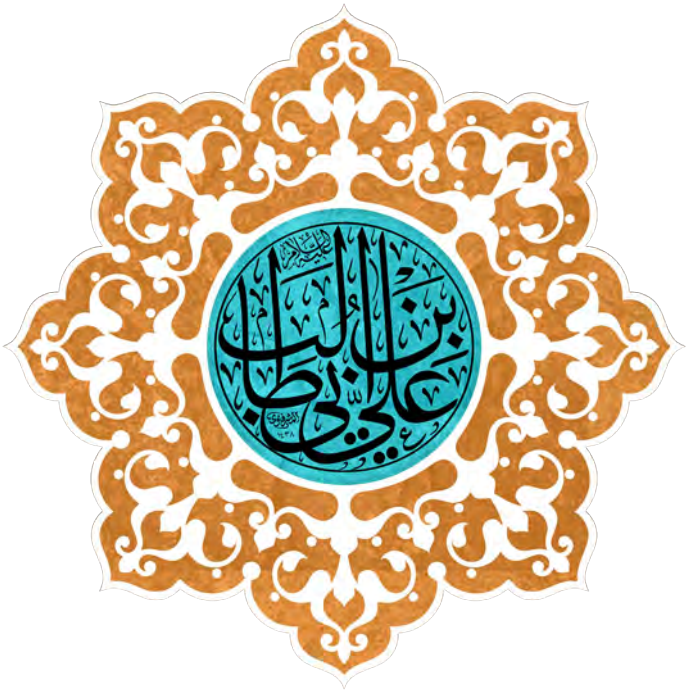

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

• المصادر.

١. الإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح ت٦٩٣هـ: كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط١ دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٦م).

٢. ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار ت١٥١هـ، سيرة ابن إسحاق (تحقيق: سهيل زكار، بيروت، ١٩٧٨م).

٣. ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي ت ٦٠٠هـ: خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) (ط١، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد القومي، إيران، ١٩٨٥م).

٤. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ: جمل من أنساب الأشراف (تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م).

٥. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر ت٤٢٩هـ: الفرق بين الفرق (تحقيق: محمد عثمان، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت).

٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م).

٧. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد ت٣٩٣هـ: تاج اللغة وصحاح العربية المعروف بالصحاح (تحقيق : أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م).

٨. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد ت٤٥٦هـ: الفصل في الملل (تحقيق: محمد إبراهيم نصر الله، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م).

٩. ابن حنبل، أحمد ت ٢٤١هـ: فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (تحقيق: حسن حميد السيد، مطبعة ليلى، ايران، ٢٠٠٤م).

١٠. ابن خلدون، عبد الرحمن ت٨٠٨هـ، مقدمة ابن خلدون الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تحقيق: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م).

١١. الرازي، محمد بن أبي بن عبد

القادر ت٦٦٦هـ: مختار الصحاح، (ط١، منشورات دار الفكر، عمان، ٢٠٠٧م).
١٢. ابن زكريا، أحمد بن فارس ت٣٩٥هـ: معجم مقاييس اللغة (تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت، ١٩٧٩م).
١٣. الزمخشري، محمود بن عمر بن ت٥٣٨هـ: أساس البلاغة (تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م).
١٤. ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي ت٤٥٨هـ: المحكم والمحيط الأعظم، (تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م).
١٥. ابن شهر آشوب، محمد بن علي ت٥٨٨هـ: مناقب آل أبي طالب (ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠٠٩م).
١٦. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم ت٥٤٨هـ: الملل والنحل (تحقيق: أحمد فهمي،ط٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م).
١٧. ابن طاوس، علي بن موسى : التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (ط١، مطبعة نشاط، إيران، ١٤١٦هـ).
١٨. الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب ت ق٦هـ: الاحتجاج (ط١، دار الدين القيم، بيروت، د.ت).
١٩. الطبرسي، الفضل بن الحسن ت٥٤٨هـ: مجمع البيان في تفسير القرآن(منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، د.ت).
٢٠. الطبري، محمد بن جرير ت٣١٠هـ: تاريخ الأمم والملوك (ط١، الأميرة للطباعة، بيروت، ٢٠١٠م).
٢١. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن ت٤٦٠هـ: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد (ط١، مطبعة الخيام، طهران، ١٩٨٠م) .
٢٢. ابن عبد البر، عمر بن يوسف القرطبي ت٤٦٣هـ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٦م).
٢٣. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي ت ٧٢٦هـ: المستجاد من كتاب الإرشاد، (ط١، مطبعة باسدار سلام، إيران،١٩٩٦م).
٢٤. علي بن ابي طالب (عليه السلام)

ت٤٠هـ: نهج البلاغة (جمع: الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، تخريج: حسين الأعلمي، ط٢، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١م).
٢٥. ابن الفراء، محمد بن الحسين ت٤٥٨هـ، الأحكام السلطانية (صححه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م).
٢٦. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ت٨١٧هـ: القاموس المحيط (تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م) .
٢٧. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ: الإمامة والسياسة (تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٠م).
٢٨. القلقشندي، أحمد بن علي ت ٨٢١هـ: صبح الاعشى (ط١، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١٤م).
٢٩. القمي، علي بن إبراهيم ت٣٢٩هـ: تفسير القمي (ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠١٤م).
٣٠. الماوردي، علي بن محمد ت٤٥٠هـ، الأحكام السلطانية (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).
٣١. المحلي، جلال الدين ت٨٦٤هـ والسيوطي، جلال الدين ت٩١١هـ: تفسير الجلالين الميسر (تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، القاهرة، ٢٠٠٣م).
٣٢. المسعودي، علي بن الحسين بن علي ت٣٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر(تحقيق: أمير مهنا، ط١، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٠م).
٣٣. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ت ٤١٣هـ: الإرشاد (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨م).
٣٤. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي المصري ت٧١١هـ: معجم لسان العرب، (ط١، منشورات دار صادر، بيروت، د.ت).
٣٥. النقوي، محمد تقي: ضياء الفرقان في تفسير القرآن (ط١، مطبعة كوهر، طهران، ١٤٣٦هـ).
٣٦. النوبختي، الحسن بن موسى: فرق الشيعة (تحقيق: عبد المنعم الحنفي،ط١، دار الرشاد، القاهرة،١٩٩٢م).

٣٧. ابن هشام، عبد الملك بن هشام المصري ت٢١٨هـ: السيرة النبوية (صححه واعتنى به: ناجي إبراهيم سويد، شركة الأرقم، بيروت، د. ت).

٣٨. الهلالي، سليم بن قيس ت ٧٦هـ: كتاب سليم الهلالي (تحقيق: محمد باقر الأنصاري، ط٢، دار الحوراء، بيروت ٢٠٠٩م).

٣٩. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر البغدادي ت٢٩٢هـ:تاريخ اليعقوبي (تعليق: خليل المنصور، ط١، منشورات دار الزهراء، ايران، ١٤٣٩هـ).

المراجع:

٤٠. الأنطاكي، محمد : المنهاج في القواعد والإعراب (ط٥، قم المقدسة، د.ت).

٤١. التهانوي، محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (تحقيق: علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م).

٤٢. الجابري، عبد الستار، المنهج السياسي لأهل البيت (دار الكفيل، كربلاء المقدسة، ٢٠١٥م).

٤٣. الحاج عمر، عز الدين: مفاهيم فكرية بين الرؤية والمنظور (ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م).

٤٤. حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام (ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠١٠م).

٤٥. حسن علي حسن والتوم الطالب محمد، تاريخ الحضارة العربية والإسلامية (ط١، منشورات مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٦م).

٤٦. الزبيدي، قيصر عبد الكريم جاسم، التأسيس الفكري للتعامل مع السلطان الجائر عند أئمة أهل البيت دراسة تاريخية (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة البصرة، ٢٠١٩م).

٤٧. الزبيدي، قيصر عبد الكريم جاسم، المعارضة العلوية في العصرين الراشدي والأموي في الروايات التاريخية لعلماء الحلة (مطبعة دار الصادق، بابل، العراق، ٢٠١٠م).

٤٨. سليمان، حسن سيد، أثر القرآن الكريم على الفكر السياسي الإسلامي (المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية، جامعة إفريقيا

العالمية، الخرطوم- السودان، ٢٠١١م).
٤٩. صادق، جهاد تقي: الفكر السياسي العربي الإسلامي دراسة في أبرز الاتجاهات الفكرية (ط١، منشورات جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، بغداد، ١٩٩٣م).
٥٠. الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن (ط١، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة، د.ت).
٥١. كمال مصطفى شاكر، مختصر تفسير الميزان، (ط٣، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٦م).
٥٢. مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط (ط٤، منشورات دار التعارف للمطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٤م).
٥٣. مكيافيللي، نيقولو: الأمير (ترجمة وتقديم: احمد لطفي، ط١، الدار العالمية للنشر، مصر، ٢٠١١م).
٥٤. الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م).
٥٥. الناطور، شحادة وآخرون، النظم الاسلامية التشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية(دار الأمل، الأردن، ٢٠١٠م).

الأبحاث والمقالات

٥٦. الإسلام في القرآن لا تصح ترجمتها على معنى الإسلام الخاص (موقع إسلام ويب، على الرابط.https://www islamweb.net/ar/fatwa/310234 تاريخ النشر ١٣/ ١٠/ ٢٠١٥م، تاريخ الزيارة ١٤/ ٣/ ٢٠٢٢م.
٥٧. بختة، بن فرج الله ، إسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية (مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، العدد٢١، ٢٠١٧م).
٥٨. الزكاة، مقال منشور في ويكيبيديا على الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki/تاريخ الزيارة ١٧ / ٤/ ٢٠٢٢م.
٥٩. زين العابدين، سهيلة، نظرية العمران عند ابن خلدون، مقال منشور في موقع قصة الإسلام، بتاريخ ٢١/ ٣/ ٢٠١٣م، وعلى الرابط .https://www.islamstory /23775/com/ar/artical ، تاريخ الزيارة ١٧/ ٨/ ٢٠٢١م.
٦٠. الصدقة، مقال منشور في ويكيبيديا

على الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الزيارة ١٧/ ٤/ ٢٠٢٢م.

٦١. عبد السلام، محمد أحمد: السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة (ملتقى الباحثين العرب، على الرابط https:// arabprf.com/?p=1755 تاريخ النشر ١٣/ مارس/ ٢٠٢٢م، تاريخ الزيارة ١٣/ ٣/ ٢٠٢٢م.

٦٢. العشري، رشا، تطور الدولة عند ابن خلدون، مقال منشور في موقع كتابات، بتاريخ ٣٠/ تموز/ ٢٠١٧م، وعلى الرابط https://kitabat.com/cultural/159927/، تاريخ الزيارة في ١٧/ ٨/ ٢٠٢١م.

٦٣. الفكر السياسي الإسلامي، ويكيبيديا، على الرابط https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الزيارة ١٤/ ٣/ ٢٠٢٢م.

٦٤. محمد، جاسم محمد، فلسفة العمران عند ابن خلدون (مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد١٧، العدد٥، ايار ٢٠١٠م).

٦٥. معارض، مقال منشور في الويكيبيديا على الرابط ar.m.wikipedia.org تاريخ الزيارة ١٤/ ٧/ ٢٠٢١م.

٦٦. نعمان، ساجد صبري: مفهوم العلم في الفكر الإسلامي (مجلة الأستاذ، بغداد، ٢٠١٤م).

INAHJ.ORG

قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام): نحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص٢١١

السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة

قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام):

يا أبا الحسن، إني لأستحي من إلهي أن أكلف نفسك ما لا تقدر عليه.

المصدر: الأمالي الطوسي ج٢ ص٢٢٨

INAHJ.ORG

البنية التركيبية البلاغية وتوجيهها للمعنى
خطبة البيان مثالًا

الباحث: م. خالد عبد النبي عيدان الأسدي
جامعة كربلاء- كلية العلوم الإسلامية

The Rhetorical Compositional Structure
and Its Meaning Direction
Al-Bayan Sermon as an example

by Khaled Abdul Nabi al-Asadi
Kerbala University - College of Islamic Sciences

ملخص البحث

نهج البلاغة ومنهل البراعة ومنتهى الصياغة؛ كتابٌ ملأ الدنيا وشغل الناسَ ببلاغته وأسلوبه، بخطبه وحكمه، بغزارة علمه، ومكنوناته التي تتجدد كلَّما تقادمت الأيام وأبرزت العلومُ جديدها، يجد الباحثون ضالتهم فيه بعد كتاب الله تعالى، وقد وقع اختيار البحث على جوهرة ثمينة ألا وهي (خطبة البيان) المباركة، وقدم البحث دراسة الخبر وأغراضه التي خرج إليها في الخطبة المباركة. ومن ثم الإنشاء وتقسيماته وتطبيقاته. وتلاه التقديم والتأخير وأثرهما في توجيه المعنى في الخطبة، وختم بأسلوب القصر وكيفية استعماله في الخطبة.

الكلمات المفتاحية: البنية التركيبية، البيان، المعنى، الأغراض.

Abstract

Nahjul-Balagha is a book full of rhetoric, style, speeches, wisdoms, Knowledge and potentialites which renewed with each passing day. The researchers and find what they are looking for in it, after the Holy Qur'an. The researcher has chosen Al-Bayan Sermon.

Keywords:

The Compositional Structure, Al-Bayan, Meaning, Purposes.

المقدمة

الحمدُ لله الذي توحد بالعز والبقاء وقهر عبادهِ بالموت والفناء وصلى الله على محمد وآله الأتقياء، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأمر الناس بإطاعتهم ومودتهم، ومن تخلف عنهم هلك.

أما بعد...

فالدراسات في أسفار أمير المؤمنين كثيرة جداً وما زالت وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأنها (رسائل وخطب أمير المؤمنين) غضةٌ طريةٌ تؤتي أُكلها كل حين، وهي كالشجرة المثمرة ما إن يعمد إليها الباحثون يجدون قطوفها دانية وأغصانها وارفة فيستقي منها ما يريد، وقد ولجنا إلى هذا البحر الزخار لننهل منه ما أمكننا على قدر طاقتنا وما تستطيع حمله عقولنا فانتقينا جوهرةً لا صفة من بين جواهر ولآلئ أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي خطبة البيان المباركة، فكان للبحث روافد رفدته بالمعلومات، ومن أبرزها دلائل الإعجاز للجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، ومباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن، وجاءت خطة البحث مختصرة كي لا يكون هنالك إطناب في المباحث؛ لأن الخطبة طويلة جداً. ففي المبحث الأول: درسنا فيه الخبر وأغراضه التي خرج إليها في الخطبة المباركة. والمبحث الثاني: درسنا فيه الإنشاء وتقسيماته وتطبيقاته. والمبحث الثالث: درسنا فيه التقديم والتأخير وأثرهما في توجيه المعنى في الخطبة، وجاء المبحث الرابع لدراسة أسلوب القصر وكيفية استعماله في الخطبة.

المبحث الأول

الخبر حدُّه وأضرابه وأغراضه البلاغية وتطبيقاته في خطبة البيان

الخبر في اللغة:

الخاء، والباء، والراء تعني: العلم بالشيء[1]، ((فالخبيرُ في صفاته [تعالى] بمعنى العالم ببواطن الأمور وظواهرها، وبما كان منها، وما يكون، والخبر: النبأ، وهو الكلام الذي يُفيد به المتكلم السامع واقعةً من الواقعات))[2].

الخبر في الاصطلاح:

تحدث العلماء كثيراً في الخبر وأشبعوه تفصيلاً[3]، وربّما يكون المبرد (ت ٢٨٥هـ) من أوائل الذين عرفوا الخبر على أنَّه ((ما جاز على قائله التصديق والتكذيب)) [4]، لذا فإن الخبر لا يُقطع بصحته، لكن هذا التعريف لا ينطبق على القرآن الكريم؛ لأنه ﴿**لا يأتيه الباطلُ مِن بَينِ يَديهِ ولا مِن خَلفِهِ**﴾ (فصلت ٤٢)، ولا على قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ولا على كلام أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأن الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والكذب من الرجس، فكلامهم صدق ولا يحتمل غير ذلك والمراد بالصدق هو ما طابق الواقع، والكذب ما خالفه[5]، وقد ذكر الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) غرضين للخبر في قوله: ((من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره، إفادة المخاطب أمّا نفس الحكم كقولك: (زيد قائم) لمن لا يعلم أنّه قائم، ويسمى هذا فائدة الخبر، وأمّا كون المخبر عالماً بالحكم، كقولك لمن زيد عنده، ولا يعلم أنك تعلم ذلك (زيد عندك) ويسمى هذا لازم فائدة الخبر)) [6]، ((فضلاً عن ذلك فقد ذكر البلاغيون أنّ الخبر غالباً ما يتجاوز حدود الفائدة ولازمها إلى

أغراض مجازية أخرى منها: إظهار الضعف، التوبيخ، الأمر، النهي، الدعاء، التحسر، المدح، الفخر، وغيرها كثير تفهم من سياق الحال وقرائن الأحوال)) [٧]، وهذا ما سنراه في أقسامه إن شاء الله.

الخبر في القرآن الكريم:

الدارسون لكتاب الله الكريم من قدماء ومحدثين، يتهيبون من إقحام بعض المفاهيم البلاغية في دراسة القرآن الكريم، ومن هذه المفاهيم (الخبر). والتأمل فيما جاء في كتب البلاغة والتفسير يخلص إلى أن الخبر في القرآن الكريم سواء كان من عند الله ابتداء أو ما حكاه عن الخلق لا يخرج على منهج الصدق، فما كان معجزا لا يطاله الكذب[٨]، فللخبر في القرآن الكريم مستويات لا بد من مراعاتها؛ لأنه الدستور الأبدي الذي جعله الله حيًّا ما قامت السماوات والأرض؛ إذ قال فيه تعالى: ﴿**لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون**﴾ (الأنبياء: ١٠) ويستلزم من هذه الآية عدم دخول الكذب في إخباره. وقد أشار السيد المدرسي إلى خبر القرآن الذي لا يحتمل الكذب في تفسيره لقوله تعالى: ((لا ريب فيه)) (البقرة: ٢) قال: ((ولا يرقى إليه الشك. حقيقي لأنه غير متناقض في ذاته ولا مع الإنسان، ولا بالنسبة إلى هدى العقل)) [٩]، فهو حقٌّ في ذاته، وللناس أجمعين. فمفهوم الخبر في اللغة يختلف عن مفهومه في القرآن الكريم وكذلك ما صحَّ عن الرسول الأكرم وأهل البيت «عليهم السلام»، فلا يحتمل الكذب.

أضراب الخبر:

إن إلقاء الخبر يكون على أضرب ثلاثة:

١. الخبر الابتدائي: وفيه يلقى الخبر لمن هو خالي الذهن، فلا تحتاج

الجملة الخبرية إلى مؤكدات.

٢.الخبر الطلبي: ويلقى للمتحير، فيحتاج إلى تقوية بحرف كالام.

٣.الخبر الإنكاري: ويلقى إلى الحاكم بخلافهِ، فيحتاج إلى أكثر من مؤكد بحسب الإنكار[١٠].

لقد أشار البيضاوي إلى الخبر الإنكاري في أثناء تفسيرهِ لقولهِ تعالى: ﴿قَالُوْا رَبُّنا يَعلمُ إنا إلَيكُم لَمُرسَلونْ﴾ (يس: ١٦) قال: ((استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لأنه جواب عن إنكارهم))[١١]، واضح من إشارة البيضاوي للخبر الإنكاري أنه عرف أضرب الخبر، فمتى كان الخبر جواباً عن إنكار احتاج إلى أكثر من مؤكد، كما في الآية، ففضلاً عن التوكيد بأن، والتقديم، أتى بالقسم واللام المؤكدة.

أغراض الخبر:

١- فائدة الخبر: وفيه تتم إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنتهُ الجملة[١٢]. نجدهُ في تفسير البيضاوي لقولهِ تعالى: ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفرقانَ على عبْدهِ لِيكونَ لِلعَالِمينَ نَذيراً * الذي لَهُ مُلكُ السَّمواتِ وَالأرضِ وَلَمْ يَتخذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شريكٌ في المُلكِ وَخَلَقَ كُلَّ شيءٍ فَقَدَرَهُ تقديراً﴾ (الفرقان: ١-٢).فذكر أن هذا الخبر لم يكن معلوماً ولكن اجري مجرى المعلوم لقوة دليله وفيه إثبات الملك مطلقاً لله ونفي ما يقوم مقامه، وأخبر عن إحداث الأشياء إحداثاً مقدراً بحسب الإرادة الالهية قال في قولهِ ((ليكونَ للعالمينَ نذيراً)): ((هذهِ الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة))[١٣]. وفي قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شريكٌ في المُلكِ﴾ قال المفسر: ((أثبت له الملك مطلقاً ونفي ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نسبه على ما

يدل عليه فقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أحدثهُ إحداثاً مراعي فيه التقدير... ((فقدرهُ تقديراً)) فقدرهُ وهيأهُ لما أراد منه من الخصائص والأفعال...»[١٤] فالغرض في هذا الخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة وهو إثبات الملك لله مطلقاً.

٢. لازم الفائدة: وهو الخبر الذي لا يخبر المخاطب بجديد وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالحكم[١٥]. تحدث عنه البيضاوي في إثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَتَعلمونَ ما يضُرُهمْ ولا ينفَعُهُمْ وَلقد عَلِمُوا لَمَنْ اشتراهُ ما لهُ في الآخرةِ من خَلاف وَلبئسَ ما شروا بهِ أنفُسَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونْ﴾ (البقرة ١٠٢) فما أثبتهُ لهم أولاً بالتوكيد بالقسم هو العقل الغريزي والعلم الإجمالي بقبح فعلهم واستحقاق العذاب، لكن من غير تحقيق وهو قوله ((ولقد علموا)) فليس فيه إخبار بجديد وإنما إظهار علم المتكلم بالحكم[١٦].

الأغراض التي يخرج اليها الخبر:

شغلت الأغراض التي يخرج إليها الخبر البلاغيين كثيراً لأنها من الأمور الشائكة بين الأسلوب الأصلي والمجازي الذي يُعرف من خلال السياق، وهذه الأغراض التي نبه عليها البلاغيون هي أغراض مجازية، أي أن ظاهرها شيء والمراد شيء آخر[١٧]، إذ ((يُلقى الخبر على خلاف الأصل لأغراض أخرى تُستفاد من سياق الكلام))[١٨]. ومن هذه الأغراض التي يخرج إليها الخبر:

١. الإقرار: من الأغراض التي يخرج إليها الخبر مجازياً هو غرض الإقرار، أي يراد من إلقاء الخبر هو لإقرار الآخر، ومن هذا الغرض جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «الحمد لله بديع السماوات

وفاطرها...»[١٩] وقوله هذا (عليه السلام) أراد منه إقرار الذين خصهم بهذا القول ولا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه صادر من إمام معصوم.

٢. الافتخار: من الأغراض التي يخرج إليها الخبر مجازياً هو غرض الافتخار، ومن هذا الغرض جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**أنا حجة الله على الإنس والجان...**»[٢٠] وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه الافتخار بالذين خصهم بهذا القول ولا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه صادر من إمام معصوم.

٣. التوبيخ: من الأغراض التي يخرج إليها الخبر مجازياً هو غرض التوبيخ، أي يراد من إلقاء الخبر توبيخ الآخر، ومن هذا الغرض جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**وقلوبهم قلوب الشياطين...**»[٢١] وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه توبيخ الذين خصهم بهذا القول ولا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه صادر من إمام معصوم.

٤. التقريع: ومن الأغراض التي يخرج إليها الخبر مجازياً غرض التقريع، ومن هذا الغرض جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**الويل للديلم...**»[٢٢] وقال (عليه السلام): «**أرسله إلى أمةٍ قد شغل بعبادةِ الأوثان سايرها...**»[٢٣] وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه تقريع الذين خصهم بهذا القول ولا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه صادر من إمام معصوم.

٥. البيان والافتخار: من الأغراض التي يخرج إليها الخبر مجازياً هو غرض البيان، ومنه ما جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**وأني لا أعرف وقعات عظام بواسط...**»[٢٤]، وكذلك قوله (عليه السلام): «**أنا صاحب البينات...**»[٢٥]، وقوله

(عليه السلام) هذا أراد منه بيان العلمية ولا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه صادر من إمام معصوم.

٦. الإيضاح: من الأغراض التي يخرج إليها الخبر مجازياً هو غرض الإيضاح، ومن هذا الغرض ما جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**علامة خروجه ثلاث رايات من العرب...**»[٢٦]، وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه الإيضاح للذين خصهم بهذا القول ولا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه صادر من إمام معصوم.

المبحث الثاني

الإنشاء: أقسامه، تطبيقاته، خروجه عن مقتضى الظاهر

الإنشاء في اللغة:

هو الابتداء أو الخلق والابتداع، وأنشأ الله الخلق: ابتدأ خلقهم[٢٧].

الإنشاء في الاصطلاح:

هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاتهِ وليس لمدلول لفظهِ واقع خارجي يطابقهُ أو لا يطابقهُ[٢٨]. وقد قسمه البلاغيون على قسمين[٢٩]: ((القسم الأول؛ وَسَمُوهُ بـ [الإنشاء الطلبي]، وهذا النوع من الإنشاء يُعرف بأساليب أو صيغ متعددة، فيشمل: الاستفهام، الأمر، النهي، النداء، والتمني. والقسم الثاني؛ وَسَمُوهُ بـ [الإنشاء غير الطلبي]، وهذا القسم أيضاً لهُ أساليب أو صيغ يُعرف بها، مثل: المدح، الذم، التعجب، الرجاء، القسم، وصيغ العقود[٣٠]. والقسم الثاني لم يوله البلاغيون عناية كالقسم الأول، وجاء عدم العناية به من سببين:

الأول: إنَّ هذهِ الصيغ هي في الأصل أخبار ونُقلت إلى معنى الإنشاء.

الثاني: استعمالها مقتصراً على معانيها الأصلية التي وضعت لها[٣١].

لـذا ((لم يحـظ بمثـل مـا حظـي بـه القسـم الأول من الاهتـمام، ولهـذا تقـل المباحـث البلاغيـة فيـه)) [٣٢]. ومـن الباحثين من جعل للجملة الإنشائية زمنـا يقـترن بهـا يُعـرف عـن طريـق السـياق، منـهُ مـا يـدلُّ عـلى المـضي، ومنـه مـا يـدلُّ عـلى الحـال، ومنـه مـا يـدلُّ عـلى الاسـتقبال، ومنـه مـا يـدل عـلى الزمـن المطلـق[٣٣]، فبذلـك يكـون السـياق لـه حاكميـة عـلى إيـراد المعنـى مـن خـلال القرائـن الـواردة فيـه.

أسـاليب الإنشـاء الطلبـي: قسـم أصحـاب البلاغـة والمعنيُّـون بهـا الإنشـاء الطلبـي إلى أسـاليب متعـددة، ولـكل أسـلوب تفصيلاتـه وخروجـه لمعـاني بلاغيـة لسرٍّ تعبيري، ومـن هـذه الأسـاليب[٣٤]:

أولاً- أسلوب الاستفهام:

في اللغـة: مأخـوذ مـن فَهِـم الـشيء فهـماً أي علمـه، ومنـه يُقـال: فـلانٌ اسـتَفْهَمَني عـن كـذا، أي طلـب الفهـم منـي[٣٥]، والسـؤال والاسـتفهام واحـد[٣٦]؛ لأن كليهـما يسـتدعي مطلوبـاً لغـرض الفهـم.

أمـا في الاصطـلاح: فهـو ((مـن أنـواع الإنشـاء الطلبـي، والأصـل فيـه طلـب الإفهـام والاستفسـار لمعرفـة شيء مجهـول)) [٣٧]، وقـد يكـون حكـماً في شيء أو لا يكـون حكـماً لـهُ، وينقسـم عـلى قسـمين: اسـتفهام تصـوري، واسـتفهام تصديقـي[٣٨]، وقـد أشـار سـيبويه (ت١٧٩هـ) إلى أسـلوب الاسـتفهام في كتابـه تحـت عنـوان سـماهُ «بـاب الاسـتفهام»، وقـد أشـار فيـه إلى الأدوات الاسـتفهامية وخـروج الاسـتفهام عن مقتـضى الظاهر وضرب كثـيراً مـن الأمثلـة لـه[٣٩]، وقـد ذكـره أبـو زكريـا الفـراء (ت٢٠٧هـ) أيضـاً، وأبـو عبيـدة (ت٢١٠هـ)، والأخفـش (ت٢١٥هـ)[٤٠]، فهـو مصطلـح قديـم يـراد بـه طلب الفهـم من خـلال أدواته، وهـو المنبـع والمنهـل الـذي ارتـوى منـه

أهل البلاغة وأهل التفسير وأهل النحو على مر العصور.

أدوات الاستفهام:

قسم البلاغيون أدوات الاستفهام على قسمين[٤١]:

١ـ حروف الاستفهام: وهي [هل، والهمزة]، تُستعمل [هل] للاستفهام التصديقي ويعني: إدراك النسبة، أي الإسناد، نحو: هلْ نجَحَ عليٌّ؟ فالمتكلم يجهل حصول النجاح لعلي، ولذلك يريد معرفة نسبته إليه، وتستعمل [الهمزة] للتصور والتصديق، والتصور يعني: إدراك المفرد، نحو: أزيدٌ مسافرٌ أم محمد ؟ فالسائل لا يريد النسبة بل يريد التعيين أيهما مسافر. وهما [هل، والهمزة] حرفان لا محل لهما من الأعراب.

٢ـ أسماء الاستفهام: وهي [ما، مَنْ، متى، أينَ، كيف، كم، أيُّ، أيان، أنَّى][٤٢]، وهذه الأسماء تُعرب حسب موقعها من الجملة.

أنواع الاستفهام:

للاستفهام نوعان:

أ ـ استفهام حقيقي/ ويعني به الاستفهام الذي يراد منهُ المعرفة الحقيقية.

ب ـ الاستفهام المجازي/ يخرج هذا الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى أغراض أخرى كالتقرير والإنكار[٤٣] وغيرها، ويعده البلاغيون استفهاما بلاغياً، وهذا ما يعنينا في البحث البلاغي؛ لأنه -كما يؤكد عليه البلاغيون- هو الأسلوب البليغ، فهو من يدخل في دائرة البحث.

الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام عن حقيقته:

١ـ الاستبطاء: ((هو أحد الأغراض التي يخرج إليه الاستفهام عن حقيقته ويراد به تعجيل أمر استُبطئ مجيئه))[٤٤]، ومن هذا الغرض جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام):

«متى يقوم هذا القائم من ولدك يا أمير المؤمنين...»[٤٥].

٢ـ التعجب: من الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام مجازياً هو غرض التعجب، أي يراد من إلقاء الاستفهام هو التعجب، ومن هذا الغرض جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**أأنت حاضرُ ما ذكرت وعالمٌ ما أخبرت ؟**»[٤٦].

٣ـ التنكيل: من الأساليب أو الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام عن حقيقته هو غرض التنكيل، ومنه ما جاء في قوله (عليه السلام): «**أبمثلي يستهزأ المستهزئون أم علي يتعرض المتعرضون أو يليق لمثلي أن يتكلم بما لا يعلم ويدعي ما ليس له بحق**»[٤٧]. وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه تنكيل الذين خصهم بهذا القول.

٤ـ الإنكار: من الأساليب أو الأغراض المجازية التي يخرج إليها الاستفهام عن حقيقته هو غرض الإنكار، ومن هذا الغرض جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**كيف يحتال على المسلمين...**»[٤٨].

٥ـ البيان: من الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام عن حقيقته هو غرض البيان، ومن هذا الغرض جاء في الخطبة الشريفة قوله (عليه السلام): «**وكم وقعة فيها من الإعراب فتنقطع منهم الأسباب...**»[٤٩]، فقد ورد غرض البيان هنا لبيان السببية، وكذلك قوله (عليه السلام): «**فكم من باكٍ وباكية ؟...**»[٥٠]، فقد ورد غرض البيان هنا لبيان الكثرة.

٦ـ النفي: من أمثلة خروج الاستفهام المجازية هو خروجه إلى النفي، ومن هذا الغرض جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**من أين يخرج هذا الأصفر...**».

٧ـ التخيير: من الأغراض التي

يخرج إليها الاستفهام عن حقيقته هو غرض التخيير، أي يراد من إلقاء الاستفهام هو التخيير، ومن هذا الغرض ما جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «رضوه أم أكرهوه؟...».

ثانيا- أسلوب الأمر:

في اللغة: الأمر على وجهين، وجهٌ: هو ما كان جمعهُ أوامر، والوجه الآخر: هو استدعاء الفعل من الأعلى إلى الأدنى[٥١]، وهو نقيض النهي، من أمره يأمره: إلقاء القول لغرض الحصول على الفعل[٥٢].

في الاصطلاح: ذكرهُ البلاغيون القدماء وقالوا: هو طلب حدوث شيء لم يكن حاصلاً وقت الطلب على سبيل التكليف والإلزام من جهة عليا آمرة، إلى جهة دنيا مأمورة، وقد يخرج عن هذا الأصل فيُفيد معاني كثيرة، يُرشد إليها السياق وقرائن الأحوال[٥٣]، وخروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معانٍ متعددة مجازية كان لابدَّ من أن يخرِّجوها مخارج متنوعة، حسب السياق التي ترد فيه، ولو اكتفوا بالجزء الأول من التعريف لما احتيجَ لهذا الخروج، إذ لو كان التعريف هو: طلب حصول الفعل، لكان الأمر أمراً بمعنى الطلب فقط. وقد ذكر ذلك أبو حيان (ت٧٤٥هـ) رغم أن أبا حيان لم يلتزم بتعريفه للأمر، فقد تابع البلاغيين في الأغراض المجازية، فيقول: الأمر ((طلب إيجاد الفعل))[٥٤]، وهذا التعريف جامعٌ مانعٌ.

وذكر الأمر عند النحويين أكثر منه عند البلاغيين، فنجده عند سيبويه (ت١٧٩هـ) بجميع مفاصله، إذ يذكر الأمر الحقيقي، والأمر المجازي، وأغراضه المختلفة تحت باب سماه ((باب الأمر والنهي))[٥٥]، ففي قوله: ((كُلْ خبزاً أو تمراً، أي لا تجمعهما))[٥٦]، فقد تنبه إلى أن

الفعل [كُلْ] أفاد معنى التخيير: وهو أحد الأغراض المجازية التي يخرج إليها الأمر، وفي مواضع أخرى ذكر أن أفعالاً خرجت عن الأمر الحقيقي إلى أغراض أخرى مثل الإباحة والتسوية[٥٧]. وذكر أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) الأمر وبعض أغراضه المجازية[٥٨]، فيرى أنه يخرج عن صيغته الحقيقية وهي طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء، واستشهد في قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الروم٣٤) يرى إنه: ((مجاز التوعد والتهدد وليس بأمر طاعةٍ وفريضة)) [٥٩]، وهو بهذا أشار إلى خروج الأمر إلى صيغة أخرى وهي الوعيد والتهديد.

ونجد الأخفش (الأوسط) (ت٢١٥هـ) أيضاً قد تنبه لهذه الأغراض التي يخرج إليها الأمر، ففي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ٣١)، ويرى الأخفش (الأوسط): ((كما يقول الرجل للرجل: أنبئني بهذا إن كنت تعلم وهو يعلم إنه لا يعلم يريد أنه جاهل..... ونحن نعلم أنه لا علم لنا بالغيب إخبار عن أنفسهم بنحو ما خبر الله عنهم)) [٦٠]، فالأمر خرج إلى التعجيز والإخبار عنده في هذه الآية.

وكذلك عند الفرَّاء (ت٢٠٧ هـ) من قبل، المعاني ذاتها[٦١]، وعند السكاكي (ت٦٢٦هـ)، والقزويني (ت٧٣٩هـ) [٦٢]، وغيرهم، لكن أصحاب النحو أولوا الأمر عناية كبيرة أكثر من أهل البلاغة، لأن الأمر أقرب إلى النحو من البلاغة.

واختلف الأصوليون في كيفيته - أي الأمر -، وملخص أقوالهم إن منشأ ظهور الأمر في الوجوب هو إما كونه بحكم الوضع أي: أن صيغة الأمر

موضوعة للوجوب، والدليل على ذلك هو المبادرة، بشهادة أن الأمر العرفي إذا أمر المكلف بصيغة الأمر ولم يأتِ المكلف بالمأمور به معتذراً بأني لم أكن أعرف أن هذا واجب أو مستحب لا يُقبل منه العذر ويلام على تخلفه عن الامتثال وليس ذلك إلا لسبق الوجوب عرفاً من اللفظ والمبادرة[٦٣]، الأمر يدل عندهم على مطلق الوجوب كونه يدل على مطلق أنواع الطلب، وإن الوجوب هو من أبرز الأفراد ظهوراً فينصرف إليه المعنى الطلبي، وإذا كان الوجوب يستفاد منه حكم العقل بوجوب الطاعة للمولى وجب الانبعاث في قضاء الحق للعبودية، بشرط أن لا يُرخص نفس المولى بالترك أو يأذن له[٦٤]. وللأمر صيغ أو صور يُعرف بها هذا الأسلوب، وهذه الصيغ كثيرة في القرآن الكريم، تكاد تكون منتشرة في جميع سور القرآن الكريم، وهذه الصيغ هي:

١- فعل الأمر[٦٥]: وهي الصيغة التي يرد فيها من عنى الأمر بصيغة (افْعَلْ)، والفاعل فيه مستتر وجوباً تقديره (أنت)، مثل: اذهب، قُمْ، جالس، قدِّمْ، قِ..... وغيرها، وهذه الصيغ كثيرة في القرآن الكريم، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ (التحريم ٦)، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((وبعد أن بين القرآن أن من الممكن للرسول (صلى الله عليه وآله) أن يجد في المجتمع زوجات خيراً من زوجاته لو طلقهنَّ مُلوِّحاً لهنَّ بالطلاق لو لم يتُبنَّ إلى الله أمر المؤمنين بتحمل المسؤولية الرسالية في إطار الأسرة، إذ يجب السعي الحثيث لإنقاذ الإنسان نفسه وسائر

أسرته من نار جهنم، وهذه أعظم مسؤولية للمؤمن تجاه أهله))[٦٦]، فقد بين السيد المدرسي تأثير صيغة الفعل (قوا) على معنى الآية المباركة وما أضفاه من وجوب الوقاية التي وقعت على عاتق المؤمن بتحمله مسؤولية نفسه وأهله، وهذا أمر حقيقي كما يقول البلاغيون؛ لأنه صار من الأعلى رتبة إلى الأدنى[٦٧].

٢ـ الفعل المضارع المقترن باللام: هي إحدى الصيغ التي يأتي الفعل بها بمعنى الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ﴾ (قريش ٣)، يقول السيد المدرسي: (فلأجل شكر نعمة إيلاف الله رحلة الشتاء والصيف لقريش عليهم أن يعبدوا رب هذا البيت، الذي كان محور إيلافهم ووحدتهم وحضارتهم، وكما تفاعل المجتمع مع محور تقدمه وحضارته، ومع أسباب رفاهه وغناه كلما كان ذلك سبباً لدوام نعم الله عليه وزيادتها وتناميها) [٦٨]، فالأمر من الله واضح على قريش في شكر نعمة الله بعبادة رب البيت الذي أطعمهم في وقت الجوع وآمنهم من كل خوف.

٣ـ المصدر النائب عن الفعل: ذكر البلاغيون هذه الصيغة التي يرد فيها المصدر ويراد منه الأمر[٦٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً....﴾ (الأنعام ١٥١)، يقول السيد المدرسي: (المنطق المختلف جعل التسليم للوالدين واجباً شرعياً، فكرس الروح العشائرية في النفوس، بينما لا نجد في الإسلام سوى الأمر بالإحسان إلى الوالدين، بل وجدنا العكس من ذلك تماماً، نهى الإسلام عن الإتباع الأعمى للآباء، وهذا ما يجرنا إليه المنطق المختلف. وكما يجب التسليم لله والإحسان إلى الوالدين لا

بـدَّ أن تكـون علاقـة الإحسـان هـي العلاقـة السـائدة بـين أبنـاء المجتمـع)[٧٠]، فالسـيد المدرسي يـرى أن التسـليم المطلـق للوالديـن تسـليم خـارج المنطـق السـليم؛ لأن القـرآن الكريـم أمـر بالإحسـان لهـما فقـط وليـس التسـليم، وهـذا منطـق قـرآني صحيـح.

٤ـ اسـم فعـل الأمـر: هـو أحـد الصيـغ التـي يـأتي بهـا أسـلوب الأمـر، ومنـه مـا جـاء في قولـه تعـالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا عَلَيْكُـمْ أَنفُسَـكُمْ لاَ يَضُرُّكُـمْ مَّـن ضَـلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُـمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُـمْ جَمِيعـاً فَيُنَبِّئُكُـمْ بِـمَا كُنْتُـمْ تَعْمَلُـونَ﴾ (المائـدة ١٠٥)، يقـول السـيد المـدرسي: ((إن الـذي يظـل الطريـق يجـب عليـه أن يخشـى عـلى نفسـه مـن السـباع، كـما أن عليـه أن يُقلـد الـذي اهتـدى إلى الطريـق وليـس العكـس)) [٧١].

والفـرق بـين الأمـر الحقيقـي والأمـر البلاغـي أن ((الأمـر الحقيقـي هـو طلـب الفعـل عـلى سـبيل الاسـتعلاء والإلـزام..... كقـول الله تعـالى مخاطبـاً الرسـول الأعظـم محمـدا صـلى الله عليـه وآلـه: (خُـذْ مِـنْ أَمْوالِهِـمْ صَدَقَـةً تُطَهِرُهُـمْ) (التوبـة ١٠٣)، أمَّـا الأمـر البلاغـي فـإذا اختـل الشرطـان - الاسـتعلاء والإلـزام - السـابقان كلاهمـا أو أحدهمـا لم تـدل صيـغ الأمـر عـلى معانيهـا الحقيقيـة وإنـما تـدل عـلى معـانٍ بلاغيـة نهتـدي إليهـا بذوقنـا وبسـياق الـكلام وقرائـن الأحـوال)) [٧٢].

الأغراض التي يخرج إليها الأمر:

الأمـر يخـرج عـن معنـاه الحقيقـي إلى معـانٍ مجازيـة بلاغيـة حالـه في ذلـك حـال الاسـتفهام، وذلـك ((ليُثـير الانتبـاه، ويوقـظ الذهـن، ويُعمِـل العقـل، ويأخـذ المتلقـي إلى مـا وراء الظاهـر، ويُمتـع النفـس بالمشـاركة الوجدانيـة بـين المتكلـم والسـامع أو المتلقـي ليُفيـد))[٧٣].

ومن الأغراض التي يخرج إليها الأمر هي:

١ـ الإرشاد: من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر مجازياً هو غرض الإرشاد، أي يراد من إلقاء الأمر هو لإرشاد الآخر، ومن هذا الغرض ورد في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**فسألوني قبل أن تفقدوني...**»[٧٤]، وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه إرشاد الذين خصهم بهذا القول.

٢ـ الاستفهام: من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر مجازياً هو غرض الاستفهام، ومن هذا الغرض جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**قُلْ لنا بما يجري في آخر الزمان....**»[٧٥]. وقوله هذا أُريد منه الاستفهام عن شيء مجهول.

٣ـ التلهف: ومن الأغراض البلاغية المجازية التي يخرج إليها الأمر هو غرض التلهف، أي يراد من إلقاء الأمر هو التلهف لشيء ما، ومنه ما جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**بين لنا وبين للناس أوان هذه الفتن.....**»[٧٦].

٤ـ البيان: من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر مجازاً هو غرض البيان، ومن الأوامر التي خرجت إلى البيان، أمر خرج لبيان العموم، وذلك في قوله (عليه السلام): «**قولوا فينا ما شئتم...**»[٧٧]، وأمر خرج لبيان العبودية، وذلك في قوله (عليه السلام): «**واجعلونا مربوبين....**»، وأمر خرج لبيان الصفة وذلك في قوله (عليه السلام): «**صف لنا صفتهُ...**»[٧٨].

٥ـ التحذير: من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر مجازاً هو غرض التحذير، أي يراد من إلقاء الأمر تحذير الآخر، ومن هذا الغرض ما جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**توقعوا أول**

الفتن...»[٧٩]، وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه تحذير الذين خصهم بهذا القول.

٦ـ التخويف: يخرج الأمر في بعض السياقات مجازاً لغرض التخويف، أي يراد من إلقاء الأمر تخويف الآخر، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان بقوله (عليه السلام): «**اشرح لنا فإن قلوبنا قد ارتاعت.....**»[٨٠] وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه تخويف الذين خصهم بهذا القول.

٧ـ الاطمئنان: من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر مجازاً هو غرض الاطمئنان، أي يراد من إلقاء الأمر إنزال الاطمئنان والسكينة إلى قلوبهم، ومن هذا الغرض ما جاء في خطبة البيان من قوله (عليه السلام): «**اذكر لنا الأسوار....**»[٨١].

ثالثا- أسلوب النهي:

في اللغة: ((النون والهاء والياء أصل صحيح يدل على غاية وبُلوغ، ومنه أنهيتُ إليه الخبر: بلَّغتُه، ونهايةُ كلِّ شيء: غايتُه، ومنه: نهيتُه عنه، وذلك لأمر يفعله، فإذا نهيته فتنتهى عنك؛ فتلك غاية ما كان.... والنّهي: العقل؛ لأنه ينهى عن قبيح الفعل، والجمعُ: نُهى))[٨٢]، والنهي خلاف الأمر، فهو طلب أيضاً لكن بعكس طلب الأمر، إذ هو طلب الكف عن الفعل والزجر عنه[٨٣].

أما في الاصطلاح: فهو أحد الأساليب الإنشائية الطلبية الذي يفيد الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ودلالته المنع[٨٤]؛ ((لأن الأصل هو ترك الفعل وعدم التلبس به)) [٨٥].

وقد ذكر النهيَ غيرُ واحدٍ من القدماء، فقد ذكره سيبويه تحت باب سماه [الأمر والنهي] مع أداته (لا) الناهية؛ إذ من الممكن أن تستعمل لغرض الدعاء[٨٦]، وكذلك

عند الفرَّاء والسكاكي والقزويني والشريف الجرجاني والسيوطي وغيرهم من القدماء[٨٧]. وقد اشترط العلماء في أسلوب النهي كما اشترطوا في أسلوب الأمر؛ إذ لا بدَّ من أن يكون صادراً من الأعلى إلى الأدنى، وبهذا يحتمل الوجوب والتحريم[٨٨]، وإذا خالف السياق الشرط المذكور أصبح مجازاً يُراد به غير النهي الحقيقي، لذا ورد النهي بصيغ مختلفة استنبطها العلماء من خلال السياق.

صور النهي:

للنهي صيغة واحدة أو صورة واحدة لا يأتي بغيرها وهي (لا) الناهية التي تدخل على الفعل المضارع حصراً، ولها أن تدخل على غائب ومخاطب، مثل: لا يقمْ زيدٌ، ولا تقمْ يا رجل[٨٩]، وتكون (لا) الناهية جازمة للفعل الداخلة عليه، ((ومع ذلك تعلق به آثار مباحث الأصوليين والمتكلمين عند البلاغيين، فيقولون إنَّ النهي هو طلب الكف أو الترك، لأنَّ الأشاعرة(*) يقولون: إنَّ مقتضى النهي هو كف النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أضداده، والمعتزلة (**) يقولون: إنَّ النهي ترك الفعل)) [٩٠] وهذا الجدل الذي كان دائراً بين المذاهب عقيم لا فائدة منه.

الأغراض التي يخرج إليها النهي:

كما ذكرنا أن سيبويه (ت١٧٩هـ) تنبه لهذه الأغراض في كتابه لكن لم يقم بتقسيمها وإنما أشار إليها إشارة، ولكنَّ السكاكي (ت٦٢٦هـ) قسمها تقسيماً وافياً في قوله: ((إن استُعمل على سبيل التضرع كقول المبتهل إلى الله: لا تكلني إلى نفسي، سمي دعاء، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء، سمي التماساً، وإن استعمل في حق المستأذن سُمي إباحة، وإن استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديداً)) [٩١]، ومن الأغراض التي يخرج إليها النهي:

١ـ الاستبطاء: يخرج النهي في بعض السياقات البلاغية مجازاً لغرض الاستبطاء، ومن هذا الغرض ما جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**لا تفرحوا.... من هذا الوقت إلى آخر ذلك الزمان...**»[٩٢].

٢ـ الإرشاد: من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي مجازاً هو غرض الإرشاد، أي يراد من إلقاء النهي إرشاد الآخر، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان بقوله (عليه السلام): «**لا تولوا مدبراً....**»[٩٣]، وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه إرشاد الذين خصهم بهذا القول.

٣ـ التحذير: من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي مجازاً هو غرض التحذير، أي يراد من إلقاء النهي تحذير الآخر، إذ ورد هذا الغرض بصور متعددة في خطبة البيان، ومنه ما ورد في قوله (عليه السلام): «**لا تكشفوا في قولي هذا....**»، «لا تسرقوا...»، «لا تزنوا...»، «لا تفعلوا محرماً....»، «لا تشربوا مسكراً....»، «لا تلبسوا الذهب ولا الحرير....»، «لا تأكلوا رباً....»، «لا تكنزوا ذهباً...»، «لا تبقوا على كافرٍ ولا منافق...»[٩٤]، وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه تحذيرهم من هذه الأفعال المحرمة.

رابعا- أسلوب النداء:

في اللغة: النداء مثل الدعاء والرُّغاء[٩٥]، هو ((صوتٌ مجردٌ غير مفهوم الكلمات... و «النداء» من العبد في القرآن يأتي بمعنى الدعاء.... فهو رفع الصوت بطلب من يُنادى، وله حروف مخصوصة.... يُقال: ناداه، ونادى به، مناداة ونداء؛ أي صاح به ودعاه بأرفع الصوت))[٩٦]، فالمراد منه في اللغة هو رفع الصوت وتوجيهه إلى المنادى أن أقبل.

وفي الاصطلاح: لم يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي كثيراً، فهو ((طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً كأيا وهيا للبعيد وقد ينزل غير البعيد منزل البعيد لكونه نائماً أو ساهياً)) [٩٧] وغيرها من حروف يُعرف بها سنذكرها تباعاً، فالمعنى الاصطلاحي قريب من المعنى اللغوي غير أن اللغوي يكون عامًّا والاصطلاحي يخصص بأدوات تميزه.

والنداء أقرب للنحو من البلاغة حيث إن النحويين عنوا به كثيراً ولا نجد كتاباً في النحو لا يتطرق إلى النداء وأدواته وكيفية عمل هذه الأدوات وكذلك معانيها، إذ نجد أقدم كتاب في النحو وهو كتاب سيبويه (ت١٧٩هـ) يعقد باباً باسم ((ما يكون النداء فيه مضافاً إلى المنادى بحرف الإضافة)) [٩٨]، وقد أدخله أصحاب البلاغة ضمن صيغ الإنشاء الطلبي وعرَّفوه بطلب الإقبال بحرف نائب مناب الفعل [أدعو] بلفظ ظاهر أو مقدر[٩٩].

أدوات النداء:

((حروف النداء، يا: أعمّها، وأيا، وهيا، للبعيد، أي، والهمزة للقريب؛ [قال الرضي:] قد تنوب (وا) مناب (يا) في النداء، والمشهور استعمالها في الندبة، وقد جاء (آ) بهمزة بعدها ألف، و: (آي) بهمزة بعدها ألف، بعدها ياء ساكنة؛ فيا: أعمّها، وأي ينادى بها للقريب والبعيد)) [١٠٠]، وقد اشترط النحاة بعدم تنوين المنادى، وجعلوه من الشائع. وكذلك لا تدخل (ال) التعريف على المنادى، وما جاء مخالفاً لهذه الشروط جعلوه من الضرورات أو النادر الذي لا يُقاس عليه[١٠١].

موضوعات النداء:

تنبه أصحاب النحو والبلاغة إلى الموضوعات التي يرد فيها النداء،

فوجدوا أنَّ النداء يأتي في الأكثر على ثلاثة مواضيع دائماً، وهي:

١ـ الاستغاثة: ((وهي دعوة المنادى ليخلّص من يناديه من شدة، وينقذه من ورطة، ويُعينه على مشقة والأداة التي تُستخدم في الاستغاثة هي: (يا) وحدها[١٠٢]. وجعلوا له استعمالات وأقسام ومعاني متعددة، فقد أولاها أصحاب النحو والبلاغة اهتماما، وشرحوها مفصلة لا نريد الخوض بها[١٠٣].

٢ـ الندبة: أحد موضوعات النداء ((والندبة شِبه النداء، وليست بالنداء، لأنها توجع، نحو، وآ رأساه، وآ يداه، أو تفجع، نحو قول المتفجع على الفقيد: وا زيداه. وليس من غرض الندبة إلا الإعلام بعظم الألم، أو بعظمة المصاب. والأداة التي تُستخدم في الندبة هي: وا))[١٠٤]، وتأتي (وا) للاستغاثة أيضاً، مثل قول المرأة التي استغاثت بالمعتصم فنادت: (وا معتصماه)، وعلى إثرها فتح عمرويه، وكان هذان الموضوعان من أهم مواضيع النداء، إذ أفرد النحاة لكل موضوع منها فصلاً خاصاً به[١٠٥].

٣ـ طلب العون: يكاد يكون من أكثر المواضيع استعمالاً في موضوع النداء، حيث إن المنادي يطلب من المنادى أن يعينه أو يساعده على شيء. وغيرها من مواضيع أخرى تكاد تندرج تحت موضوع الخروج إلى أغراض أخرى.

دلالات النداء المجازية:

للنداء دلالات مجازية يُبينها السياق وقرائن الأحوال، منها: الاستغاثة، النُدبة، التحسُّر، التعجب، التحذير، بث الشكوى، الدعاء.

الأغراض التي يخرج إليها النداء:

يخرج النداء عن معناه الحقيقي إلى أغراض مجازية أخرى شأنه في ذلك

شأن الأساليب الإنشائية السابقة، ومن الأغراض التي يخرج إليها النداء:

١ـ التنبيه: من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء مجازاً هو غرض التنبيه، أي يراد من إلقاء النداء تنبيه الآخر، ومنه ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**أيها الناس أنا وحبيبي محمد (صلى الله عليه وآله) كهاتين وأشار بسبابته والوسطى...**»[١٠٦]، وكذلك قوله (عليه السلام): «**معاشر الناس...**»، فقوله (عليه السلام) هذا أراد منه تنبيه الذين خصهم بهذا القول.

٢ـ التحسر والألم: أحد الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء مجازاً هو غرض التحسر والألم، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**آه ثم آه لتعريض الشفاه وذيول الأفواه...**».

٣ـ التوجع: من الأغراض البلاغية المجازية التي يخرج إليها النداء هو غرض التوجع، أي يراد من إلقاء النداء لتوجع الآخر، ومنه ما جاء في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**وا أسفاه على فراقنا...**».

٤ـ التقريع: أحد الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء مجازاً هو غرض التقريع، أي يراد من إلقاء النداء تقريع الآخر، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**يا ويل بيت نبيكم وشرفائكم...**».

٥ـ الإرشاد: من الأغراض البلاغية المجازية التي يخرج إليها النداء هو غرض الإرشاد، أي يراد من إلقاء النداء إرشاد الآخر، ومن هذا الغرض ما جاء في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**يا هذا ما يحل أن تضيع الإسلام...**»، وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه إرشاد الذين خصهم بهذا القول.

٦ـ التحذير: أحد الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النداء مجازاً هو غرض التحذير، أي يراد من إلقاء النداء تحذير الآخر، ومنه ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**يا عباد الله اسمعوا ما أقول..**»[١٠٧]، وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه تحذير الذين خصهم بهذا القول.

المبحث الثالث

التقديم والتأخير: أنواعه وأغراضه البلاغية

في اللغة: التقديم: مأخوذ من قَدَمَ، و ((القاف والدَّال والميم أصل صحيح يدل على سَبْق وَرعفٍ ثُمَّ يُفرَّع منه ما يُقاربه...»[١٠٨]، فهو من السِبق، وهو نقيض التأخير، والتأخير: هو ضد التقديم، إذ إن ((الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه وهو خلاف التقدُم))[١٠٩].

وفي الاصطلاح: هو تقديم لفظٍ حقَّه أن يتأخر، أو تأخير لفظٍ حقه أن يتقدم، والغرض من ذلك فائدة بلاغية ينبئ عنها السياق، وهو أحد الموضوعات البلاغية التي عُني بها أصحاب البلاغة، ((فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق))[١١٠]، وأول من أشار إلى دلالاته البلاغية واعتنى به كمصطلح يدل على هذا الأسلوب هو سيبويه (ت١٧٩هـ) في كتابه[١١١]، وهذا لا يعني أنه لم يكن موجوداً قبل سيبويه بل كان معروفاً بوصفه سلوكاً كلامياً، لكنه لم يكن معروفاً بمصطلحه وأنواعه وفنونه وأغراضه، لكن إشارة سيبويه لهذا الغرض بيَّنت سره البلاغي، من حيث العناية، ولفت الانتباه لهذه القضية، لذا عُدَّ رائداً من الرواد الذين أسهموا في تأسيس علم

البلاغة[١١٢].

ومن ثمَّ نجد الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) أيضاً ذكره في أكثر من موضع[١١٣] ونجد أبا عبيدة (ت٢١٠هـ) يُشير إلى التقديم والتأخير في مجازه بصريح عبارته، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام ٢]، يقول: ((مقدم ومؤخر، وعنده أجل مسمى، أي وقت معلوم))[١١٤] وتابع الأخفش (ت٢١٥هـ) أبا عبيدة في ذلك[١١٥]، حتى وصل الأمر إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) فقال: ((باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شِعْراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِمَ فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان))[١١٦].

ولعلَّ سعة هذا الباب من أبواب البلاغة أتت من كونه مشتملاً على كثير من أجزاء الجملة من مسند ومسند إليه وتقديم أحدهما على الآخر، وإعطاؤهما في ذلك أغراضاً بلاغية وفنوناً كلامية غاية في الروعة من حيث المعاني[١١٧]، ونجد ممن اعتنى بهذا الغرض؛ السكاكي (ت٦٢٦هـ)؛ إذ أشار إلى تقديم المسند على المسند إليه والغرض من هذا التقديم[١١٨]، وأشار الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) أيضاً إلى التقديم والتأخير مستفيداً من آراء سابقيه، وذلك في قوله: ((وأما تقديمه فلكون ذكره أهم، إما لأنه الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه))[١١٩]، وقد ذكر الزركشي (ت٧٩٤هـ) أغراضاً أخرى للتقديم والتأخير، منها: الذات، العلة، السببية، السبق،

التعظيم، قصد الترتيب، رعاية الفاصلة.... الخ[١٢٠].

ومن جانب آخر نجد المفسرين قد أولوا هذا الغرض عناية غير مسبوقة، ومن أبرزهم الزمخشري (ت٥٣٨هـ) الذي يُعدُّ تفسيره تفسيراً لغويًّا بلاغيًّا، إذ نجده يشير إلى التقديم والتأخير والغرض منه، وذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة ٥)، يقول: ((حيثُ صرَّح بتقديم الاسم، إرادة الاختصاص)) [١٢١]، وكذلك البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، وابن عادل (ت٨٨٠هـ)، والشيخ زادة (ت٩٥٠هـ)، والسيد الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) [١٢٢]، وغيرهم من المفسرين، فلا تجد مفسراً يغفل عن الأغراض الدلالية والبلاغية والجمالية للتقديم والتأخير.

أنواع التقديم والتأخير:

قسم البلاغيون وعلى رأسهم الجرجاني (ت٤٧١هـ) التقديم والتأخير على أربعة أقسام، سنكتفي بذكرها فقط وهي:

١ـ تقديم على نية التأخير.

٢ـ تقديم لا على نية التأخير.

٣ـ ما قُدِم والمعنى عليه.

٤ـ ما تقدم في آية وتأخر في أخرى.

الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير:

أ. تقديم المفعول به على فعله: ورد في خطبة البيان تقديم المفعول به على فعله لغرضين هما:

١ـ الاهتمام: من الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير هو غرض الاهتمام، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**وأما الزوراء فتخرب من الوقائع...**»[١٢٣].

٢ـ البيان: أحد الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير هو غرض البيان، ومنه ما جاء في خطبة

البيان في قوله (عليه السلام): «**وأما الموصل فتهلك أهلها من الجوع والغلاء...**».

ب ـ تقديم الخبر على المبتدأ: ورد تقديم الخبر على المبتدأ في خطبة البيان لعدة أغراض منها:

١ـ الاهتمام: هو أحد الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير، ومن هذا الغرض ورد في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**لقد أسر لي ألف مسألة في كل مسألة ألف باب...**»[١٢٤]، وكذلك جاء في قوله (عليه السلام): «**فيهم أهل خيل...**»، وأيضاً قوله: «**من علامات الساعة ظهور صائح في السماء...**».

٢ـ التجسيد: من الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير هو غرض التجسيد، ومن هذا الغرض ورد في خطبة البيان قوله (عليه السلام): «**لهم وجوه جميلة...**»[١٢٥].

٣ـ بيان العظمة: من الأغراض البلاغية المجازية التي يفيدها التقديم والتأخير هو غرض البيان، ومنه ما جاء في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**ولها أحوال عظيمة...**»[١٢٦]، وقد ورد هنا لبيان العظمة.

٤ـ التهجد: هو أحد الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**لهم بالليل أصوات...**»[١٢٧].

٥ـ التحذير: من الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير هو غرض التحذير، ومنه ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**له عين واحدة...**»[١٢٨].

٦ – التنبيه: من الأغراض البلاغية المجازية التي يفيدها التقديم والتأخير هو غرض التنبيه، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان

في قوله (عليه السلام): «**وفيها قلم يكتب في الهواء...**»[١٢٩].

المبحث الرابع

القصر: أركانه وأنواعه وطرقه

القصر في اللغة: تناول أصحاب اللغة في معاجمهم جذر القَصْر، إذ إنَّ ((القاف والصاد والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر الحبس،.... فالأول: القِصَر: خلاف الطول..... والأصل الآخر القَصْر: الحبس، يُقال: قصرته؛ إذا حبسته، وهو مقصورٌ: أي محبوس)) [١٣٠]، فقد دارت دلالات القصر في اللغة على الحبس والحصر وعدم بلوغ الشيء.

وقد جاءت لفظة (القصر) ومشتقاتها في القرآن الكريم للدلالة على معانٍ متعددة، منها: قصر النظر عن المحرم (الصافات ٤٨)، والحبس والستر (الرحمن ٧٢)، والنقص (النساء١٠١)، والبيت الفخم (الحج ٤٥)، والقص(الفتح ٢٧).

أما في الاصطلاح: فقد تناول أصحاب البلاغة في علم المعاني أسلوب القصر وأولوه عناية كبيرة نكاد نجزم أنه لا يوجد كتاب في علم البلاغة خالياً من أسلوب القَصْر؛ لأنه من الأساليب الكثيرة الواردة في القرآن الكريم وكلام العرب، ويعني: ((تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص)) [١٣١]، ومن العلماء من ذكره باسم (الحصر) ويقصد به القَصْر[١٣٢]، والمقصود بالشيئية في قولهم: (شيء بشيء) يقصدون بها طرفا القَصْر [المقصور والمقصور عليه]، ((وقولهم بطريق مخصوص تحديد لطرق القصر الأربعة الاصطلاحية، وذلك لتمييزها في تحديد معالم الأسلوب وثرائها وغناها وكثرة فوائدها وقوة تأثيرها))[١٣٣].

ومما تقدم نجد فائدة القصر تتجلى في كونه ((يوجز الكلام ويقدم المعنى بجملة واحدة بدلاً من جملتين ويمكّن الكلام ويُقرره في الذهن، وينفي عن الذهن كل إنكار وشك))[١٣٤].

أركان القصر أو أطرافه:

كما تقدم إن للقصر طرفين أساسيين من خلالهما تحدد جملة القصر، وهما:

١ـ المقصور: ويقصد به (الشيء المخصص).

٢ـ المقصور عليه: ويُقصد به (الشيء المخصص به).

٣ـ أداة القصر: أدوات يُعرف بها مثل [إنَّما][١٣٥].

طرق القصر وتأثيرها في توجيه المعنى في خطبة البيان:

أ ـ القصر بـ [إنَّما]: ورد القصر بـ [إنَّما] في خطبة البيان لغرضين هما:

١ـ التوجع: من الأغراض البلاغية التي يرد فيها القصر مجازاً هو غرض التوجع، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**إنَّما أشكوا بثي وحزني إلى الله...**»[١٣٦]. وقوله (عليه السلام) هذا أراد منه توجع الذين خصهم بهذا القول.

٢ـ بيان العلم: هو أحد الأغراض البلاغية التي يرد فيها القصر مجازاً، ومنه ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**إنَّما أحصيتُ لكم هذه لتعرفوا مواقيتها...**»[١٣٧].

ب ـ القصر بـ (النفي والاستثناء المفرغ): ورد القصر بهذه الصيغة في خطبة البيان لعدة أغراض منها:

١ـ التحذير: من الأغراض البلاغية التي يرد فيها القصر مجازاً، أي يراد منه تحذير الآخر، ومنه ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**لا يمضي عندهم إلّا من كان نماماً...**»[١٣٨]، وقوله هذا أراد

منه تحذير الذين خصهم بهذا القول.

٢ـ بيان الأهلية: هو أحد الأغراض البلاغية التي يرد فيها القصر مجازاَ، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**لا أُنبئكم إلّا بما علّمني رسول الله...**».

٣ـ الإنكار: من الأغراض البلاغية المجازية التي يرد فيها القصر هو غرض الإنكار، ومنه ما جاء في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**ما كان يُقال عليه إلّا كذباً**».

٤ـ التنبيه: هو أحد الأغراض البلاغية التي يرد فيها القصر مجازاً، أي يراد من إلقاء القصر تنبيه الآخر، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**فلا يرون إلّا رؤوساً خارجة من الأرض...**»، وقوله هذا أراد منه تنبيه الذين خصهم بهذا القول.

٥ـ التأكيد: من الأغراض البلاغية المجازية التي يرد فيها القصر هو غرض التأكيد' ومنه ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**لا ألبس إلّا مثل ما تلبسون**».

٦ـ بيان التوحيد: هو أحد الأغراض البلاغية التي يرد فيها القصر مجازاً، ومن هذا الغرض ما ورد في خطبة البيان في قوله (عليه السلام): «**لا يحصي عددهم إلّا الله**».

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين.. بعد هذه الرحلة الممتعة في الغوص بحثا عن لؤلؤة من لؤلؤات العقد الفريد (نهج البلاغة) الذي ملأ الدنيا وشغل الناس توصلنا إلى النتائج التالية:

١.إن خطبة البيان تُعد من الخطب الاجتماعية المنظمة لحياة الفرد والمجتمع.

٢. استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) أسلوب النصح والإرشاد،

فكان طابع الخطبة بصورة عامة إرشاديا.

٣. للخبر حصةٌ كبيرة في خطبة البيان أراد الإمام علي (عليه السلام) عن طريق الجمل الخبرية إيصال الأغراض إلى المتلقي.

٤. استوعبت الخطبة جميع مفاصل وأقسام الإنشاء الطلبي كالأمر والاستفهام والنهي والنداء وعن طريقها أوصل النصائح العلوية إلى متلقي ذلك الزمان.

٥. كان للتقديم والتأخير أثرٌ في توجيه المعنى ولفت الانتباه وتنبيه الإمام للسياق الذي ورد فيه.

٦. لم يكن القصر بمنأى عن الأساليب البلاغية التي وردت في الخطبة المباركة، فقد جاء القصر بطريقيه وشغل مساحة لا بأس بها في الخطبة المباركة.

٧. استعمل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة السياقات الدائمية أي: أن الألفاظ التي استعملت في هذه الخطبة كانت تحمل دلالة عامة ولها مصاديق مختلفة، لذا استوعبت كل زمان ومكان، وهذا الأسلوب أسلوبٌ قرآني انبث من بين ثنايا أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الآفاق فصارت الخطبة لإرشاد الناس الذين تنزلق أو تزل أقدامهم عن جادة الصواب ويتقمصون التكبر، فكانت هذه الخطبة بمنزلة الرادع المباشر بطريقة النصح.

الهوامش:

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة مادة (خبر): ص٢٣٩، لسان العرب مادة (خبر) ج٤ ص٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) المعجم القرآني،: ج٢ ص٥.

(٣) ينظر: الكتاب: ج١ ص٣١٤، مجاز القرآن: ج١ ص٧٤، تأويل مشكل القرآن: ص٢١٣- ٢١٤، المقتضب: ج١ ص١٢- ٢١، الصاحبي في فقه اللغة: ص١٧٩، دلائل الإعجاز: ص٥٢٨.

(٤) المقتضب: ج٣ ص٨٩، ويُنظر: جواهر البلاغة: ص٣٦.

(٥) يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٦.

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م: ص٢٩.

(٧) البحث البلاغي في تفسير البحر المحيط: ص١٦.

(٨) يُنظر: سورتا المائدة ومريم، موازنة بلاغية ضمن علم المعاني، (رسالة)، حسين علي عزيز الطائي، جامعة الموصل، ٢٠٠٤ م: ص٥٥.

(٩) من هدى القرآن: ج١ ص١٥٨.

(١٠) يُنظر: مفتاح العلوم ص٣٥٤،٣٥٣.

(١١) تفسير البيضاوي ج٣ ص٤٣٣، ٤٣٤.

(١٢) يُنظر: مفتاح العلوم ص٣٥٥.

(١٣) تفسير البيضاوي ج٣ ص٢١٥.

(١٤) تفسير البيضاوي ج٣ ص٢١٥-٢١٦.

(١٥) يُنظر: مفتاح العلوم ص٣٥٥.

(١٦) يُنظر: تفسير البيضاوي ج١ ص١٢٩، إعراب القرآن الكريم وبيانه ج١ ص١٥١.

(١٧) يُنظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦م: ج٢ ص٤٦٧.

(١٨) جواهر البلاغة: ص٣٧.

(١٩) تمام نهج البلاغة، خطبة البيان: ج٣، ص٨.

(٢٠) المصدر نفسه: ج٣، ص٩.

(٢١) المصدر نفسه: ج٣، ص١١.

(٢٢) يُنظر: المصدر نفسه: ج٣، ص١٧.

(٢٣) الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)، جعفر مرتضى العاملي: ج٢٢ ص١٣.

(٢٤) يُنظر: تمام نهج البلاغة، خطبة البيان: ج٣، ص٨.

(٢٥) يُنظر: المصدر نفسه: ج٣، ص١٤.

(٢٦) يُنظر: المصدر نفسه: ج٣، ص٢١.

(٢٧) يُنظر: لسان العرب مادة نشأ ج١ ص١٧٠، ١٧١.

(٢٨) يُنظر: شرح التلخيص في علوم البلاغة: ٨١.

(٢٩) يُنظر: مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن (رسالة)، ص٣٧، ٣٨.

(٣٠) يُنظر: مفتاح العلوم: ص٤١٤، المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم: ص ٣٨.

(٣١) يُنظر: البلاغة والتطبيق: ص١٢٣، الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ص ١٣.

(٣٢) بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني: ص١٩٦.

(٣٣) يُنظر: أنماط التركيب القرآني (دراسة في سورة ال حم): ص١٢٩ ـ ١٣١.

(٣٤) يُنظر: مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن (رسالة)، ص٣٨.

(٣٥) يُنظر: كتاب العين مادة (فهم)، ج٤ ص٦١، الصحاح مادة (فهم): ج٤ ص ٢٠٠٥.

(٣٦) يُنظر: المعجم الوسيط: ج٢ ص٧٠٤.

(٣٧) الكافي في البلاغة: ص٣٤٠.

(٣٨) يُنظر: مفتاح العلوم: ص٥٢٤، جهود الفراء البلاغية في كتابه معاني القرآن، (رسالة): ص٤٧.

(٣٩) يُنظر: الكتاب،: ج٣ ص١٧٣ ـ ١٨١.

(٤٠) يُنظر: معاني القرآن، الفراء (ت٢٠٧هـ): ج١ ص٢٣، مجاز القرآن: ج٢ ص٢٣١، معاني القرآن (الأخفش الأوسط) (ت٢١٥هـ): ج١ ص٥٦.

(٤١) يُنظر: مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن (رسالة)، ص٣٩.

(٤٢) يُنظر: الكافي في البلاغة: ص٣٤٠، البلاغة العربية أسسها، علومها، فنونها:

ج١ ص٢٥٨.

(٤٣) يُنظر: الكافي في البلاغة: ص٣٤٠، من بلاغة القرآن: ص١٦٤.

(٤٤) مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن (رسالة): ص٤٦.

(٤٥) تمام نهج البلاغة، خطبة البيان: ج٣، ص٩.

(٤٦) المصدر نفسه: ج٣، ص٩.

(٤٧) المصدر نفسه: ج٣، ص١٠.

(٤٨) المصدر نفسه: ج٣، ص١١.

(٤٩) المصدر نفسه: ج٣، ص١٤.

(٥٠) تمام نهج البلاغة: ج٣، ص٢٢.

(٥١) يُنظر: تهذيب اللغة: ج٥ ص١٥٩، تاج العروس: ج١ ص٢٤٦٣، المعجم القرآني: ج١ ص٦١٧.

(٥٢) يُنظر: كتاب العين: ج٨ ص٢٩٧، مقاييس اللغة: ج١ ص١٣٧

(٥٣) يُنظر: الأمالي الشجرية: ج١ ص٦٨، مفتاح العلوم: ص٥٤٣، ٨٦: ج١ ص١٣.

(٥٤) البحر المحيط: ج١ ص١٨١.

(٥٥) الكتاب: ج١ ص٨٧.

(٥٦) المصدر نفسه: ج١ ص٨٧.

(٥٧) يُنظر: الكتاب: ج١ ص٨٧ ـ ٨٩.

(٥٨) يُنظر: مجاز القرآن: ج١ ص١٤٢.

(٥٩) المصدر نفسه: ج٢ ص١٢٢.

(٦٠) معاني القرآن (الأخفش الأوسط): ج١ ص٥٧.

(٦١) معاني القرآن (للفَّراء): ج١ ص٤٤١.

(٦٢) يُنظر: مفتاح العلوم: ص٤٢٨، التلخيص: ص١٦٩، الإيضاح: ١٤٥.

(٦٣) يُنظر: دروس في علم الأصول: ص١١٥. سورة الإسراء دراسة بلاغية، (رسالة): ص٦٣.

(٦٤) يُنظر: أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر: ص٦٢.

(٦٥) يُنظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ج١ ص٨١.

(٦٦) من هدى القرآن: ج١١ ص٩١.

(٦٧) يُنظر: مفتاح العلوم: ص٤٢٨، التلخيص: ص١٦٨، الإيضاح: ص١٤٥.

(٦٨) من هدى القرآن: ج١٢ ص٣٦٥.

(٦٩) يُنظر: البلاغة الاصطلاحية: ص١٥١، الكافي في البلاغة: ص٣٣١، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء

عيد، مطبعة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط٢، د. ت: ص١٢٠.

(٧٠) من هدى القرآن: ج٢ ص٤٤٧.

(٧١) المصدر نفسه: ج٢ ص٢٨٩.

(٧٢) البلاغة الاصطلاحية: ص١٥٢.

(٧٣) الكافي في البلاغة: ص٣٣٢.

(٧٤) تمام نهج البلاغة، خطبة البيان: ج٣، ص٨.

(٧٥) المصدر نفسه: ج٣، ص٩.

(٧٦) المصدر نفسه: ج٣، ص١١.

(٧٧) المصدر نفسه: ج٣، ص١٧.

(٧٨) تمام نهج البلاغة: ج٣، ص٢٠.

(٧٩) المصدر نفسه: ج٣، ص٢٠.

(٨٠) المصدر نفسه: ج٣، ص٢١.

(٨١) المصدر نفسه: ج٣، ص٢٢.

(٨٢) معجم مقاييس اللغة: ج٥ ص٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٨٣) يُنظر: المعجم القرآني: ج٣ ص٦١٦.

(٨٤) يُنظر: الأمالي الشجرية: ج١ ص٢٧١، مفتاح العلوم: ٥٤٥، الإيضاح: ج١ ص١٤٥.

(٨٥) أنماط التركيب القرآني، (رسالة)، ص١٣٩.

(٨٦) يُنظر: الكتاب: ج١ ص٨٧ ـ ٩٠.

(٨٧) يُنظر: معاني القرآن للفرَّاء: ج١ ص٢٦٤، مفتاح العلوم: ٥٤٥، الإيضاح: ج١ ص١٤٥، التعريفات: ص٣١٦، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ): ج٣ ص٢٤٣.

(٨٨) يُنظر: أصول الفقه: ص٩٦.

(٨٩) يُنظر: أنماط التركيب القرآني، (رسالة): ص١٣٩.

(*) الأشاعرة: هي إحدى الفرق الإسلامية التي ولدت من رحم الاعتزال بعد فتنة خلق القرآن، وأبرز علمائها أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي ينحدر من نسل أبي موسى الأشعري، يُنظر: فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة، د. صباح عيدان حمود العبادي، الفيحاء للطباعة والنشر، البصرة، ط١، ٢٠١٣م: ص٣٥.

(**) المعتزلة: إحدى الفرق الإسلامية التي ذاع صيتها في بدايات العهد العباسي، وأبرز علمائها: أبو عثمان الجاحظ، الشيخ

أبو علي الجبائي الذي أشعل فتنة خلق القرآن، ومن ثَمَّ ترك الاعتزال وانتقل إلى المذهب الأشعري، وابن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة، وغيرهم، يُنظر: كتاب الفهرست، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (الوراق)، تحقيق: رضا تجدد بن علي بن زين العابدين المازندراني، لا يوجد معلومات نشر، طهران، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م: ص٢٣١، الإعلام، للزركشي: ج٤ ص٢٦٣.

(٩٠) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ص١٢٢.

(٩١) مفتاح العلوم: ص١٣٧.

(٩٢) تمام نهج البلاغة: ج٣، ص١٨.

(٩٣) يُنظر: المصدر نفسه: ج٣، ص١٨.

(٩٤) يُنظر: المصدر نفسه: ص١٨.

(٩٥) يُنظر: لسان العرب: ج١٥ ص٣١٥.

(٩٦) المعجم القرآني: ج٣ ص٥٠٦.

(٩٧) المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم: ص٤٣٠.

(٩٨) الكتاب: ج١ ص٣٧٢.

(٩٩) يُنظر: مفتاح العلوم: ص٤٣١، التلخيص: ص١٧٢، البرهان في علوم القرآن: ج٢ ص٣٢٣.

(١٠٠) شرح الرضي على الكافية: ج٤ ص٤٢٥، يُنظر: شرح ابن عقيل: ج٣ ص١٩٧.

(١٠١) يُنظر: شرح ابن عقيل: ج٣ ص٢٠٣ وما بعدها.

(١٠٢) في النحو العربي قواعد وتطبيق: ص٢٢٢.

(١٠٣) يُنظر: قطر الندى وبل الصدى: ص٢١٣ ـ ٢١٦، وجميع كتب النحو.

(١٠٤) في النحو العربي قواعد وتطبيق: ص٢٢٣، يُنظر: قطر الندى وبل الصدى: ص٢١٧.

(١٠٥) يُنظر: شرح ابن عقيل: ج٣ ص٢١٧ - ٢١٩، أوضح المسالك إلى ألفية أبن مالك: ج٤ ص٤١ - ٤٦.

(١٠٦) تمام نهج البلاغة: ج٣، ص٨.

(١٠٧) تمام نهج البلاغة: ج٣، ص٢٢.

(١٠٨) مقاييس اللغة: ج١ ص٦٥.

(١٠٩) مقاييس اللغة: ج١ ص٦٤.

(١١٠) البرهان في علوم القرآن: ج٣

ص٢٣٣، يُنظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج٢ ص٣٢٥.

(١١١) يُنظر: الكتاب: ج١ ص٢٤.

(١١٢) يُنظر: المختصر في تاريخ البلاغة: ص٥٧.

(١١٣) يُنظر: معاني القرآن، للفرَّاء: ج٢ ص١٩٥.

(١١٤) مجاز القرآن: ج١ ص١٨٥.

(١١٥) يُنظر: معاني القرآن، للأخفش: ج٢ ص٣٠١.

(١١٦) دلائل الإعجاز: ص١٠٦، يُنظر: عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية: ص١٣٨.

(١١٧) يُنظر: البحث البلاغي في تفسير اللباب (رسالة): ص٨٤.

(١١٨) يُنظر: مفتاح العلوم: ص١٩٤.

(١١٩) التلخيص: ص٧٤.

(١٢٠) يُنظر: البرهان في علوم القرآن: ج٣ ص٢٣٩.

(١٢١) الكشاف: ج١ ص١٠٢.

(١٢٢) يُنظر: تفسير البيضاوي: ج١ ص١٤، تفسير اللباب في علوم الكتاب: ج١٩ ص١٢٣.

(١٢٣) تمام نهج البلاغة: ج٣، ص٢٧.

(١٢٤) يُنظر: المصدر نفسه: ج٣ ص٨، ص١٣.

(١٢٥) تمام نهج البلاغة: ج٣ص١٠.

(١٢٦) المصدر نفسه: ج٣، ص١٩.

(١٢٧) المصدر نفسه: ج٣، ص٢٠.

(١٢٨) المصدر نفسه: ج٣، ص٢٦.

(١٢٩) المصدر نفسه: ج٣، ص٢٦.

(١٣٠) مقاييس اللغة: ج٥ ص٩٦ ـ ٩٧، يُنظر: القاموس المحيط: ج٢ ص١٢١ـ ١٢٣.

(١٣١) التلخيص في علوم البلاغة: ص١٣٧، يُنظر: الإيضاح: ص١١٨، مفتاح العلوم: ٢٨٨.

(١٣٢) يُنظر: الإتقان في علوم القرآن: ج٣ ص١٢٧، ومعترك الأقران: ج١ ص١٣٦.

(١٣٣) تجليات الجمال في أسلوب القصر: ص٩٧٤.

(١٣٤) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ص٤٠٠.

(١٣٥) يُنظر: مدخل إلى البلاغة العربية:

ص١١٢، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: ص ١١٢.

(١٣٦) تمام نهج البلاغة: ج٣، ص١٠.

(١٣٧) المصدر نفسه: ج٣، ص١٦

(١٣٨) المصدر نفسه: ج٣، ص١٦

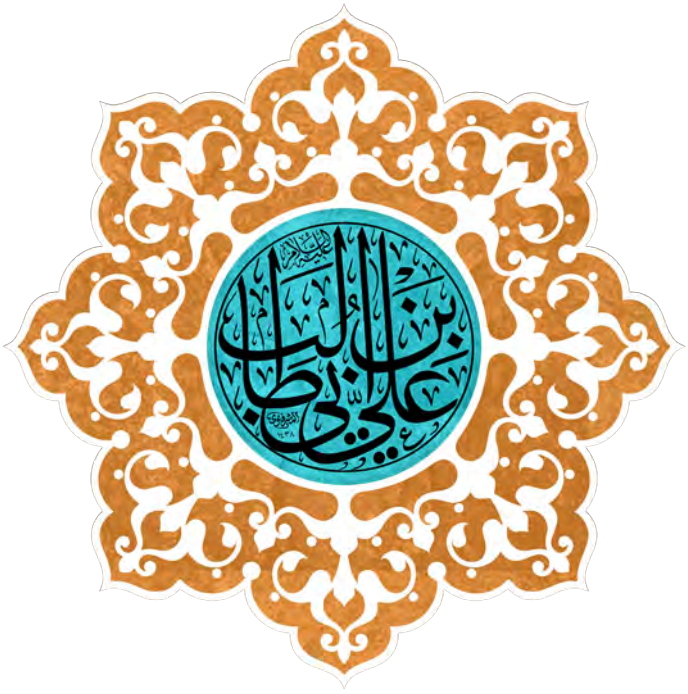

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٨م.

٢. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر،ط٢، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م.

٣. أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر، إسماعيليان، قم، ايران،ط١٠، ١٤٢١.

٤. الأمالي الشجرية، ابن الشجري ت(٥٤٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٤٩هـ.

٥. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ت (٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٤م.

٦. البحر المحيط: محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي) ت(٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض، (دار الكتب العلمية)، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م.

٧. البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢م.

٨. بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط، د.ت.

٩. البلاغة العربية أسسها، علومها، فنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

١٠. البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، بغداد، ط١، ١٩٨٢م.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي (مرتضى الحسيني) ت (١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت، د. ت.

١٢. التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، د. ط، ١٩٨٠م.

١٣. التفسير البسيط، أبو حسن علي بن

أحمد الواحدي، ت(٤٦٨هـ)، تحقيق: د. نورة بنت عبد الله الورثان، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٤.تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت (٦٨٥هـ).

١٥.التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ت(٤٠٦هـ)، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤ م.

١٦.تمام نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تحقيق: السيد صادق الموسوي، الأعلمي، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٧.تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي ت(٣٧٠هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، محمد فرح العقدة، بلا معلومات للنشر، د. ط، د. ت.

١٨.الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

١٩.دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر، ت(١٩٨١م)، تحقيق: السيد علي حسن مطر، مطبعة تارة، ط١، ٢٠٠٠م، (الحلقة الثالثة).

٢٠.دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر، ت(١٩٨١م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٨م، (الحلقة الأولى).

٢١.دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت(٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

٢٢.شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين بن عقيل ت(٧٦٩هـ)، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، مصر، د. ط، ٢٠٠٥م.

٢٣.شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترآباذي ت(٦٨٤هـ)، تحقيق وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، طهران، د. ط، ١٣٩٨هـ _ ١٩٧٨م.

٢٤.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة

العلوي ت(٧٤٩هـ)، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ _ ١٩٩٥م.
٢٥.فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد، مطبعة المعارف، الاسكندرية، مصر، ط٢، د. ت.
٢٦.في النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٢٧.في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني)، د. حلمي علي مرزوق، لا توجد معلومات نشر في الكتاب سوى سنة الطبع، ١٩٩٩م.
٢٨.قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري ت(٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، أمير، قم، ايران، ط٢، ١٣٨٢هـ.
٢٩.الكافي في البلاغة، أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، د. ط، ٢٠١١م.
٣٠.الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت(١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ _ ١٩٨٩م.
٣١.كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت(١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، د. ط، ١٩٨١م.
٣٢.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، ت(٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
٣٣.الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، الهمام أبو إسحاق الثعلبي ت(٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٣٤.لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ت(٧١١هـ)، حققه وعلق عليه، ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد

علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م.
٣٥.مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن (رسالة)، خالد عبد النبي عيدان الأسدي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة كربلاء،٢٠١٧م.
٣٦.مجاز القرآن، معمر بن المثنى أبو عبيدة ت(٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سركين، نشر مطبعة سامي الخانجي الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٧٤هـ _ ١٩٥٥م.
٣٧.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي ت (٥٤٦هـ)، تحقيق: الرحالة الفاروق، عبد العال السيد إبراهيم، وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط٢، ٢٠٠٧م.
٣٨.مدخل إلى البلاغة العربية، يوسف نسلم أبو العدوس، دار الميسرة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.
٣٩.المطول تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني ت(٧٩٢هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ _ ٢٠٠١م.
٤٠.معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت(٢٠٧هـ) تحقيق: د. محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م.
٤١. معاني القرآن، سعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط)، ت(٢١٥هـ)، تحقيق: د. فائز فارس، دار الرشيد للنشر، ط٢، ١٤٠١هـ _ ١٩٨١م.
٤٢. المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.
٤٣. المعجم القرآني (دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم)، د. حيدر علي نعمة، د. أحمد علي نعمة، مطبعة السيماء، بغداد، د. ط، ٢٠١٣م.
٤٤. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦م.
٤٥. المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد

القادر، محمد علي النجار، تحقيق: لجنة في مجمع اللغة العربية في القاهرة، دار الدعوة، اسطنبول، ١٩٨٩م.

٤٦. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ت(٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ _ ٢٠٠٠م.

٤٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ت(٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ٢٠٠٥م.

٤٨. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م.

٤٩. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، د. ط، ٢٠٠٣م

٥٠. من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، دار القارئ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٩ هـ _ ٢٠٠٨م.

٥١. من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، دار الهدى، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٥٢. موضح أسرار النحو، محمد بن الحسن (الفاضل الهندي) ت (١١٣٥هـ)، تحقيق: د. علي موسى الكعبي، مجمع الإمام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت (عليهم السلام)، كربلاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٥٣. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ _ ١٩٨٢م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٣٩١هـ.

ممَّا قالت الزهراء (عليها السلام) في أثناء علّتها:

ثُمَّ طِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُساً وَاطْمَئِنُّوا لِلْفِتْنَةِ جَأْشاً وَأَبْشِرُوا بِسَيْفٍ صَارِمٍ وَهَرْجٍ شَامِلٍ وَاسْتِبْدَادٍ مِنَ الظَّالِمِينَ يَدَعُ فَيْئَكُمْ زَهِيداً وَزَرْعَكُمْ حَصِيداً، فَيَا حَسْرَتِي لَكُمْ وَأَنَّى بِكُمْ وَقَدْ عُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾.

معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ): ٣٥٥.

INAHJ.ORG

الصورة الاستعارية
في خطبة الإمام علي (عليه السلام)
في صفات المتقين

أ. م. د. أحمد عبيس عبيد

The Metaphorical Image in Iman Ali (Pb)
Speech About Pious People Characteristics

Asst. Prof. Dr. Ahmed Abyss Obaid

ملخص البحث

وُصِفَ كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه غاية في الفصاحة والبلاغة؛ وقيل إنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومن يمعن النظر في كلامه يجده متوافرا على أساليب بلاغية أبدع فيها، ودلّت على توظيف دقيق، ألقى بظلاله على نسج الكلام، ومن ثم على دلالاته. ولهذا الوصف كان كلامه (عليه السلام) هدفا في بحثنا نتلمس فيه أحد أساليب البيان وهو فن الاستعارة؛ هذا الفن الجميل الذي يضفي على الكلام رونقا وحياة ويقود الذهن إلى تدبر الصور التي توفرها الاستعارة، وقد اخترنا خطبة الإمام علي (عليه السلام) في وصف المتقين وغيرهم نموذجا ممثلا لكلامه، وتم البحث وفق محاور حملت العنوانات الآتية: مدخل في الاستعارة، الصورة الاستعارية في حال المتقين، الصورة الاستعارية في حال غير المتقين، الصورة الاستعارية في حال الإمام علي(عليه السلام) وعترة النبي (صلى الله عليه وآله)، الصورة الاستعارية في حال الدنيا. وفيها تلمسنا طبيعة الصور الاستعارية والغرض منها.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة، الصورة، الإمام علي، المتقين، غير المتقين، الغرض من الاستعارة

Abstract

Imam Alis speech was described as the most rhetoric and eloquence. It had been told that his speech is under creator speech and over creatures speech. The reasearcher has chosen Imam Ali (Pb). speech about Pious characteristics and the research includes the following titles: Introductin in Metaphor, Metaphorical Image of Pious people, Metaphorical Image of Non-Pious People, Metaphorical Image of Imam Ali (Pb) and the Prophet Family, Metaphorical Image of Life.

Keywords:

Metaphor, Image, Imam Ali, Pious People, Non-Pious People The Purpose of Metaphor.

المقدمة:

غير خاف على من له أدنى اهتمام باللغة العربية قيمة كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدبيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وقضائيًّا؛ فكلامه احتوى أسسا عامة وخاصة، ومناهج عمل واقعية ودقيقة للحياة، والذي يعنينا نحن في هذا الميدان المستوى الأدبي بما عرف به من فصاحة وبلاغة جعلته يحظى بعناية الدارسين؛ متذوقين ومعجبين ومتلمسين أسرار هذا الإبداع البياني في طرائق التعبير.

وإحدى وسائل التعبير البياني في كلامه (عليه السلام) أسلوب الاستعارة؛ هذا الفن البياني الذي يزيد الكلام رونقا وجمالا، ويجعل ذهن المتلقي محلقا في فضاءات جديدة، بفضل طبيعة الاستعارة التي تقتضي الأخذ من ميادين وتوظيفها في ميادين أُخر، عن طريق علاقات لغوية جديدة، تمنحنا دلالات جديدة غير متوافرة في طرائق التعبير المباشرة. وهدفنا في هذا البحث دراسة الاستعارة في كلام الإمام علي (عليه السلام) متخذين خطبته (عليه السلام) في وصف حال المتقين نموذجا، وفيها -أيضا- وصفٌ لحال غير المتقين في خطبته (عليه السلام) وحال عترة النبي (صلى الله عليه وآله). وهي الخطبة رقم (٨٦) في نهج البلاغة. وقد تناولنا الاستعارة في خمسة محاور؛ أساسها فقرات الخطبة وموضوعاتها، جاء المحور الأول مدخلا في فن الاستعارة، وجاء الثاني في الصورة الاستعارية في حال المتقين، فيما تناول المحور الثالث الصورة الاستعارية في حال غير المتقين، وحمل المحور الرابع عنوان الصورة الاستعارية في حال الإمام علي (عليه السلام) وعترة النبي (صلى الله عليه وآله)، وأخيرا

محور خامس في الصورة الاستعارية في حال الدنيا.

أولا: مدخل في الاستعارة

الاستعارة فن بياني رائق ينتمي إلى المجاز وعلاقته المشابهة دائما، ولذا له ارتباط مع المجاز في كونها استعمال اللفظ في غير ما وضع له، وهو حد المجاز، وارتباط مع التشبيه في كون العلاقة بين المستعار له والمستعار منه علاقة مشابهة، وقد يبدو من ملامح فهم الاستعارة أن يشخص المتلقي ولو ذهنيا تلك العلاقة التشبيهية، لكي يدرك أبعادها وارتباطاتها ودوافعها وماذا قدمت من دلالات لا تقدمها الحقيقة.

عرّفها أحد أقدم البيانيين وأعني الجاحظ (أنّها تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه)[1]. وتحدث أرسطو في خطابه عن الاستعارة، ويكفي أنّه عدّها البلاغة في حد ذاتها؛ عندما سئل ما البلاغة فقال: حسن الاستعارة[2].

ويفترق ابن المعتز عن جمهور البلاغيين الذين نظّروا لعلوم البلاغة في عدّه الاستعارة من البديع، وحدّها بأنّها (استعارة الكلمة لشيء لم يُعرف بها من شيء قد عُرف بها)[3]. وهو قريب من تعريف أبي الحسن الرماني في قوله: (الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة)[4].

وأكّد كثير من البلاغيين على أهمية الاستعارة في الكلام، ومنهم القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني الذي عدّها (أحد أعمدة الكلام، وعليها المعوّل في التوسّع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر)[5]، وهو في كلامه هذا يؤكد على أثرها في إغناء الكلام وإثرائه بطرائق التعبير المغايرة للمألوف.

أمّا أبو هلال العسكري، فقد

ركّز على أغراض الاستعارة وجعلها محصورة في (شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه)[٦]، هذه الأغراض جعلها من لوازم الاستعارة المصيبة التي لها من الموقع ما ليس للحقيقة، فقال في قوله تعالى: ﴿**يوم يكشف عن ساق ويُدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾[٧] أنّه (أبلغ وأحسن وأدخل ممَّا قصد له من قوله لو قال: يوم يكشف عن شدة الأمر، وإنْ كان المعنيان واحدا؛ ألا ترى أنك تقول لمن تحتاج إلى الجد في أمره: شمّر عن ساقك فيه، واشدد حيازيمك له؛ فيكون هذا القول منك أوكد في نفسه من قولك: جد في أمرك)[٨]، هذه الاستعارة وأمثالها تفعل في النفوس ما لا تفعله الحقيقة، ويقول العسكري في قوله تعالى ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل ممَّا تصفون**﴾[٩]، (حقيقته بل نورد الحق على الباطل فيذهبه. والقذف أبلغ من الإيراد؛ لأن فيه بيان شدة الوقع وفي شدة الوقع بيان القهر، وفي القهر هاهنا بيان إزالة الباطل على جهة الحجة، لا على جهة الشك والارتياب، والدمغ أشد من الإذهاب، لأن في الدمغ من شدة التأثير وقوة النكاية ما ليس في الإذهاب)[١٠] والعسكري يورد شواهد كثيرة في كتابه الصناعتين ليدلل على فضل الاستعارة على الحقيقة.

ويوافق هذا ما يراه ابن جني من كون الاستعارة لا تكون إلّا للمبالغة، وإلّا فهي حقيقة[١١]. والرماني أيضا في رأيه أن الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة ببيان لا تنوب منابه الحقيقة[١٢]. ولو كانت الاستعارة تقدم نفس ما تقدمه الحقيقة

لكانت الحقيقة أولى؛ لأنّها الأصل، والاستعارة فرع عنها. وهي حسب قول ابن رشيق أفضل المجاز وليس هناك أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها[١٣].

أمّا عبد القاهر الجرجاني، فأكد على قيمة الاستعارة بكلام دقيق شخّص فيه دورها في الكلام وخصائصها، فقال: (اعلم أن الاستعارة أمدّ ميدانا وأشدّ افتنانا وأوسع سعة وأبعد غورا وأذهب نجدا في الصناعة وغورا، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها،[...] ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها، أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر،[...]، وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنّها قد جسّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلّا الظنون)[١٤].

والسكاكي أحد البلاغيين الذين أكدوا على علاقة الاستعارة بالتشبيه عن طريق تعريفه لها بقوله: (هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به)[١٥]، وهو في تعريفه هذا يؤكد أن الاستعارة هي تشبيه حذف أحد طرفيه. وقريب منه تعريف الاستعارة عند ابن الأثير في قوله: (حدُّ الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما، مع طي ذكر المنقول إليه؛ لأنه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص الاستعارة، وكان حدًّا لها دون التشبيه)[١٦].

لكن يبقى الإجماع على كون

الاستعارة أوكد في النفس من الحقيقة وأبلغ، وتفعل في النفوس ما لا تفعله الحقيقة[١٧]. ومن فضل الاستعارة على التشبيه انّها أبلغ منه؛ (لأننا مهما بالغنا في التشبيه فلا بد من ذكر الطرفين، وهذا اعتراف بتباينهما، وأن العلاقة بينهما ليست إلّا التشابه والتداني فلا تصل حد الاتحاد، إذ جعلك لكل منهما اسما يمتاز به دليل على عدم امتزاجهما واتحادهما، بخلاف الاستعارة فإنّ فيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وأنّ الشبه والمشبه به صارا شيئا واحدا يصدق عليهما لفظ واحد)[١٨]. وفضل الاستعارة ليس على التشبيه فحسب بل على سائر فنون البيان حتى قال أحد المختصين بالبلاغة: (وإذا كان البلاغيون ينظرون إلى المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية على أنّها عمد الإعجاز وأركانه، وعلى أنّها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، وتوجب الفضل والمزية، فإنّهم يجعلون المجاز والاستعارة عنوان ما يذكرون وأول ما يوردون)[١٩].

ثانيا: الصورة الاستعارية في حال المتقين

تتنوع الصورة الاستعارية في خطاب الإمام علي (عليه السلام) بشكل عام، وهذا ما وجدناه شاخصا واضحا في خطبته عندما يصف حال المتقين؛ ومرجع هذا طبيعة الحالة النفسية للإمام حين يصف، ودوافعه حين يقول وهذا ما سنحاول تلمسه في الخطبة بعد استقراء الاستعارات.

أولى الصور الاستعارية في خطبة الإمام علي (عليه السلام) – موضع البحث – نجدها في قوله واصفا الإنسان التقي بقوله: (استشعر الحزن)[٢٠]، فقد استعار الاستشعار إلى حالة دخول الحزن عليه بحيث بدا ملامسا له ومتداخلا فيه، فالحزن

كالشعار له وهو ما يلي الجسد من الثياب. ثم يستعير في جملة تالية لفظ الجلباب للخوف، في قوله (تجلبب الخوف)؛ إذ جعله كالجلباب (اللباس) للمرء للدلالة على اشتماله عليه وكونه من أولوياته في قوله وعمله. وفي هاتين الاستعارتين تم التحرر من دلالات الألفاظ النصية وزجّها في علاقات لغوية جديدة أنتجت دلالات أخرى، ربما غير مألوفة، تجسد ذلك في جعل الحزن شعارًا والخوف جلبابًا.

ونجد الصورة الاستعارية حاضرة مرتين في قوله (عليه السلام): (فزهر مصباح الهدى في قلبه)؛ إذ استعار لفظ (زهر) إلى إشراق النور في قلب المتقي، فالنور يشرق في قلبه كما تزهر الوردة في الحديقة، واستعار المصباح إلى نور المعارف الإلهية التي يفيضها الخالق على عبده؛ حتى لتبدو في إنارتها عقله وقلبه كالمصباح عندما ينير عتمة الليل. ثم ينتقل الإمام (عليه السلام) إلى ما يعدّه المتقي في حياته من عُدّة ليوم معاده، فيستعير لفظ (القِرى) إلى الأعمال الصالحة من طاعات وعبادات يستعدّ بها المرء ليومه النازل به في قوله: (وأعدّ القِرى ليومه النازل به)، فجعلها كالقرى وهو ما يعدّه المسافر لرحلته من زاد وغيره.

وتتوالى الصور الاستعارية في خطاب الإمام (عليه السلام)، ومنها ما نجده في وصفه لتزوّد الإنسان المتقي بالمعارف الإلهية؛ فيستعير لها الارتواء، في قوله (عليه السلام): (وارتوى من عذب فرات، سُهِّلَتْ له موارده، فشرب نهلا)، فالمرء يستعير لفظ (ارتوى) لهذا التزوّد للدلالة على الرغبة فيها، فهي له كالشراب الذي يرتويه ليطفئ ظمأه. واستعار لفظتي (عذب فرات) إلى العلوم والمعارف الإلهية التي بدت للمقبل

عليها كعذوبة الماء الصافي لمن يعاني العطش، واستعار لفظ (الشرب) للموضع نفسه، ثم استعار لفظ (نهلا) لكن هذه المرة ليس للتزوّد فقط ولكن لشدة إقبال المرء على العلوم والمعارف الإلهية، فهو يتناولها لكن بنَهم، للدلالة على قوة الإقبال والاندفاع نحوها. وهنا يُلاحظ مقدار الدقة في كلام الإمام علي (عليه السلام)، وأعني دقة التعبير عن كل حال؛ فتارة يصوّر التزوّد من المعارف الإلهية بـ(ارتوى)، وتارة أخرى بـ(شرب)، وتارة ثالثة يصور نوع المتزوّد به أو صفته بـ(عذب فرات)، وتارة رابعة يصوّر شدّة إقبال المرء على هذه المعارف بلفظ (نهلا). وهذه تدل على براعة فائقة في الإحاطة بدقائق الأمور وكيفية التعبير عن الأحوال المتنوعة للشيء الواحد.

ونحن نلحظ كيف جرى في هذه الاستعارات السابقة بث الحياة في الجمادات بمنحها صفات الكائنات الحية، وهذا ما نصّ عليه عبد القاهر الجرجاني في قوله: (فإنك لترى بها الجماد حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جليّة)[٢١]، وهذا ما يسمى بالتشخيص الذي يعرف بأنه (إبراز الجماد أو المجرد من الحياة، من خلال الصورة بشكل كائن متميز بالشعور والحركة والحياة) [٢٢]، وهو لا يقتصر على منح الجماد والأشياء المعنوية صفات الإنسان فحسب، بل صفات الحيوانات أيضا، وقد يمنح الحيوانات أيضا صفات إنسانية والعكس صحيح، وهو ما نجده في تعريف آخر للتشخيص بأنّه (تعبير بلاغي يسبغ فيه على التجريدات والحيوانات والمعاني والأشياء غير الحية شكلا وشخصية وسمات انفعالية إنسانية) [٢٣]، فتثمر المغايرة

والإدهاش بفضل إلغاء الحواجز بين الأشياء عن طريق علاقات جديدة من فعل الخيال الذي يتيح الربط بين الأشياء التي لا رابط بينها، ومن ثم يغني العملية الإبداعية.

وينتقل في موضع تال إلى تصوير ابتعاد المرء التقي عن الشهوات، فاستعار لفظتين في قوله: (قد خلع سرابيل الشهوات) الأولى (خلع)؛ إذ استعارها إلى تخلص المرء من الشهوات كمن ينزع شيئا يرتديه، واستعار الثانية (سرابيل) إلى حال التقمص؛ فبدت عليه كالسربال أو القميص الذي يرتديه المرء للدلالة على شدة التلبس به والاشتمال عليه. واستعمال الإمام علي (عليه السلام) للاستعارة جاء لتجسيد هذه المعاني، ولكي تفعل فعلها في النفوس، والعرب يستعملون الاستعارة في كلامهم (تقريبا للمعنى إلى ذهن السامع، واستثارة لخياله واختلابا للبه، ليقنع بما يقال له ويلقى في روعه)[٢٤]، وإنّ الإمام علي (عليه السلام) يوظف الاستعارة لتمثيل الأفكار لديه في علاقات لغوية وجعلها حيّة وفاعلة بين أيدي الناس، وإنّ (العلاقة التي تنشئها الاستعارة بين طرفيها، ليست علاقة منطقية بقدر ما هي علاقة من صنع الخيال الذي يحاول أن يحدث التأثير في المواقف والدوافع عن طريق إذابة هذه العناصر وخلق الجديد منها)[٢٥]، لإنتاج مضامين جديدة.

وينتقل الكلام إلى تصوير حال انتقال الإنسان التقي من الضلالة إلى الهداية في قوله (عليه السلام): **(فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره)**؛ إذ استعار لفظ (العمى) إلى حال

الجهل والضلال الذي لا يهتدي فيه المرء إلى مصلحته، ثم استعار (مفاتيح أبواب الهدى) إلى العارفين طرق الهداية، فهؤلاء كالمفاتيح لما ينغلق من الأبواب، للدلالة على أثرهم في هداية الناس إلى الإيمان. واستعار (مغاليق أبواب الردى) أيضا إلى العارفين والأولياء الذين يوصدون أبواب المنكرات ومزالقها، وهؤلاء العارفون دورهم فاعل في هداية الناس وإبعادهم عن المنكرات. واستعار -أيضا- لفظ الغمار إلى المهالك والمزالق والصعوبات والمحن المغمورة التي قطعها وتجاوزها هذا الإنسان المتصف بالتقوى. وفي هذه الاستعارات تجسيم وتجسيد لحال المتقين ودورهم في فتح أبواب الهداية أمام الناس وإخراجهم من الضلالة.

وفي قوله (عليه السلام): (استمسك من العرى بأوثقها، ومن الجبال بأمتنها) استعار (العرى)، وهي كل ثابت من شيء يُتمَسك به للخلاص من غرق أو هلاك أو غير ذلك؛ استعارها إلى سبل الله المنجية؛ فهذه الأعمال كالعروة التي تنجي كلَّ من تمسك بها. واستعار أيضا لفظ (الجبال) إلى هذه السبل، فاللاجئ إلى هذه الأعمال الصالحة كالمتمسك بحبل متين؛ قوته كقوة الجبل. ونلاحظ في هذا الاستعمال الاستعاري (ادّعاء أنّ المشبه داخل في جنس أو نوع أو صنف المشبه به، بسبب مشاركته له في الصفة التي هي وجه الشبه بينهما)[٢٦].

ويلي ذلك كلام الإمام (عليه السلام) في ملامح الإنسان التقي، وفيه يعطي أوصافا له بطريق الاستعارة، إذ يقول فيه: **(مصباح ظلمات، كشّاف عشاوات، مفتاح مبهمات، دفّاع معضلات، دليل فلوات)**، وفيه استعار لفظ (مصباح) للإنسان التقي؛ لأن فعله

صار فعل المصباح في إنارة الظلام، واستعار(ظلمات) إلى حالة الجهل والضلالة التي يعيشها بعض الناس؛ وقد بدت كالظلام لمن لا يعرفون السبيل إلى خلاصهم. ثم استعار (عشاوات) إلى الأمور الملتبسة والمشتبهة التي تغمض ويصعب على المرء فهمها وإدراكها؛ لكن التقي له ذلك بفضل هذه الأوصاف والمزايا التي يتمتع بها. واستعار لفظ (مفتاح) له لقدرته على فك ما يستغلق فهمه وما يستبهم من الأمور، واستعار له -أيضا- لفظ (دليل)؛ لأنه بدا كالدليل للسائرين في الليل الذين يجهلون طريقهم، ودوره دور الهادي الذي يقودهم إلى بر الأمان. واستعار (فلوات) إلى موارد السلوك الإنساني التي يجهلها الناس والتي بدت في اتساعها وامتدادها كالصحراء الشاسعة التي لا يجد فيها المرء ما يعينه على الاهتداء إلى طريقه.

وينتقل الحديث إلى مكانة التقي في الدين، وفيه يقول: (فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه)، وقد استعار لفظ (معادن) له؛ فهو كالمعدن للدين؛ لأنه منبع للعلوم مثلما المنجم منبع للجواهر واللآلئ، ثم يستعير لفظ الوتد في الأرض؛ لأن تأثيره كبير في مجتمعه؛ يمنع أن ينزلق بعض الناس إلى المهالك ويسهم في ثباتهم على الدين فهو لهم كالوتد للأرض؛ كما الأوتاد (الجبال) تمنع أن ترتج الأرض بأهلها أو أن تميد بهم.

ومن الأوصاف الأخرى التي يذكرها الإمام علي (عليه السلام) للتقي في هذه الخطبة التزامه بكتاب الله تعالى فيقول: **(قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله، وينزل حيث كان منزله)**، وفيه جرى استعارة لفظ (الزمام) لعقل الإنسان التقي؛ فهو الذي يقوده مثلما الزمام مقود

الفرس، للدلالة على أنّ القرآن دليله في عمله، وهو مصدر هدايته، ويستعير لفظ (يحلّ)، فيجعله كالمسافر يحلُّ متاعه عندما يصل إلى غايته، وهو هنا يحلّ حيثما تأمر بذلك أوامر الكتاب ونواهيه، وفي الإطار نفسه يستعير لفظ (ينزل) للتقي الذي بدا كالمسافر ينزل حيث منازل القرآن وبيوت العبادة، للدلالة على انقياده إلى أحكام القرآن في كل أفعاله. وقد يقول قائل إن الفعلين (يحل وينزل) يصدقان على الإنسان حقيقة، فلماذا القول إنها استعارة؛ فنجيب أنها في هذا الموضع خاصة بالمسافر، وقد استعارها للإنسان التقي الذي بدا في عدته وعمله ورحلته الدنيوية كالمسافر.

ممَّا سبق يتبيّن أن دوافع الإمام علي (عليه السلام) في خطابته قد تنوعت، فأحيانا غايته التأثير في السامعين عندما يصف المتقين، أو ترغيب الناس في التأسِّي بالمتقين، ليقتفوا أثرهم في أعمالهم وسلوكهم، أو ليتجنبوا السلبي من أفعالهم وعاداتهم - إن وجد ذلك، أو يكون الدافع هو تنبيه المتقين أنفسهم لما يكونوا غافلين عنه، أو تعضيد المواقف الإيجابية التي تفيد المجتمع الإسلامي. أو غير ذلك من دوافع. وقد أوضحت هذه الدوافع وجسدتها الاستعارة؛ بفضل بلاغتها وتأثيرها وفاعليتها.

ثالثا: الصورة الاستعارية في حال غير المتقين

في الخطبة حديث آخر في وصف غير المتقين، نجد فيه استعارات رائعة في ميدانها، يتحدث عن امرئ منهم، ويعني به جميع من على شاكلته، منها ما جاء في قول الإمام علي (عليه السلام) فيه: **(نصب للناس أشراكا من حبائل غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف**

الحق على أهوائه)، وفيه استعار لفظ (أشراكا) للخطط والمكائد التي يضعها هذا الرجل الضال للناس، فيوردهم موارد الهلاك والانحراف عن الدين القويم، فتبدو كالشرك الذي يضعه الصياد لاصطياد فريسته. وللغرض نفسه استعار لفظ (حبائل) إلى وسائل الغرور التي يجذب بها ضعيفي الإيمان، ثم استعار لفظ (حمل) إلى اعتماد القرآن لكن بفهمه وميوله ورغباته، وهذا المرء أخطر على الدين من غيره الكافر الذي يعلن كفره جهرا وعلانية، واستعار -أيضا- لفظ (عطف) إلى تسيير الحق حسب أهوائه، إذ جعل الحق شيئا ماديًّا يقوده إليه ويوجهه على وفق هواه. ومرجع كل هذا التوظيف الرائع فن الاستعارة الذي يعدّه عبد القاهر الجرجاني كنزا من كنوز البلاغة ومادة من مواد الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان[٢٧].

ويستمر وصف الإمام علي (عليه السلام) لحال غير المتقي الذي يدّعي أشياء ليست فيه، في قوله (عليه السلام): (يقول أقف عند الشبهات، وفيها وقع، وأعتزل البدع، وبينها اضطجع)، فقد استعار ألفاظا دالة على الحركة من قبيل الوقوف والوقوع والاعتزال والاضطجاع، إذ استعار لفظ (أقف) إلى ادعاء التزام هذا المرء غير التقي حدوده التي يقررها الشرع وعدم اقترابه من الشبهات، بحجة تقواه وعدم ولوجه فيها، ثم استعار لفظ (وقع) إلى تلبسه بالشبهات، والانغماس فيها؛ لأن الوقوع يعطي دلالة أقوى من مجرد الدخول في الشبهات، واستعار الاعتزال إلى ابتعاده عن البدع التي لا أساس لها في الدين، فهو في عزلة عنها، كمن

يعتزل الناس تجنبا لما يصيبه منهم. وأخيرًا استعار الاضطجاع إلى قبوله البدع والركون إليها إلى أبعد حد؛ وهذا ما أفادته استعارة الاضطجاع، فبدا كالمقيم الذي لا ينوي الرحيل عنها، وهنا يظهر من كلام الإمام علي (عليه السلام) مقدار التناقض بين القول والفعل لدى هذا المرء غير المتقي، الذي يدّعي أشياءً ويفعل ما يناقضها. وكل هذا يجري بطريق الاستعارة التي تبعث التأثير في النفوس وتمنح المعاني ذلك القدر من البلاغة. والمبالغة واحدة من أهم خصائص الاستعارة التي بها يتم إظهار المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة، وإخراج ما لا يدرك إلى حيز الإدراك[٢٨].

وفي موضع تال يستعير لفظ الباب للهدى مرة، وللعمى مرة أخرى، في قوله (عليه السلام): **(لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه)**، فيجعل للهدى بابا كالبيت له باب يدخل إليه، وكذلك يجعل العمى كالبيت له باب للنفاذ إليه. واستعار -أيضا- العمى للضلالة؛ لأن الضال هو في حقيقة الأمر كالأعمى لا يبصر طريقه ولا يدرك ما ينفعه ممَّا يضره. وهذه المرونة في استعمال الألفاظ في غير ميادينها الصريحة هي ميزة الاستعارة التي تجدد المعاني وتولّد بعضها من بعض بطرائق تعبير جديدة؛ فهي (تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنّك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة موموقة)[٢٩].

رابعا: الصورة الاستعارية في حاله (عليه السلام) وحال عترة النبي

(صلى الله عليه وآله)

في موضع آخر من الخطبة يتحدث الإمام علي (عليه السلام) عن حاله وحال عترة النبي (صلى الله عليه وآله)، فيقول: **(بينكم عترة نبيكم، وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق)**، وقد استعار لفظ (أزمّة) إلى عترة النبي (صلى الله عليه وآله)؛ لأنهم للأمة كالزمام للناقة، في قيادة الأمة إلى الهداية، وخلاصها من الهلاك، ويستعير لفظ (ألسنة) إلى العترة أيضا، فهم ترجمان صادق للوحي وللدين، مثلما اللسان ترجمان النفس والناطق بحالها.

ونجد الاستعارة ماثلة في كلام الإمام علي (عليه السلام) في خطبته هذه وهو يتحدث عن منزلة القرآن عنده وكيف التزمه قولا وفعلا في قوله: (ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر)؛ إذ استعار تعبير (الثقل الأكبر) للقرآن، لأنه ثقيل في منزلته وقيمته للمسلمين بوصفه كتاب الله عزّ وجل، وهو الحاوي لشرائعهم والمرجع لهم في كل صادرة وواردة، فهو متاع المسافر وعدته الكبرى التي لا غنى عنها في سفره، ثم يستعير تعبير (الثقل الأصغر) إلى الأئمة -علي وذريته (عليهم السلام)- قياسا بالقرآن؛ لأنّهم القرآن الناطق، وهم العاملون به ومصدر الهداية لهم؛ لأن القرآن كما قال الإمام علي (عليه السلام) في موضع آخر من نهج البلاغة مخاطبا عبد الله بن عباس لمّا بعثه إلى الخوارج ليحاججهم: **(لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإنّ القرآن حمّالٌ ذو وجوه...)** [٣٠]، وقوله: **(وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنّما ينطق عنه الرجال)** [٣١]، ممَّا يعني أنه بحاجة إلى مفسرين، وخير من ينطق به ويفسره عترة النبي (صلى الله عليه وآله).

وبعد ذلك يخصُّ نفسه بالحديث في قوله (عليه السلام): **(ركزتُ فيكم راية الإيمان، ووقفتُكم على حدود الحلال والحرام)**، وفيه استعار لفظ (ركزت) إلى تثبيت رسالة الإسلام بشتى الطرق التي عرفت عنه (عليه السلام)، كمن يركز راية الجيوش في الحروب ويبقى حاميا لها من السقوط، وعادة ما يكون حامل الراية من أشجع الجنود؛ لأن سقوطه علامة على سقوط الجيش، واستعار لفظ (راية) إلى الإيمان، فجعل له راية يهتدي بها المسلمون مثلما يهتدي الجنود إلى راية جيشهم ومثلما يهتدي السائرون إلى رايتهم التي يسيرون خلفها؛ لأنها دالتهم. واستعار لفظ (وقفتكم) إلى تعليمهم حدود الحلال والحرام بدقة متناهية كمن يقف على حدود الدار تمييزًا عن غيرها من الحدود.

وتتوالى الاستعارات في كلام الإمام علي (عليه السلام)، ومنها ما جاء في قوله: (وألبستكم العافية من عدلي)؛ إذ استعار لفظ (ألبستكم) إلى الحال التي وفّرها لهم فبدت مشتملة عليهم كالقميص والجلباب الذي يغطي جسد المرء، واستعار لفظ (العافية) إلى حال تنعمهم بالعدالة في عهده، هذه الحال في المجتمع كالعافية للبدن؛ لأن وجود العدالة في مجتمع ما معناه أنه مجتمع معافى، يتمكن من تسيير أموره على وفق ما يريد، مثلما المرء المعافى يستطيع ممارسة حياته بشكل طبيعي. ونلاحظ في هذا الموضع وغيره علاقة المشابهة حاضرة في كل الاستعارات وأنّ (استعمال لفظ ما في غير ما وضع له في اصطلاحٍ به التخاطب، لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح التخاطب) [٣٢].

ومنها ما جاء في قوله (عليه

السلام): **(وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي)**؛ إذ نجده يستعير لفظ (فرشتكم) إلى حال بسط المعروف وتهيئته لهم، وفيه دلالة الاستعداد وعرض كل شيء أمامهم بشكل مُيَسّر كأنّه مفروش لديهم قولا وفعلا وبإمكانهم الإفادة منه، وفي اللفظة دلالة السعة والامتداد وعرض كل شيء بشكل مفصل. وكذلك استعار (أريتكم) إلى تبيينه كرائم أخلاقه، وتجسيدها أمامهم بشكل عياني بالأفعال، يستشعرونها ويلمسونها كأنهم يرونها بصريًّا.

ومن تجربته وحكمته (عليه السلام) ينصح المسلمين والمؤمنين باستعمال الرأي في موضعه الصحيح، فيقول: (فلا تستعملوا الرأي في ما لا يُدْرِك قعرَه البصرُ، ولا تتغلغل إليه الفِكَرُ)، وفيه استعار (القعر) لكل ما يغمض ويدق ويلتبس من الأمور، فيحتاج إلى إطالة النظر والتمعن فيه لفهمه وإدراكه، ثم استعار (التغلغل) إلى حالة إعمال الفكر في أمر ما لتبيينه وإدراكه، مثلما يتخلل الماء بين فروع الشجرة وأصولها. وبهذا الأسلوب الاستعاري يتم إدراك ما لا يدرك؛ لأن الاستعارة تقود السامع إلى التحليق في فضاءات الخيال، وعندها يشعر بمتعة الاكتشاف أو الفهم أو المعرفة بعد إعمال الفكر فيها.

خامسا: الصورة الاستعارية في حال الدنيا

في الجزء الأخير من الخطبة المذكورة يتحدث الإمام علي (عليه السلام) عن الدنيا ورأيه فيها، ينقل فهمه وقناعته إلى الناس فيقول: (حتى يظنُّ الظانُّ أن الدنيا معقولة على بني أميّة، تمنحهم درّها، وتوردهم صفوها)، وفيه استعار لفظة (معقولة) إلى حالة رهن الدنيا وإقبالها على بني أميّة، فالدنيا كالناقة

تُعقَل بعقال لتمنحهم درّها، ويستعير -أيضا- لفظ (درّها) إلى خيرات الدنيا وثمارها التي بدت كاللبن الذي تمنحه الناقة لأهلها، ثم استعار (الصفو) إلى الثمين في الدنيا وإلى زبدة كل شيء. وهنا تتضح واحدة من خصائص الاستعارة وهي: (تجسيم الأمور المعنوية؛ وذلك بإبرازها للعيان في صورة شخوص وكائنات حية يصدر عنها كل ما يصدر عن الكائنات الحية من حركات وأعمال)[٣٣]، وفي هذه الاستعارات السابقة جرى منح الدنيا صفات الكائن الحي وشخصها في وعي جمالي وفكري يبدع صورا رائعة تتسم بالمغايرة والإدهاش والطرافة[٣٤]. وغرض هذه الاستعارات تجسيد المعاني عيانيا أمام الناس ليدركوها.

ويقول أيضا في وصف الدنيا: (ولا يُرفَع عن هذه الأمة سوطُها، ولا سيفها، وكذب الظانُّ لذلك، بل هي مجّةٌ من لذيذ العيش، يتطعّمونها برهة، ثم يلفظونها جملة)، وفيه استعار لفظ (يتطعمونها) إلى حال إقبال الناس عليها، يتخيرون لذائذها، وينتقون بعضها كما يتلذذون بالطعام يأخذون هذا ويتركون ذاك تبعا لتذوقهم واستحسانهم، وأخيرا استعار لفظة (يلفظونها) إلى رميهم لها كما يرمون اللقمة التي لا يستسيغونها. وقد أفادت هذه الاستعارات بيان أثر الدنيا في نفوس الناس وإقبالهم على ملذاتها لغرض تعظيم مخاطرها ونتائجها، ومن ثم محاولة التغلب عليها. هذه التوظيفات هيأها هذا النوع من المجاز الذي يمكّن الأديب من الإبداع والاتساع في طرق البيان. والإمام علي (عليه السلام) فارس من فرسان البلاغة، لا يشق له غبار، فجاء بالبدعة اللغوية التي لم يسبق إليها وبالنادرة وقد تأنّق بها.

لا شك في أن كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في أعلى طبقات الفصاحة وأسمى مراتب البلاغة، وبلاغته مشهود لها ولا يدانيه أحد فيها، قال بعضهم (إنّ أحدا من البلغاء وأهل الفصاحة لا يبلغ وإن عظم خطره شأو كلامه، ولا يستولي على أغواره، ويقصر عن الإتيان بمثاله وما ذاك إلّا لأنه قد سبق وقصروا، وتقدّم وتأخروا)[٣٥]، ولقد جاءت الاستعارات في هذه الخطبة في مواضعها من حيث الإبلاغ والتأكيد، وكان وقعها في النفس رائقا بفضل بلاغتها، ومنزلتها في النفوس عالية، تدعوها إلى التحليق في فضاءات الخيال، حتى أخذت بمجامع الأفئدة وسرائر العقول والقلوب.

ولعلّ من أهم أغراض الاستعارة في كلام الإمام (عليه السلام) تأكيد المعاني في النفوس وتثبيتها في قلوبهم ببلاغة عالية المضامين والآفاق، (وليس معنى الأبلغية في كل من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيدها خلافه، بل المراد زيادة التأكيد في الإثبات)[٣٦]. والمبالغة من أهم غايات الإمام علي (عليه السلام) عندما يلجأ إلى الاستعارة لتعظيم أثر الأفعال البشرية إيجاباً أو سلبًا، وقد أشار إلى هذا الغرض ابن حجة الحموي عندما اشترطها في الاستعارة دون المجاز في قوله: (إذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز، وموقعها في الأذواق السليمة أبلغ، وليس في أنواع البديع أعجب منها، إذا وقعت في مواقعها) [٣٧]، مع ملاحظة أن ابن حجة الحموي قد جعل الاستعارة من البديع مثلما فعل ابن المعتز.

وأفادت الاستعارات في هذه الخطبة الاتساع في مضامين القول وتكثيفها وتنوعها، وهذه الصفة

هي صفة المجاز بشكل عام ومنه الاستعارة؛ إذ يعد بابا من أبواب غنى اللغة وإثرائها بأن يكون للألفاظ دلالات جديدة بفضل العلاقات اللغوية التي أباحها المجاز والاستعارة، وبعض الاستعارات غرضها التشبيه لتقريبها من أذهان السامعين ولا سيما الأمور المعنوية أو الجمادات التي يجري إيضاحها عبر تشبيهها بشيء محسوس ملموس يسهل على المرء إدراكه. وعن طريق التشبيه يكون فضل الإبانة عن المعاني. وبعض الاستعارات جاءت لغرض الترغيب في أمر محمود، أو التهويل من نتائج فعل منبوذ.

وممَّا يلحظ على الاستعارات في خطبة الإمام علي (عليه السلام) أنها استعارات مبتدعة في أغلبها، لم يسبق إليها ولم تلكها الألسن، بل إن بعضها لا يدركها إلّا من له معرفة بفنون القول وأساليب البيان وإدراك لدلالات الألفاظ وكيف يتم زجّها في علاقات لغوية جديدة أساسها المجاز. ولا بد فيها من إعمال الفكر لمعرفة كيف يستعمل اللفظ في غير ما وضع له، لكي يحسن تصور المعاني وفقا لذلك. لكن الذي يسهل الأمر أن العلاقة بين المستعار منه والمستعار له هي علاقة المشابهة.

ونلحظ أحيانا أنّ بعض الأمور المعنوية يصعب تصويرها، لكن الإمام عليّ (عليه السلام) وظّفها توظيفا لغويًّا بارعًا بفضل امتلاكه ناصية البيان والفصاحة والبلاغة، وقدرته على النظم، وسعة تجربته الحياتية ومعاصرته للنبي والخلفاء واتساع أفق الخيال لديه، وثقافته الواسعة التي هيأت له ابتداع لغة مليئة بالمجاز؛ فأتت الاستعارات ممهدا لها، تأنس القلوب بها، ويستثار الفكر لمضامينها، محكمة النسج شديدة الحبك. تجمل القول أحيانا بإيجازها في مواضع،

وتفصله في مواضع أخرى على وفق ما يقتضي المقام.

وإذا أردنا أن نلتمس أسبابا لهذا الإبداع البياني والاستعاري في خطاب الإمام علي (عليه السلام) لوجدناه ناجما عن إحساس فريد بالناس؛ حاجاتهم ورغباتهم ونوازعهم وإحاطته بكل دقائقهم؛ بسبب التصاقه بهم، فنجده يشعر بكل من حوله ويدرك مآل كل فعل من أفعالهم ويجسده في كلامه ناصحا وموجها ومنبها من عواقب أعمالهم، مستشرفا المستقبل، فيأتي كلامه متفردا في صياغاته، منسجما في نسيجه؛ لأنه نتاج خطيب بليغ بارع في لغته وأسلوبه، قادر على تفجير إمكانات اللغة؛ رجل موسوعي له في كل ميدان بصمة.

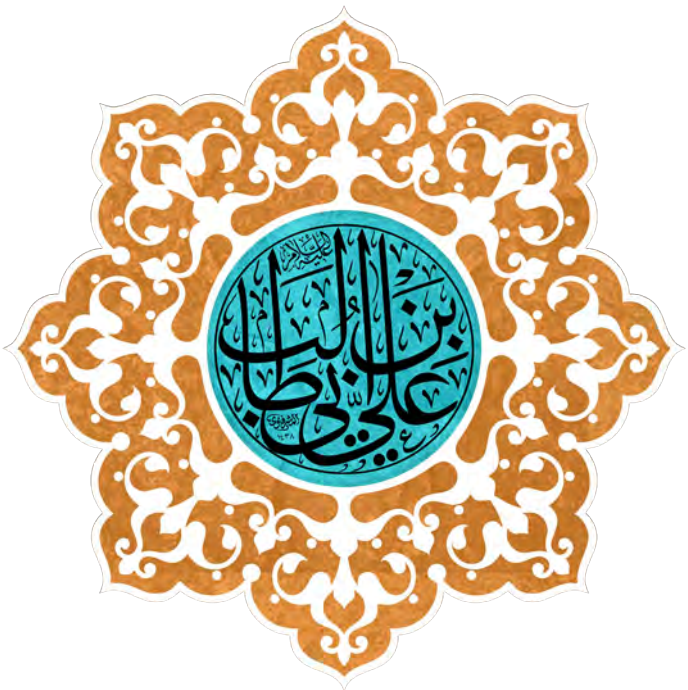

الهوامش:

(١) البيان والتبيين: ١/ ١١٦.

(٢) ينظر: الخطابة، أرسطو، نقلا عن العقد الفريد: ٤/ ٢٧٢

(٣) البديع في البديع: ١٧

(٤) النكت في إعجاز القرآن: ٨٥

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٢٨

(٦) الصناعتين: ٢٦٨

(٧) القلم/ ٤٢

(٨) الصناعتين: ٢٦٨

(٩) الأنبياء/ ١٨

(١٠) الصناعتين: ٢٧٢

(١١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١/ ٢٧٠

(١٢) ينظر: النكت في إعجاز القرآن: ٨٦

(١٣) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٨٨

(١٤) أسرار البلاغة: ٣٩-٤٠

(١٥) مفتاح العلوم: ٣٦٩

(١٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/ ٦٧

(١٧) ينظر: البديع في نقد الشعر: ٤١، والإيضاح في علوم البلاغة: ٣/ ١٩٠، خزانة الأدب وغاية الأرب: ١/ ١٠٩

(١٨) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، أحمد بن مصطفى المراغي: ٢٦٠

(١٩) علم البيان: ١٩٦

(٢٠) شرح نهج البلاغة الجامع لخطب وحكم ورسائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ٦/ ٣٧٩. (الخطبة ٨٦) وأكتفي بالإشارة إلى الخطبة في هذا الموضع فقط تجنبا للتكرار، فموضعها واحد.

(٢١) أسرار البلاغة: ٤٠

(٢٢) المعجم الأدبي: مادة (تشخيص).

(٢٣) معجم المصطلحات الأدبية: مادة (التشخيص)

(٢٤) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع: ٢٨١

(٢٥) فن الاستعارة: ٣٠٦

(٢٦) البلاغة العربية: ٢/ ٢٢٩

(٢٧) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٨

(٢٨) ينظر: علم البيان: ١٩٨

(٢٩) أسرار البلاغة: ٣٩

(٣٠) شرح نهج البلاغة الجامع لخطب وحكم ورسائل الإمام أمير المؤمنين علي

بـن أبي طالـب (عليـه السـلام): ١٨/ ٧٤ (الوصيـة ٧٧)

(٣١) المصـدر نفسـه: ٨ / ١١٢ (الخطبـة ١٢٥)

(٣٢) البلاغة العربية: ٢/ ٢٢٩

(٣٣) علم البيان: ٢٠٠

(٣٤) ينظـر: الاسـتعارة في الـتراث البلاغـي النقـدي عنـد العـرب: ١٢٠

(٣٥) الطـراز المتضمـن لأسرار البلاغـة وعلـوم حقائـق الاعجـاز: ١/ ١٥١

(٣٦) علـوم البلاغـة البيـان، المعـاني، البديع: ٣٠٧

(٣٧) خزانة الأدب وغاية الأرب: ١/ ١٠٩

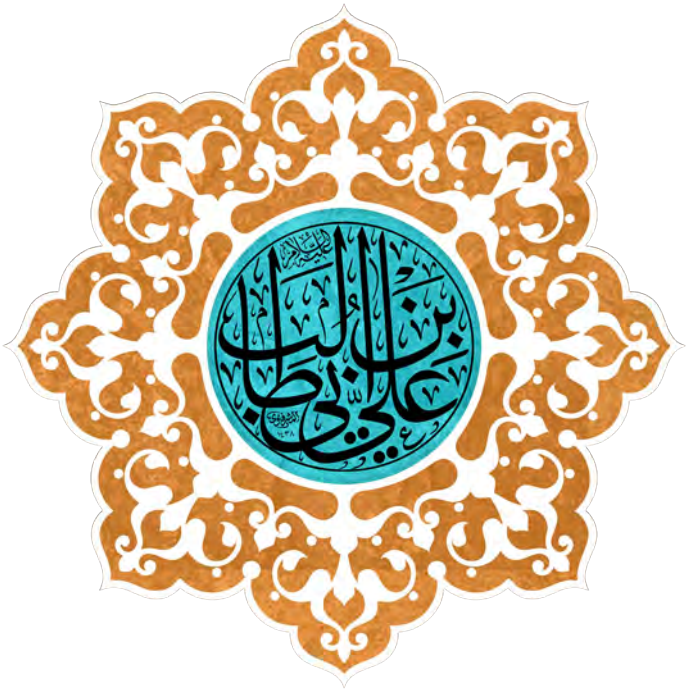

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

*الاستعارة في التراث البلاغي النقدي عند العرب، فاضل عبود التميمي، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٥

*أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٩٩١

*الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت. ط٣.

*البديع في البديع، عبد الله بن المعتز، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠

*البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تح: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق.

*البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني الدمشقي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٩٦

*البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، مصر، ط٥، ١٩٨٥

*الخطابة، أرسطو طاليس، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩

*خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، دار القاموس الحديث، بيروت، ١٣٠٤ ه

*دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٥.

*شرح نهج البلاغة الجامع لخطب وحكم ورسائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ابن أبي الحديد المعتزلي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أنوار الهدى، قم، ط١، ١٤٢٩ هـ

*الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٩

*الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣.

*علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، أحمد بن مصطفى المراغي، المكتبة المحمودية التجارية، ط٥

*علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢.

*العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محيي

الديـن عبـد الحميـد، دار الجيـل، بـيروت، ط٤، ١٩٧٢.
*فـن الاسـتعارة، أحمـد عبـد السـيد الصـاوي، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، الإسـكندرية، ١٩٧٩.
*المثـل السـائر في أدب الكاتـب والشاعـر، ضيـاء الديـن بـن الأثـير، تـح: أحمـد الحـوفي وبـدوي طبانـة، دار نهضـة مـصر، القاهـرة.
*المعجـم الأدبي، جبـور عبـد النـور، دار العلـم للملايـين، بـيروت، ط١، ١٩٧٩.
*معجـم المصطلحـات الأدبيـة، إبراهيـم فتحـي، دار التعاضديـة العماليـة، صفاقـس.
*مفتـاح العلـوم، السـكاكي، مطبعـة مصطفـى البـابي الحلبـي وأولاده، مـصر، ١٩٣٧.
*النكـت في إعجـاز القـرآن، أبـو الحسـن الرمـاني، تـح: محمـد خلـف الله ومحمـد زغلـول سـلام، دار المعارف، مـصر، ١٩٦٨.
*الوسـاطة بـين المتنبـي وخصومـه، القـاضي عـلي بـن عبـد العزيـز الجرجـاني، تـح: محمـد أبـو الفضـل إبراهيـم وعـلي محمـد البجـاوي، دار القلـم، بـيروت.

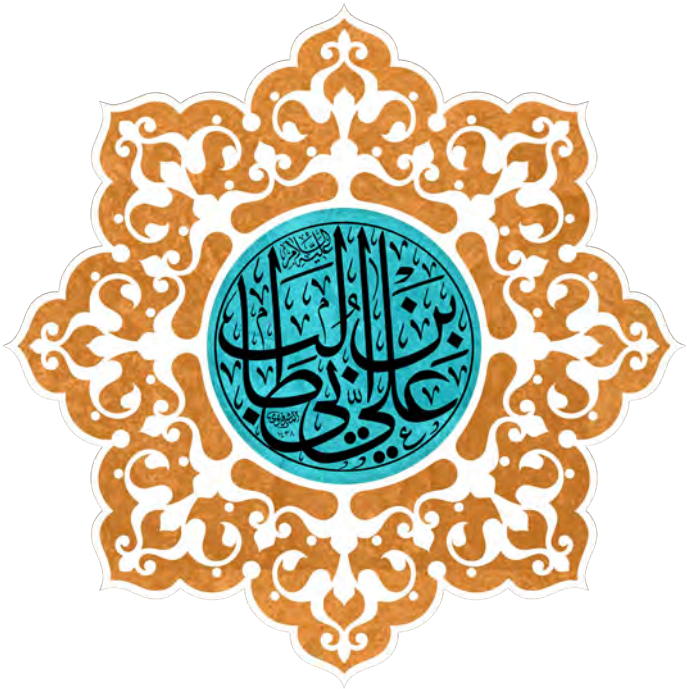

قالت السيدة الزهراء (عليها السلام):

إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي، وشفعت في عصاة أُمّة أبي.

أخبار الدول : ٨٨ ، الاحقاق : ١٠ / ٣٦٧ ، وسيلة النجاة : ٢١٧.

INAHJ.ORG

Editors Board

Prof. Dr. Salah Mahdi Al- Fartousi
University of Rotterdam-Holland

Prof. Dr. Abdul Ali Safih al-Tai
Advisor to the Ministry of Education
France

Prof. Dr. Jawad Kazem Al -Nasrallah
University of Basra- College of Arts

Prof.Dr. Abdul Hussain Abdul Rida Al Omari
University of Dhi Qar- College of Arts

Prof. Dr. Hussein Ali Al-Sharhani
Dhi Qar University- College of Education
for Human Sciences

Prof. Dr. Mohamed Hassanein Al-Naqawi
University of Bahaauddin- Pakistan

Prof. Dr. Mustafa Kadhim Shgedl
College Of Arts/Baghdad University

Asst. Prof. Dr. Nieamah Dahsh Farhan Al- Taee
University of Baghdad
College of Education Ibn Rushd

Asst. Prof. Dr. Ahmed Hussein Abdel Sada
University of Muthanna
College Of Education For Human Sciences

Dr. Haidar Hadi Khalkal Al Shaibani
Directorate of Education - Najaf Ashraf

Copy Editors (Arabic)

Asst. Prof. Dr. Karim Hamza Hamidi

Asst. Lectur. Ali Abbas Al-Rubaie

Financial and Management

Asst. Lectur. Ali Abbas Al-Rubaie
Ahmed Adnan Al-Muamar
Zaman Jaafar Kadhim

Copy Editors (English)

Hassanein Ali Abdul Amir Al-Tai

Design And Production

Ahmed Abbas Mahdi

Editor-In-Chief

Prof. Dr. Abbas Ali Hussein Al-Faham

University of Kufa- College of Education for Girls

Managing Editor

Prof. Dr. Hassan Hamid Fayyad

College of Basic Education - University of Kufa

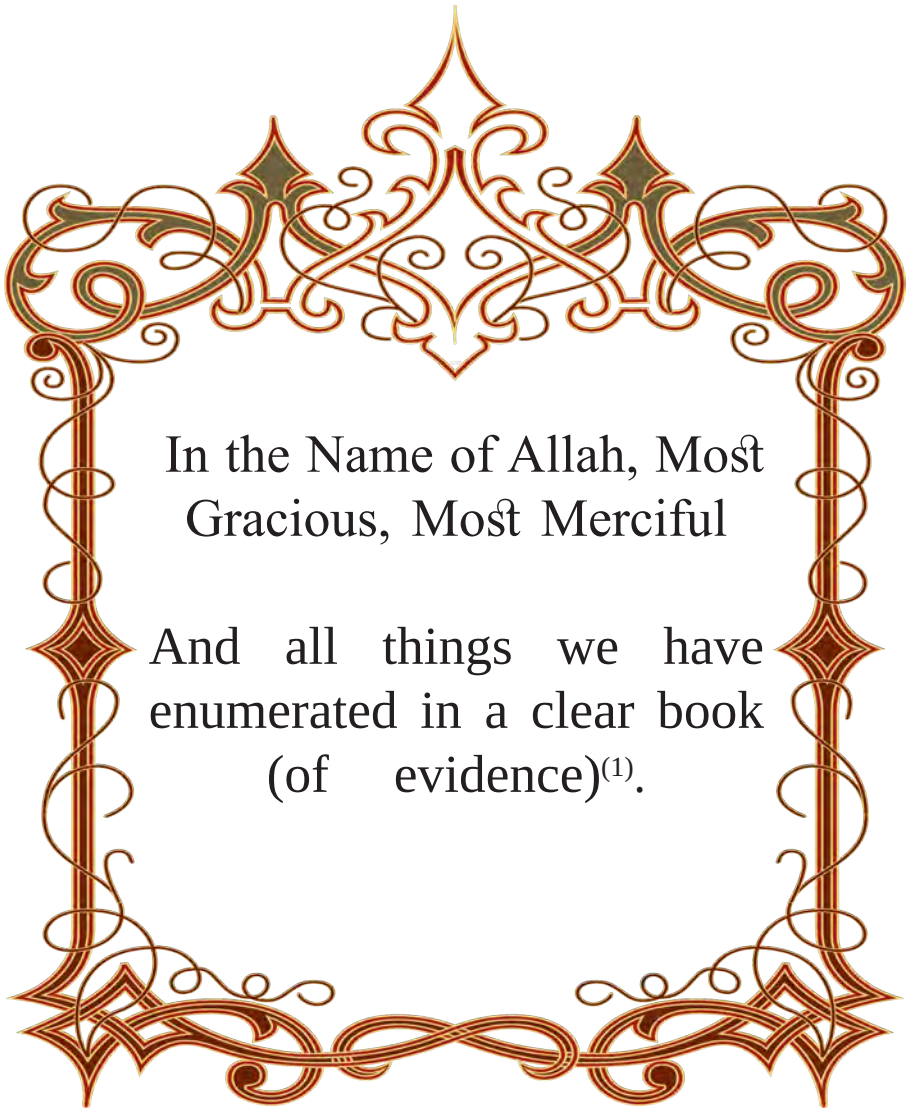

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

And all things we have enumerated in a clear book (of evidence)[1].

1- Abodullah Yussif Ali, The Holy Quran, Text Translation and Comment,(Kuwait: That El-salasil,1989) , Iyat 12,Sura,Yasin.

Al-MUBEEN

Quarterly Adjudicated Journal

Concerned with the Sciences of Road of Eloquence
(Nahj Albalagha) and the chronicle of Imam Ali (a.s)
And his thought

Issued By

General Secretariat of the Holy Al-hussien Shrine

Nahjul Balagha Sciences Foundation

Licensed by

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Reliable for Scientific Promotion

Seventh Year. Seventeenth Edition

Jumada Al-awla 1444 AH December 2022 AD